اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَسَوْفَ نَبْدَأُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى بِدِرَاسَةِ مُخْتَصَرٍ فِي عِلْمِ الْعَقِيدَةِ مُهِمٍّ وَمُفِيدٍ، وَلَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْزِلَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعْلُومَةٌ، هَذَا الْمُخْتَصَرُ هُوَ «الْأُصُولُ الثَّلاَثَةُ»، تَأْلِيفُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بِحَقٍّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ النَّجْدِيِّ السَّلَفِيِّ الْمَوْلُودِ سَنَةَ خَمْسَةَ عَشَرَ وَمِئَةٍ وَأَلْفٍ، وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ سِتٍّ وَمِئَتَيْنِ وَأَلْفٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

هَذَا الْعَالِمُ الْجَلِيلُ وُلِدَ بِالْعُيَيْنَةِ، وَكَانَ أَبُوهُ عَالِمًا كَبِيرًا مَشْهُورًا بِعِلْمِهِ، وَكَانَ جَدُّهُ عَالِمَ نَجْدٍ فِي زَمَانِهِ، اشْتَغَلَ بِالْعِلْمِ فَحَفِظَ الْقُرْآنَ وَحَفِظَ الْأَحَادِيثَ وَلَازَمَ الْعُلَمَاءَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ فِي التَّحَرُّرِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَمَرَّ فِي مُلَازَمَةِ الْعُلَمَاءِ وَالرِّحْلَةِ إِلَيْهِمْ فَأَخَذَ عَنْ سُلَّةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

لَهُ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، وَكَشْفُ الشُّبُهَاتِ، وَالْأُصُولُ السِّتَّةُ، وَالْقَوَاعِدُ الْأَرْبَعَةُ، وَغَيْرُهَا مِنَ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ وَالْمُفِيدَةِ الَّتِي شَهِدَ لَهُ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِالْعِلْمِ وَالْإِتْقَانِ وَحُسْنِ التَّصْنِيفِ وَحُسْنِ الْمَقْصِدِ وَبِاتِّبَاعِ الدَّلِيلِ -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً-.

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ تَرْجَمَتُهُ مَشْهُورَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ عِنْدَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ وَعِنْدَ الْمُسْلِمِينَ.

وَكِتَابُهُ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» -كَمَا سَبَقَ- هُوَ رِسَالَةٌ صَغِيرَةٌ، صَغِيرَةُ الْحَجْمِ، لَكِنَّهَا كَبِيرَةُ الْمَعَانِي وَالْفَوَائِدِ، كَانَ الْعُلَمَاءُ يُحَفِّظُونَهَا طُلَّابَ الْعِلْمِ، بَلْ حَتَّى الْعَوَامَّ كَانَ الْعُلَمَاءُ يُحَفِّظُونَهُمْ هَذِهِ الْمُتُونَ، خُصُوصًا «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ»، وَقَدْ كَتَبَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى بَعْضِ الْأُمَرَاءِ يَحُثُّهُ عَلَى نَشْرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» فِي الْقُرَى وَالْبَوَادِي، وَأَنَّ يُحَفِّظَهَا أَئِمَّةُ

الْمَسَاجِدِ لِلْعَوَامِّ؛ لِذَلِكَ كَانَ الْعَوَامُّ فِي تِلْكَ السِّنِينَ وَالْأَعْوَامِ كَانُوا يَحْفَظُونَ «الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ»، وَكَانُوا يَرُدُّونَ عَلَى أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِيَّاتِ؛ لِأَنَّهُمْ حَفِظُوا هَذِهِ الْأُصُولَ وَفَهِمُوهَا، فَرَدُّوا عَلَى أَيِّ شُبْهَةٍ يُثِيرُهَا بَعْضُ الْقُبُورِيِّينَ وَأَهْلِ الشِّرْكِ مِمَّا فَهِمُوهُ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

هَذِهِ الرِّسَالَةُ تَضَمَّنَتِ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ: الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ.

كَمَا تَضَمَّنَتْ بَيَانَ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَالتَّوْحِيدِ بِأَنْوَاعِهِ، وَبَيَانَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَبَيَانَ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ.

مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ؟!

مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟!

الْأَسْئِلَةُ الَّتِي يُسْأَلُهَا الْمَرْءُ فِي قَبْرِهِ، جَعَلَهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– وَبَنَى عَلَيْهَا هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ؛ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

وَلَيْسَ مَقْصُودُ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– حَصْرَ الْأُصُولِ فِي ثَلَاثَةٍ، لِأَنَّ لَهُ «الْأُصُولُ السِّتَّةُ»، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ

الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ هِيَ أُصُولٌ مُهِمَّةٌ وَمُلِمَّةٌ لِلْعِلْمِ، وَأُصُولٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ حَفِظَهَا وَفَقِهَهَا وَتَدَبَّرَ مَعَانِيَهَا؛ لِذَلِكَ أَحُثُّ طَلَبَةَ الْعِلْمِ وَحَتَّى عَامَّةَ النَّاسِ، أَحُثُّهُمْ عَلَى حِفْظِهَا، وَعَلَى سَمَاعِ أَشْرِطَةِ الْعُلَمَاءِ فِي شَرْحِهَا، فَقَدْ شَرَحَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَمِنَ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ شَرَحُوهَا وَكُتُبُهُمْ مَطْبُوعَةٌ: شَرَحَهَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ بَازٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ، وَكَذَا الْعَلَّامَةُ الْعُثَيْمِينَ، وَكَذَا الْعَلَّامَةُ النَّجْمِيُّ، وَالْعَلَّامَةُ مُحَمَّد أَمَان الْجَامِيّ، وَالْعَلَّامَةُ زَيْدٌ الْمَدْخَلِيُّ، وَأَيْضًا هُنَاكَ حَاشِيَةٌ نَفِيسَةٌ لِابْنِ قَاسِمٍ عَلَى «الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» –رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ–، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ شَرَحُوهَا، وَمَا زَالُوا إِلَى الْيَوْمِ يَشْرَحُونَهَا تُسَجَّلُ وَتُطْبَعُ فِي كُتُبٍ، مُتَدَاوَلَةٍ بَيْنَ طَلَبَةِ الْعِلْمِ.

وَهَذَا –كَمَا يُنَبِّهُ الْعُلَمَاءُ– أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي يُشْرَحُ وَيَتَتَابَعُ الْعُلَمَاءُ عَلَى شَرْحِهِ يَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ:

مِنْهَا أَنَّهُ كِتَابٌ مُهِمٌّ وَكِتَابٌ عَظِيمٌ.

وَمِنْهَا أَنَّ كَثْرَةَ الشُّرُوحِ عَلَى الْكِتَابِ الْوَاحِدِ تُعِينُ طَالِبَ الْعِلْمِ وَتُعِينُ الْمُسْلِمَ عَلَى فَهْمِ هَذَا الْكِتَابِ.

وَمِنْهَا تَسْهِيلُ وَبَسْطُ الشَّرْحِ عَلَى هَذَا الْكِتَابِ بِحَيْثُ يُسْتَنْبَطُ مِنْهُ كُلُّ مُؤَلِّفٍ وَشَارِحٍ الْفَوَائِدَ وَالْحِكَمَ وَالْمَسَائِلَ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– .

وَهَذِهِ الرِّسَالَةُ «الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ» الَّتِي أَلَّفَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ، سَارَ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ، بَنَاهَا عَلَى الدَّلِيلِ حَالَ جَمِيعِ مُؤَلَّفَاتِهِ الَّتِي حَرِصَ فِيهَا عَلَى الدَّلِيلِ، وَالَّتِي يُرَبِّي فِيهَا طَالِبَ الْعِلْمِ عَلَى طَلَبِ الدَّلِيلِ وَالْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَعَلَى التَّسْلِيمِ لِلْحَقِّ وَعَدَمِ مُعَارَضَتِهِ، وَعَلَى طَلَبِ الْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ كَمَا سَبَقَ.

وَنَحْنُ نَفْتَقِرُ إِلَى هَذَا، فَإِنَّ طَلَبَ الدَّلِيلِ وَطَلَبَ الْحُجَّةِ نُورٌ عَلَى نُورٍ، وَطَلَبَ الدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ يُنِيرُ لَنَا الطَّرِيقَ وَيَجْعَلُنَا عَلَى بَصِيرَةٍ، وَطَلَبَ الدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ يُذْهِبُ الْفِتَنَ، وَيَرْدَعُ الْبِدَعَ وَالضَّلَالَاتِ، فَمَنْ تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فَإِمَّا أَنْ يَأْتِيَ بِالدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ وَالْعِلْمِ الْمَبْنِيِّ عَلَى ذَلِكَ، وَإِلَّا فَقَوْلُهُ إِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ، وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لَا يُعْلَمُ حَقٌّ أَمْ بَاطِلٌ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ:

«قَرَّرَتْ ثَلَاثَةُ الْأُصُولِ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَالْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنْ قِفْ عِنْدَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ،

وَاطْلُبْ مَا تَضَمَّنَتْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَلَا يُمْكِنُ الْعِلْمُ إِلَّا أَنَّكَ تَقِفُ عِنْدَ كُلِّ مُسَمَّى مِنْهَا» اهـ. كَمَا نَقَلَهُ بَعْضُ شُرَّاحِ «الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ».

إِذَنْ؛ إِخْوَانِي -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- سَنَتَدَارَسُ هَذَا الْمَتْنَ وَنَقِفُ مَعَ مَسَائِلِهِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- :

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ –رَحِمَكَ اللهُ– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

قَالَ الشَّافِعِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «بَابُ: الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}. فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ».

الشَّرْحُ

هَذِهِ الْجُمَلُ الْمُفِيدَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– سَنَقِفُ مَعَهَا جُمْلَةً جُمْلَةً.

قَوْلُهُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ابْتَدَأَ الْكَلَامَ، وَابْتَدَأَ الرِّسَالَةَ بِالْبَسْمَلَةِ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ اقْتِدَاءً بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، حَيْثُ أَنَّ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِهِ، وَأَيْضًا جَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِـ{بِسْمِ اللهِ} فَهُوَ أَبْتَرُ» وَفِي لَفْظٍ: «أَقْطَعُ» أَوْ «أَجْزَمُ»، فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» فَلاَ يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْسُبَ هَذَا الْحَدِيثَ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، فَهُوَ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ وَإِنِ اشْتَهَرَ وَتَدَاوَلَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ أَنْ يُعَوِّدَ طَالِبُ الْعِلْمِ نَفْسَهُ عَلَى أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْ لَا يَرُدَّ الْحَقَّ لِمَعْلُومَاتٍ سَابِقَةٍ عِنْدَهُ، وَأَنْ يَتَجَرَّدَ لِلْحَقِّ، نَعَمْ قَدْ تَكُونُ تَعَلَّمْتَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ حَسَنٌ أَوْ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ بَعْدَ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ وَالتَّتَبُّعِ لِطُرُقِهِ كَمَا قَامَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيلِ» وَجَزَمَ بِضَعْفِهِ مِنْ كُلِّ طُرُقِهِ.

فَلاَ يَسُوغُ لَكَ، وَلَا يَجُوزُ لَكَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تَسْتَدِلَّ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى إِلَّا مُحَذِّرًا مِنْهُ وَمُبَيِّنًا ضَعْفَهُ، وَنَكْتَفِي بِأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْقُرْآنِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا، وَأَنَّ بَعْضَ السَّلَفِ كَانَ يَكْتُبُ الْبَسْمَلَةَ فِي بَعْضِ رَسَائِلِهِ.

قَوْلُهُ: «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ» اعْلَمْ: أَيْ: تَيَقَّنْ وَاجْزِمْ، وَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ شَكٌّ.

وَالْإِتْيَانُ بِكَلِمَةِ «اعْلَمْ» تُفِيدُ الِانْتِبَاهَ وَالتَّنْبِيهَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ لِلْمَسَائِلِ الَّتِي سَيَذْكُرُهَا، وَهِيَ مَسَائِلُ حَقِيقٌ أَنْ يُهْتَمَّ بِهَا، وَأَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهَا، وَأَنْ تُحْفَظَ.

ثُمَّ دَعَا لَهُ بِأَنْ يَرْحَمَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ، وَهَذَا مِنْ حُسْنِ تَرْبِيَتِهِ وَعِنَايَتِهِ، أَنْ يَدْعُوَ لِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَدْعُوَ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ، وَهَذِهِ صِفَةُ الْعَالِمِ، الْعَالِمُ يَحْرِصُ عَلَى الْخَيْرِ وَعَلَى النَّفْعِ، وَعَلَى هِدَايَةِ النَّاسِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ مُسْتَنِيرًا بِالْحَقِّ، عَامِلاً بِهِ.

وَأَمَّا الْغِلْظَةُ وَالْفَظَاظَةُ وَالشِّدَّةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْحَقِّ، فَلَيْسَتْ مِنَ الْحَقِّ، وَلَيْسَتْ مِنْ مَسْلَكِ الْعُلَمَاءِ، وَلَا مِنْ هَدْيِ السَّلَفِ الصَّالِحِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-.

فَقَدْ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ض عِنْدَمَا يَرَى طُلَّابَ الْعِلْمِ يَحْتَفُّ بِهِمْ، وَيَقُولُ: مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ يَسْأَلُونَ عَنْ أَحْوَالِ طُلَّابِهِمْ وَيَهْتَمُّونَ بِهِمْ.

لِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- نَجِدُ عِنْدَهُ هَذَا الْأُسْلُوبَ وَهَذِهِ الرَّحْمَةَ وَهَذِهِ الشَّفَقَةَ فِي غَالِبِ كُتُبِهِ، فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرًا.

قَالَ: «اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ».

قَوْلُهُ: «يَجِبُ عَلَيْنَا»؛ أَيْ: يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ وَأَنْ يُتْقِنَهَا؛ لِأَنَّهَا مِمَّا أَمَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِتَعَلُّمِهَا، وَلِأَنَّهَا مِمَّا يَقُومُ عَلَيْهِ دِينُ الْمَرْءِ، فَلاَ يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَجْهَلَهَا فَضْلاً عَنْ أَنْ يَتَجَاهَلَهَا وَأَنْ لَا يَهْتَمَّ بِهَا.

هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الْمَسَائِلُ يُبَيِّنُ لَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّهَا مِمَّا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهُ، كَمَا تَجِبُ عَلَيْكَ بَعْضُ الْعِبَادَاتِ، فَتَعَلُّمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ يَا عَبْدَ اللهِ وَيَا أَمَةَ اللهِ.

مَا هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى؟!

قَالَ: «الْأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ».

وَالْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَيِ: الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ، وَالْمُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ: مَعْرِفَةُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ؛ أَنْ تَعْرِفَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ وَالْمَخْلُوقِينَ كُلَّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْغَنِيُّ، فَتَعْرِفُهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَتَعْرِفُهُ بِأُلُوهِيَّتِهِ بِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ أَنْ تُصْرَفَ إِلَيْهِ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، قَوْلًا وَفِعْلاً، وَاعْتِقَادًا. هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– .

قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ}.

وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَأَنَّ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ، نُؤْمِنُ بِهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا كَمَا أَثْبَتَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فِي كِتَابِهِ، وَأَثْبَتَهَا الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سُنَّتِهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

وَمِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَعَلَّمَهُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ؛ لِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ، وَأَنَّهُ بَشَرٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُوحَى إِلَيْهِ، فَيُطَاعُ فِيمَا أَمَرَ، وَيُجْتَنَبُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَيُصَدَّقُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا أَخْبَرَ.

وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبَلَّغَهُ أَتَمَّ الْبَلَاغِ وَأَكْمَلَهُ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.

فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَتَدَبَّرَ الْعَبْدُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْأُولَى، وَالَّتِي سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ الْكَثِيرُ مِنْ تَفَاصِيلِهَا فِي الْأُصُولِ الثَّلاَثَةِ حِينَ يَتَكَلَّمُ عَنْهَا شَيْخُ الْإِسْلاَمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ، فَإِنَّهُ ذَكَرَهَا هُنَا إِجْمَالًا وَسَيُفَصِّلُهَا فِيمَا يَأْتِي.

ثُمَّ قَالَ: «الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ» لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَنْ تتبَاهَى وَأَنْ تَطْغَى بِهِ عَلَى النَّاسِ، لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعِلْمِ أَنْ تُذْكَرَ وَأَنْ يُرْفَعَ شَأْنُكَ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ أَنْ تَعْمَلَ بِهِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، وَأَنْ تَمْتَثِلَ أَوَامِرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ.

فَإِنَّ الْإِيمَانَ كَمَا يَقُولُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي وَلَا بِالتَّحَلِّي وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ، فَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ خَيْرًا قُبِلَ مِنْهُ، وَمَنْ قَالَ خَيْرًا وَعَمِلَ شَرًّا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ».

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَمَلَ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ يَقُودُ إِلَى الْعَمَلِ، وَجَاءَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: «هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ».
لَا بُدَّ أَنْ تَعْمَلَ بِالْعِلْمِ.

وَمِنْ أَبْرَزِ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعِلْمِ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُكَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- ، وَأَنْ لَا تُرَاقِبَ النَّاسَ، وَأَنْ لَا تَعْمَلَ لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا تُرَاقِبُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- .

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ فِي مُتَابَعَةِ سُنَّةِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؛ فِي شَأْنِهِ وَأَحْوَالِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ أَنْ تَكُونَ تَقِيًّا نَقِيًّا، لَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ وَلَا أَذًى، وَإِلَّا مَنْ يَتَعَلَّمُ أَنَّ أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِينَ حَرَامٌ وَيُؤْذِيهِمْ، مَا فَائِدَةُ الْعِلْمِ حِينَهَا؟! يَكُونُ الْعِلْمُ حُجَّةً عَلَيْهِ لَا حُجَّةً لَهُ.

مَنْ يَتَعَلَّمُ أَنَّ السُّنَّةَ وَأَهْلَهَا غُرَبَاءُ، فَهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَنْ يَنْصُرُهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ، ثُمَّ يُنَاصِرُ أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي الْعِلْمِ هَذَا؟!

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ لَوْ قَامَ بِهِ أَهْلُهُ، وَاللَّهِ لَقَلَّتِ الْفِتَنُ، وَلَوْ قَامَ بِهِ أَهْلُهُ، لَتَقَارَبَتِ الْقُلُوبُ عَلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ هِيَ فِتَنٌ وَابْتِلَاءٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، يَتَعَلَّمُ الْمَرْءُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ، وَيَتَعَلَّمُ الْآخَرُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَكُونُ حُجَّةً لَهُ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْعِلْمِ.

وَلِذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ الْعَالِمِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا عَامِلاً، وَإِلَّا فَلَوْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ ثُمَّ نَجِدُ فِي أَعْمَالِهِ الْخُبْثَ وَالْأَذِيَّةَ وَالْفَسَادَ وَالتَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَجِدُ فِي أَعْمَالِهِ تَحْزِيبَ الْمُسْلِمِينَ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِعَالِمٍ يُؤْخَذُ مِنْهُ الْعِلْمُ، فَمَا بَالُكَ لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَعْمَلُ هَذِهِ الْأَعْمَالَ لَا يُعَدُّ طَالِبَ عِلْمٍ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُوصَفَ بِأَنَّهُ عَالِمٌ.

فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ عِلْمِهِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ.

إِذَنْ؛ فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنَ الْعَمَلِ.

لِمَاذَا الْعِلْمُ؟! لِمَاذَا لَا بُدَّ مِنَ الْعِلْمِ؟!

حَتَّى لَا تَتَكَلَّمَ فِي دِينِ اللهِ إِلَّا بِبَصِيرَةٍ، فَلاَ تَكْثُرْ أَخْطَاؤُكَ، وَلَا تَكْثُرْ مُخَالَفَاتُكَ، فَإِنَّ الْخَطَأَ الَّذِي مِثْلُهُ لَا يُحْتَمَلُ مِنْ طَالِبِ الْعِلْمِ جَهْلُهُ يُؤَثِّرُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي قِيمَةِ هَذَا الْمُخْطِئِ، وَفِي بُعْدِهِ عَنِ الْحَقِّ، فَمَا بَالُكَ حِينَمَا يُخْطِئُ فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَمَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالشِّرْكِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَنْهَجِ؟!

هِيَ مَسَائِلُ وَاضِحَاتٌ ظَاهِرَاتٌ يَفْهَمُهَا طُلاَّبُ الْعِلْمِ الصِّغَارُ قَبْلَ الْكِبَارِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا إِمَّا أَنَّهُ لَمْ يُحَصِّلِ الْعِلْمَ بِطَرِيقَةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَإِمَّا أَنَّهُ قَدِ انْحَرَفَ وَزَاغَ قَلْبُهُ عَنِ الْحَقِّ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

ثُمَّ الثَّالِثَةُ بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ وَأَنْ تَعْمَلَ لَا بُدَّ أَنْ تَدْعُوَ إِلَى الْعِلْمِ، أَنْ تُعَلِّمَ النَّاسَ بِحَسْبِ اسْتِطَاعَتِكَ، مَا تَعَلَّمْتَهُ لَا مَانِعَ أَنْ تَدْعُوَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَأَنْ تُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ أَمْرٍ مُهِمٍّ، وَهُوَ: أَنَّ بَيَانَكَ وَنَقْلَكَ لِلْحَقِّ وَلِلْعِلْمِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ لِلْعُلَمَاءِ لَيْسَ مِنْ بَابِ الْفَتْوَى وَلَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ، فَلَوْ تَعَلَّمْتَ مَثَلاً عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ أَنَّ قَوْلَ «وَالنَّبِيِّ» لَا يَجُوزُ، وَأَنَّ قَوْلَ «وَالنَّبِيِّ» مِنَ الشِّرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**» وَقَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلَا بِأُمَّهَاتِكُمْ، وَلَا بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

فَعِنْدَمَا تَسْمَعُ هَذَا، وَتَسْمَعُ رَجُلاً آخَرَ يَقُولُ: وَالنَّبِيِّ. فَهُنَا تَقُولُ لَهُ: يَا أَخِي، اتَّقِ اللهَ، لَا تَقُلْ: وَالنَّبِيِّ. قُلْ: وَاللَّهِ. أَوْ: لَا تَحْلِفْ بِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، ثُمَّ تَذْكُرُ لَهُ الْأَدِلَّةَ الَّتِي سَمِعْتَهَا.

هَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّصَدُّرِ، هَذَا مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ. فَهَذَا لَا مَانِعَ مِنْهُ.

لِأَنَّنَا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلأَسَفِ يَرَى خَطَأً وَيَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ مِنْ قَوْلِ الْعُلَمَاءِ، وَيَعْرِفُ الدَّلِيلَ، وَلَكِنْ يَسْكُتُ، فَتَقُولُ لَهُ: لِمَاذَا لَمْ تُنْكِرْ؟ يَقُولُ: يَا أَخِي، لَسْتُ عَالِمًا، هَذَا خَطَأٌ.

هَذِهِ شُبْهَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ لِكَيْ لَا تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْلَمُوا –بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ– أَنَّنَا إِذَا تَعَلَّمْنَا مَسْأَلَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ بِدَلِيلِهَا، وَوَجَدْنَا مَنْ يُخْطِئُ فِيهَا، أَنَّهُ يُشْرَعُ لَنَا أَنْ نُنَبِّهَهُ، وَأَنْ نَدُلَّهُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ نُرْشِدَهُ إِلَى الْخَيْرِ.

وَأَمَّا الاِشْتِغَالُ بِالْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَطُرُقِ الاِسْتِدْلَالِ، وَالْمُنَاقَشَاتِ وَالْمُنَاظَرَاتِ وَإِيرَادِ الْحُجَجِ، فَهَذِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَلِطُلَّابِ الْعِلْمِ الْمُتَمَكِّنِينَ فِي عِلْمِهِمْ، فَلاَ مَانِعَ، أَمَّا الْعَوَامُّ فَلاَ يَخُوضُونَ فِيهَا.

فَإِذَنْ؛ يَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ دَقَائِقِ الْمَسَائِلِ، وَيَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَسَائِلِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي تَلَقَّيْنَاهَا عَنِ الْعُلَمَاءِ بِأَدِلَّتِهَا، فَالْعَامِّيُّ يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، وَلَكِنْ لَا يَخُضْ فِي الْمَسَائِلِ الدَّقِيقَةِ.

وَأَيْضًا مِنَ الْمُهِمِّ أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ، وَهِيَ: أَنَّ الْعَامِّيَّ وَالْعَالِمَ إِذَا جَاءَ فِي مَسْأَلَةٍ لَا يَعْرِفُ دَلِيلَهَا، وَلَا يُحْسِنُهَا، فَلاَ يَتَكَلَّمُ فِيهَا، يَحْرُمُ عَلَيْهِ الْكَلامُ فِيهَا، وَلَوْ سَكَتَ الجَاهِلُ لَقَلَّ الخِلاَفُ، وَلَوْ قَالَ مَنْ لَا يَدْرِي: لَا أَدْرِي. لَسَلِمَ. وَكَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنَ الْفَتْوَى فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ.

وَلِذَلِكَ تَجِدُ الَّذِي يُفْتِي دَائِمًا، وَيَحْرِصُ عَلَى الْفَتْوَى، وَيَتَصَدَّرُ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلَ وَيُشْهَدَ لَهُ، تَجِدُ عِنْدَهُ التَّخَبُّطَاتِ، وَتَجِدُ عِنْدَهُ كَثْرَةَ الْأَخْطَاءِ، نَسْأَلُ اللهَ السَّلاَمَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَلاَ بُدَّ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ الصَّحِيحِ الَّذِي تَعَلَّمْتَهُ؛ لِيَنْتَشِرَ الْحَقُّ، وَيَظْهَرَ دِينُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- ، فَإِذَا دَعَوْتَ النَّاسَ، وَبَيَّنْتَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ مُعَرَّضٌ لِلأَذَى، فَلاَ بُدَّ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى الْأَذَى، فَهَذَا نَبِيُّ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُوذِيَ، وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، حَرِيصٌ عَلَيْهِمْ كُلَّ الْحِرْصِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، وَمَعَ ذَلِكَ أُوذِيَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُ فَلاَ بُدَّ أَنْ يُؤْذَى، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلأَذَى إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ، فَلْيُوَطِّنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ.

وَفَرْقٌ بَيْنَ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلأَذَى وَأَنْ يَسْلُكَ غَيْرَ السَّبِيلِ الصَّحِيحِ، فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ فِي مَوَاطِنِ الْهَلَاكِ، وَبَيْنَ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسُ فَيُؤْذَى فِي دَعْوَتِهِ، فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَعْمَلُ أَعْمَالًا غَيْرَ شَرْعِيَّةٍ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ يَدْعُو إِلَى اللهِ فَيُؤْذَى وَأَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى ذَلِكَ، لَا. أَنْتَ تَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ بِهِ، وَتَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ، فَأُوذِيتَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلُزُومِكَ لِلْحَقِّ، فَاصْبِرْ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

فَاصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَالْزَمِ الصَّبْرَ، لِمَاذَا يُؤْذُونَكَ؟

لِأَنَّكَ تَدْعُو النَّاسَ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنْ جَانِبَيْنِ:

مِنْ جَانِبِ الشَّهَوَاتِ، فَأَهْلُ الدُّنْيَا يَرْفُضُونَكَ، يَرْفُضُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَيُبْغِضُونَكَ.

وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ أَيْضًا يَرْفُضُونَكَ، وَيَرْفُضُونَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَيُحَارِبُونَكَ وَيُؤْذُونَكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْمَلُ لِلَّهِ، لَا لِنَفْسِكَ، فَمَا تَتَعَرَّضُ فِيهِ مِنَ الْأَذَى لِلَّهِ، فَمَا أَحْلَاهُ! وَمَا أَلَذَّهُ وَأَطْعَمَهُ! لِأَنَّهُ فِي ذَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

وَلِذَلِكَ إِنْ كُنْت تَغْضَبُ إِنْ أُوذِيت فَأَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تُرَاجِعَ: هَلْ تَدْعُو إِلَى اللهِ أَمْ تَدْعُو إِلَى نَفْسِك.

فَلِذَلِكَ نَبَّهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى.

نَعَمْ، الْأَذَى يُصِيبُ الْمُسْلِمَ حَتَّى مِنْ بَعْضِ مَنْ هُوَ عَلَى قُرْبٍ مِنْهُمْ؛ إِمَّا حَسَدًا وَإِمَّا ظُلْمًا وَإِمَّا بَغْيًا.

قَدْ يَكُونُ مُوَافِقًا لَكَ فِي الْمَنْهَجِ، وَيَدْعُو إِلَى الْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ تَتَلاعَبُ بِهِ الشَّيَاطِينُ، فَيَقَعُ فِي الْحَسَدِ فَيُؤْذِيكَ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْكَ، وَيُحَذِّرُ مِنْكَ، وَيُبْغِضُكَ، وَيَتَقَوَّلُ عَلَيْكَ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا نَبِيهًا حَرِيصًا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَبْعُدَ عَنْ طُرُقِ الرَّدَى وَسُبُلِ الْهَوَى.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى» هَكَذَا يُرَبِّي طَلَبَةَ الْعِلْمِ عَلَى الدَّلِيلِ، وَقَبْلُ قَالَ: «الْأُولَى: الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ» بِالدَّلِيلِ، وَهُنَا أَيْضًا يَقُولُ: «وَالدَّلِيلُ»؛ أَيْ: عَلَى مَا سَبَقَ.

قَالَ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}».

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعَةِ كَالتَّالِي:

أَمَّا الْعِلْمُ، فَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} فَبِمَاذَا آمَنُوا؟! عَلِمُوا مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ فَآمَنُوا. {وَعَمِلُوا} بِمَاذَا عَمِلُوا؟ عَمِلُوا بِمَا عَلِمُوا. فَإِذَنْ؛ هَذَا دَلِيلُ الْعِلْمِ.

وَأَمَّا الْعَمَلُ بِهِ، فَهُمْ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ، فَوَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا، وَأَيْضًا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَأَنَّهُمْ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، فَإِذَنْ؛ هَذَا دَلِيلُ الْعَمَلِ بِهِ.

وَأَمَّا الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، فَدَلِيلُهَا التَّوَاصِي بِالْحَقِّ.

وَأَمَّا الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى، فَدَلِيلُهَا: التَّوَاصِي بِالصَّبْرِ.

إِذَنْ؛ هَذِهِ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ وَالدَّعْوَةُ وَالصَّبْرُ، مَعَ ظُهُورِهَا، إِلَّا أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ يُرَبِّينَا -نَحْنُ طَلَبَةَ الْعِلْمِ- عَلَى الدَّلِيلِ، كُلُّ مُفْسِدٍ وَفَتَّانٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوقِفَ فِتْنَتَهُ وَإِفْسَادَهُ بِأَنْ تَقُولَ لَهُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ مَا الْحُجَّةُ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ؟ فَإِنْ هَرَبَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ كَذَّابٌ فَتَّانٌ، وَإِنْ أَتَى بِالْحُجَّةِ وَكَانَتْ حُجَّةً ثَابِتَةً، وَكَانَ الْحَقُّ ظَاهِرًا فَيَجِبُ قَبُولُهُ، وَإِلَّا قَوْلُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»؛ يَعْنِي الشَّافِعِيُّ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ سُورَةَ الْعَصْرِ مِنْ حَيْثُ دِلَالَتِهَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ هِيَ حُجَّةٌ كَافِيَةٌ لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يُنْزِلُ اللهُ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ فَقَطْ، لَا، وَإِنَّمَا «إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ» فِي هَذِهِ الْمَعَانِي: الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}.

فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ {فَاعْلَمْ}.

قَبْلَ الْقَوْلِ {لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ}.

وَالْعَمَلِ بِالاِسْتِغْفَارِ.

فَمَنْ عَمِلَ بِلاَ عِلْمٍ -كَمَا يَقُولُ السَّلَفُ- كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ.

وَقَالُوا: كَيْفَ يَسْتَقِيمُ الظِّلُّ وَالْعُودُ أَعْوَجُ؟!

وَمَنْ عَمِلَ بِلاَ عِلْمٍ أَشْبَهَ حَالَ النَّصَارَى الَّذِينَ ضَلُّوا عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالَّذِينَ تَرَهَّبُوا وَابْتَدَعُوا رَهْبَانِيَّةً، وَاشْتَغَلُوا بِالْعِبَادَةِ وَلَمْ يَشْتَغِلُوا بِالْعِلْمِ، الْعَمَلُ مَطْلُوبٌ، الْعِبَادَةُ مَطْلُوبَةٌ، وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ عَلَى عِلْمٍ، فَلِذَلِكَ قَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَهَذَا فِيهِ رَدٌّ عَلَى الْجَمَاعَاتِ الَّتِي تَدْعُو النَّاسَ بِلاَ عِلْمٍ، فَهَذِهِ الْجَمَاعَاتُ يَنْبَغِي أَنْ تَدْعُوَ نَفْسَهَا أَوَّلًا إِلَى الْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوَ غَيْرَهَا.

وَأَيْضًا فِي هَذَا الْقَوْلِ: بَابُ الْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ يَتَصَدَّرُونَ قَبْلَ أَنْ يَتَأَهَّلُوا عِلْمِيًّا.

قَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

أَيْ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– بَدَأَ بِالْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ: {فَاعْلَمْ} قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}.

مَا الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُشِيرَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ وَالْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ؟!

يُرِيدُ أَنْ يُرَكِّزَ عَلَى قَضِيَّةِ الْعِلْمِ، وَأَنْ تَكُونَ الْحُجَّةُ وَالدَّلِيلُ هِيَ نِبْرَاسٌ وَضِيَاءٌ وَنُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْمُسْلِمُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– .

فَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، فَمَا هِيَ الْبَصِيرَةُ؟

هِيَ الْعِلْمُ وَالْحُجَّةُ وَالْحِكْمَةُ.

{أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}، فَإِنْ كُنْتَ مُتَّبِعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَاطْلُبِ الْحُجَّةَ، وَاحْذَرْ –بَارَكَ اللهُ فِيكَ– مِنْ جَعْلِ الْحُجَّةِ قَوْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُوشِكُ أَنْ تَسْقُطَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ لَكُمْ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ عُمَرُ.

إِذَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– لَا يَرْتَضِي بِقَوْلِ أَحَدٍ مَعَ قَوْلِ اللهِ، وَقَوْلِ رَسُولِهِ؛ يَعْنِي: مَعَ الْحُجَّةِ، فَكَيْفَ نُقَدِّمُ قَوْلَ زَيْدٍ أَوْ عُبَيْدٍ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْحُجَجِ وَالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، إِنَّ هَذَا هُوَ التَّعَصُّبُ فِي صُورَةِ الِاتِّبَاعِ، إِنَّ هَذَا هُوَ الْجَهْلُ وَالِانْحِرَافُ فِي صُورَةِ الِاهْتِدَاءِ لِلْحَقِّ، مَوَازِينُ مَعْكُوسَةٌ وَمَقْلُوبَةٌ عِنْدَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ تَأْتِيهِمْ بِالْحَقِّ فَيَقُولُ لَكَ: لَا. قَالَ فُلَانٌ. نَحْنُ لَسْنَا أَعْلَمَ مِنْهُ!

يَا أَخِي، طَيِّب فُلَانٌ أَعْلَمُ مِنْ (قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ، قَالَ الصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-)؟!

يَا أَخِي، فُلَانٌ هَلْ قَوْلُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْحُجَّةِ؟!

وَاللَّهِ لِلأَسَفِ نَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ، مَهْمَا تَأْتِيهِ مِنْ آيَةٍ يُعْرِضُ عَنْهَا، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- .

فَنَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ، وَنَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحُجَّةَ، وَمِمَّنْ يَسِيرُ عَلَى الْحُجَّةِ عَلَى الدَّلِيلِ، وَيَجْعَلُنَا مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْبَاطِلِ.

فَاحْرِصُوا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- فِي كُلِّ أَمْرِكُمْ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، عَلَى لُزُومِ السُّنَّةِ، عَلَى لُزُومِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-.

أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّانِي مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَنُوَاصِلُ -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- قِرَاءَةَ رِسَالَةِ ((الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ)) لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وَقَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ فِي الْقِرَاءَةِ وَالتَّعْلِيقِ أَحْبَبْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَ إِخْوَانِي طُلاَّبِ الْعِلْمِ وَطَالِبَاتِ الْعِلْمِ مَا سَبَقَ أَنْ مَرَّ مَعَنَا فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ، وَهِيَ: الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، فَمَا هِيَ تِلْكَ الْمَسَائِلُ؟!

أَوَّلًا: الْعِلْمُ. وَثَانِيًا: الْعَمَلُ. وَثَالِثًا: الدَّعْوَةُ إِلَى هَذَا الْعِلْمِ. وَرَابِعًا: الصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى الَّذِي قَدْ يَتَرَتَّبُ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ –عَزَّ وَجَلَّ– : {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

إِذَنْ؛ هَذِهِ هِيَ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعَةُ، عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مُتَذَكِّرِينَ لَهَا عَامِلِينَ بِهَا.

وَالْيَوْمَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى نُكْمِلُ دِرَاسَةَ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– :

اعْلَمْ –رَحِمَكَ اللهُ– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ:

الْأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا* فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً}.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا}.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

الشَّرْحُ

فَهَذِهِ الجُمَلُ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– هِيَ مِنَ الْأُصُولِ الْمُفِيدَةِ وَالْمُهِمَّةِ، وَالْمَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا.

قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : ((اعْلَمْ –رَحِمَكَ اللهُ– أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ)).

فَقَوْلُهُ: ((يَجِبُ)) أَيْ: وُجُوبًا عَيْنِيًّا.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ يَسْتَقِيمُ بِهَا الدِّينُ، وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْأُصُولِ وَالْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ جَهْلُهَا، وَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِخِلَافِهَا.

قَوْلُهُ: ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ))؛ يَعْنِي: ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى. فَالْمُسْلِمُ مُكَلَّفٌ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَالْمُسْلِمَةُ مُكَلَّفَةٌ وَعَلَيْهَا أَنْ تَتَعَلَّمَ، وَأَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا يَنْفَعُهَا مِنْ أُمُورِ دِينِهَا، وَمَا يُقَرِّبُهَا إِلَى رَبِّهَا، وَأَنْ تَحْذَرَ الْمُسْلِمَةُ خُصُوصًا هَذِهِ الْأَيَّامَ وَهَذِهِ الْأَزْمِنَةَ الْمُتَأَخِّرَةَ الَّتِي يَحْرِصُ فِيهَا أَعْدَاءُ اللهِ وَيَحْرِصُ فِيهَا أَهْلُ الْفِتَنِ وَالشَّرِّ عَلَى

فِتْنَتِهَا وَعَلَى انْحِرَافِهَا، وَعَلَى اسْتِعْمَالِهَا سِلاَحًا ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ، فَيَجْعَلُونَهَا فِتْنَةً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ.

فَالْمُسْلِمَةُ هِيَ أُمٌّ، وَهِيَ أُخْتٌ، وَهِيَ زَوْجَةٌ، وَهِيَ بِنْتٌ، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْقَرَابَاتِ، عَلَيْهَا أَنْ تَحْرِصَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى مَنْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفِيدَهُ مِمَّنْ هِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُ.

أَمَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : ((**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالرَّجُلُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**))؟!

فَأَنْتِ يَا أَمَةَ اللهِ، أَنْتِ مَسْئُولَةٌ، وَالْحِمْلُ ثَقِيلٌ عَلَيْكِ، هَذِهِ الْأَجْيَالُ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْبِيَتِكِ وَإِلَى تَوْجِيهِكِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَعَلَى مَحَبَّةِ اللهِ، وَعَلَى اتِّبَاعِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَحُبِّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَعَلَى أَنْ يَنْشَأَ النَّشْءُ عِنْدَكِ مِنَ الْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَةِ وَنَحْوِهِمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– .

قَالَ: ((يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ ثَلاَثِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ)).

وَالثَّلاَثُ الْمَسَائِلُ هِيَ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: فِي تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَالْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: فِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ.

أَمَّا الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى (تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ) وَهِيَ تَعْنِي: أَنْ نَعْتَقِدَ وَأَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْخَالِقُ وَالرَّازِقُ وَالْمَالِكُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَهُ الْمُلْكُ التَّامُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : ((الْأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً)).

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- خَلَقَنَا مِنَ الْعَدَمِ، كَمَا قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}؛ أَيْ: كَانَ مَعْدُومًا لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا، هُوَ الَّذِي أَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ، وَخَلَقَنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَمِنْ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ فَضْلِهِ أَنْ رَزَقَنَا، فَرَزَقَنَا النِّعَمَ، كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا}.

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّزَّاقُ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْهِ، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}.

فَاللَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، هُوَ الَّذِي نَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي سُؤَالِ الرِّزْقِ، الرِّزْقُ لَيْسَ فَقَطْ فِي الْمَالِ، الرِّزْقُ يَكُونُ بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ، بِالزَّوْجِ الصَّالِحِ، بِالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ، بِرِزْقِ الطَّيِّبَاتِ وَالْأُمُورِ الصَّالِحَةِ، فَمِنَ الْغَلَطِ الَّذِي يَفْهَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يَقْصُرُ الرِّزْقَ فَقَطْ عَلَى الْمَالِ.

لَا، اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَدْ يُعْطِيكَ مِنَ الرِّزْقِ مَا لَا يُعْطِي غَيْرَكَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، بِأَنْ يَرْزُقَكَ أَوْلَادًا صَالِحِينَ بَارِّينَ، أَوْ أَنْ يَرْزُقَكَ الصَّلَاحَ فِي أَمْرِكَ، فَالْمَالُ لَيْسَ كُلَّ شَيْءٍ، وَلِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى مَا رَزَقَنَا مِنَ النِّعَمِ،{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا}.

إِذَنْ؛ ((أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا)) يَعْنِي: لَمْ يَتْرُكْنَا نَفْعَلُ مَا نَشَاءُ، وَنَخْتَارُ مَا نَشَاءُ، وَلَمْ يَتْرُكْنَا نَلْعَبُ وَنَلْهُو ثُمَّ نَمُوتُ وَتَنْقَضِي الْأُمُورُ، لَا، بَلْ إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مَعَ مَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ مِنْ نِعْمَةِ الْخَلْقِ، وَنِعْمَةِ الرِّزْقِ، أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمَةِ الرِّسَالَةِ.

فَأَرْسَلَ لَنَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، لِيُخْرِجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، لِيُقَرِّبَنَا مِنْ رَبِّنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وَمِنْ جَنَّتِهِ، وَيُبْعِدُنَا عَنِ النَّارِ وَعَنْ سَخَطِهِ وَعِقَابِهِ، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا سُدًى، لَا نُؤْمَرُ وَلَا نُنْهَى، كَمَا قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ- : {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}.

وَقَالَ –عَزَّ وَجَلَّ– : {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}؛ أَيْ: هَمَلاً؛ لَا يُحَاسَبُ، وَلَا يُعَاقَبُ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْ خَلْقِهِ. بَلْ هُنَاكَ –كَمَا سَبَقَ– حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرْسَلَ إِلَيْنَا هَذَا الرَّسُولَ كَمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ((بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛ فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)).

هَذَا الرَّسُولُ كَمَا نَعْلَمُ كُلُّنَا هُوَ حَبِيبُنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، الرَّحِيمُ الرَّءُوفُ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِي مَا تَرَكَ خَيْرًا إِلَّا وَدَلَّنَا عَلَيْهِ، وَمَا تَرَكَ شَرًّا إِلَّا وَحَذَّرَنَا مِنْهُ، وَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَشْهَدَ الصَّحَابَةَ لَمَّا قَالَ لَهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**)).

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَنَا مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِنُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَنَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، لِذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: ((**فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**)).

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

وَأَيْضًا قَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى))؛ يَعْنِي: مَنْ رَفَضَ.

قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟! مَنْ يَرْفُضُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

فَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : ((**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**)).

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : ((الْكَمَالُ فِي كَمَالِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا)) اهـ.

فَطَاعَةُ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيهَا الْخَيْرُ وَالسَّعَادَةُ، وَفِيهَا النَّجَاةُ.

نَحْنُ نَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ، نَبْحَثُ عَمَّا يُرِيحُنَا، نَبْحَثُ عَمَّا يُسْعِدُنَا، نَبْحَثُ عَنْ أُمُورٍ يَكُونُ فِيهَا الْخَيْرُ.

أَلَا فَلْنَعْلَمْ جَمِيعًا أَنَّ الْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي طَاعَةِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَالسَّعَادَةَ كُلَّ السَّعَادَةِ فِي طَاعَةِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَالرَّاحَةَ كُلَّ الرَّاحَةِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَطَاعَتِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

لِذَلِكَ مَنْ بَحَثَ عَنِ السَّعَادَةِ فِي غَيْرِ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ، وَاللَّهِ لَمْ يَسْعَدْ، وَاللَّهِ لَمْ يُفْلِحْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفِي شَقَاءٍ؛ لِأَنَّ السَّعَادَةَ هَذَا طَرِيقُهَا، وَهَذَا سَبِيلُهَا، وَهَذَا الطَّرِيقُ الْمُؤَدِّي إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: ((**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالَاهُ**)).

((**وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**))؛ مَنْ عَصَى الرَّسُولَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دَخَلَ النَّارَ كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– : {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}.

وَمُرَادُهُ هُنَا ((**وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**))؛ يَعْنِي مَنْ كَفَرَ بِهِ وَمَنْ جَحَدَهُ وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مَا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– دَخَلَ النَّارَ، هَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ؛ هَذَا إِذَا وَقَعَ فِي الْكُفْرِ ((**وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ**)).

وَأَيْضًا مَنْ عَصَى الرَّسُولَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِأَنِ ارْتَكَبَ الذُّنُوبَ دُونَ الْكُفْرِ فَإِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ إِنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمَعَاصٍ هُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ غَفَرَ لَهُ ابْتِدَاءً فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ثُمَّ مَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وَذَكَرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– يَأْمُرُ مَلائِكَتَهُ أَنْ تُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ تُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ثُمَّ يُرْسِلُهُمْ مَرَّةً ثَالِثَةً أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ثُمَّ يَقْبِضُ اللهُ قَبْضَةً يُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– مِمَّنْ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ.

فَهُمْ لَا يُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ وَهُمْ كَمَا سَبَقَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ غَفَرَ لَهُمُ ابْتِدَاءً وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

وَالشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)) أَيْ: وَمَنْ كَفَرَ بِهِ. بِدَلِيلِ قَوْلِهِ حِينَ قَالَ:

((وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً})).

فَإِذَنْ مُرَادُهُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بِقَوْلِهِ: ((وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)) أَيْ: بِالْكُفْرِ وَالْجُحُودِ وَالْإِشْرَاكِ يَسْتَوْجِبُ النَّارَ بِذَلِكَ .

وَإِنَّمَا نَبَّهْتُ عَلَى مَسْأَلَةِ أَنَّ مَنْ عَصَاهُ مَعَ التَّوْحِيدِ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ وَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مَسْأَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَصَلَ فِيهَا التَّدْلِيسُ وَالتَّلْبِيسُ مِمَّنْ يُعْرَفُ بِالْخَوَارِجِ وَمِمَّنْ يُعْرَفُونَ بِالدَّوَاعِشِ وَنَحْوِهِمْ، الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ السَّلَفَ الصَّالِحَ يَعْتَقِدُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدِلَّةُ أَنَّ مَنْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَلَوْ كَانَتْ عِنْدَهُ ذُنُوبٌ أَنَّهُ لَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَيْسَ بِمُشْرِكٍ، وَأَنَّ مَنْ كَانَ حَيًّا مِمَّنْ وَقَعَ فِي الذُّنُوبِ مَعَ إِتْيَانِهِ بِالتَّوْحِيدِ فَهُوَ مُسْلِمٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، مُؤْمِنٌ بِطَاعَتِهِ فَاسِقٌ بِمَعْصِيَتِهِ.

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ ذُكِرَ أَنَّ امْرَأَةً مِمَّنْ كَانَتْ قَبْلَنَا بَغِيَّةً كَانَتْ زَانِيَةً تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ فَرَأَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ فَنَزَعَتْ خُفَّهَا فَسَقَتْهُ مِنَ الْبِئْرِ فَغَفَرَ اللهُ لَهَا .

وَأَيْضًا ذَكَرَ لَنَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَوْ جَاءَ فِي قِصَّةِ أَحَدِ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ فَجُلِدَ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ وَثَلَاثَةً فَسَبَّهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ((**لَا تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**)) فَأَثْبَتَ لَهُ مَحَبَّةَ اللهِ وَرَسُولِهِ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ .

فَإِذَنْ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَدَمُ تَكْفِيرِ صَاحِبِ الْمَعْصِيَةِ وَكَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}.

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ أَنَّهُ قَالَ((**يَابْنَ آدَمَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ**)) يَعْنِي بِمَا يَمْلأُ الْأَرْض ((**خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَغَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي**)).

هَذِهِ الْأَدِلَّةُ تَدُلُّ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّوْحِيدِ وَعَلَى أَهَمِّيَّةِ تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ وَأَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْرِصَ كُلَّ الْحِرْصِ عَلَى مَعْرِفَةِ التَّوْحِيدِ وَعَلَى خُطُورَةِ الشِّرْكِ وَالْبُعْدِ عَنْهُ وَأَنَّ الشِّرْكَ يُبْطِلُ الْعَمَلَ.

كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ بَابِ التَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ وَحَاشَاهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَقَعَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ –عَزَّ وَجَلَّ–: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}.

فَإِذَنْ؛ هَذِهِ الْأَدِلَّةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَى الدَّوَاعِشِ، فِيهَا رَدٌّ عَلَى الْخَوَارِجِ الَّذِينَ يُكَفِّرُونَ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي؛ أَمَا سَمِعْنَاهُمْ قَبَّحُهُمُ اللهُ وَقَاتَلَهُمْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ أَمَا سَمِعْنَاهُمْ يَقُولُونَ: قَرِيبُكَ أَخُوكَ خَالُكَ ابْنُ عَمِّكَ يَعْصِي أَوْ يَعْمَلُ مَثَلاً مَعَ كَذَا فَكَفِّرْهُ ثُمَّ اقْتُلْهُ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالِ! أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ خُبْثِ الشَّيْطَانِ كَمَا وَصَفَهُمُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

فَبِمَ وَصَفَ النَّبِي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْخَوَارِجَ؟!

بِأَنَّهُمْ ذِئَابٌ فِي جُسْمَانِ إِنْسٍ؛ وَوَصَفَهُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَتْرُكُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ؛ وَوَصَفَهُمْ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِأَنَّهُمْ شَرُّ الْخَلِيقَةِ وَبِأَنَّهُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ.

لِذَلِكَ لَا يَجُوزُ الْفَرَحُ بِمَا يَعْمَلُونَ وَلَا تَجُوزُ مَحَبَّتُهُمْ وَلَا نُصْرَتُهُمْ وَلَا اعْتِقَادُ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ، بَلْ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَأَنَّهُمْ مُفْسِدُونَ وَأَنَّهُمْ مُبْتَدِعَةٌ ضُلاَّلٌ كَمَا حَكَمَ بِذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَكَمَا بَيَّنَ ذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ .

إِذَنْ نَعُودُ لِمَسْأَلَتِنَا وَهِيَ أَنَّ مَنْ عَصَى الرَّسُولَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْكُفْرِ أَوِ الشِّرْكِ أَوِ الْإِلْحَادِ أَوْ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الدِّينِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

قَالَ: ((وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ})).

هَذَا خِطَابٌ لَنَا، أَرْسَلَ اللهُ لَنَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَاهِدًا عَلَيْنَا.

فِي مَاذَا يَكُونُ شَاهِدًا عَلَيْنَا؟!

فِي أَنْ بَلَّغَنَا، وَشَاهِدًا عَلَيْكُمْ أَيْضًا بِأَعْمَالِكُمْ -يَعْنِي الصَّحَابَةَ- فِي عَهْدِهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَأَيْضًا شَاهِدًا عَلَيْنَا فِي أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَّغَ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ كَمَا سَبَقَ مَعَنَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ حِينَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ! اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ**)).

إِذَنْ؛ {رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ}؛ وَكُلُّ نَبِيٍّ يَأْتِي مَعَ أُمَّتِهِ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِأَنَّهُ قَدْ بَلَّغَهَا مَا أَمَرَهَا اللهُ بِهِ.

قَالَ: {كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} وَهُوَ مُوسَى –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–.

{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} كَفَرَ بِهِ وَجَحَدَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

مَا كَانَ عِقَابُهُ؟!

قَالَ: {فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً}؛ أَيْ: أَخَذْنَا فِرْعَوْنَ أَخْذًا شَدِيدًا بِإِغْرَاقِهِ وَجُنُودِهِ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعْرَضُونَ كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}.

فَيُعْرَضُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُعَذَّبُونَ غُدُوًّا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَعَشِيًّا فِي آخِرِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ فِي النَّارِ {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}.

إِذَنْ؛ هَذِهِ هِيَ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ وَالشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ذَكَرَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ لِيُذَكِّرَنَا جَمِيعًا أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَأَنَّ الْمُسْتَحِقَ لِلْعِبَادَةِ هُوَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– وَأَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْكَوْنِ وَأَنَّ مَا سِوَاهُ عِبَادٌ لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَمِنَ الْإِنْسِ وَمِنَ الْجِنِّ.

فَلاَ يَجُوزُ أَنْ نَعْتَقِدَ فِي أَحَدٍ أَنَّ بِيَدِهِ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ بَلِ الْأَمْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ كُلُّنَا نُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ خَالِقٌ رَازِقٌ وَأَنَّهُ سبحانه وتعالى بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا؛ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا وَأَنْ نَتَذَكَّرَ هَذَا وَأَلَّا يَصْرِفَنَا الشَّيْطَانُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ؛ لِذَا رُتِّبَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ :

الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: وَهِيَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، فَقَالَ أَنَّ مِمَّا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

لَا بُدَّ أَنْ نُوقِنَ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَأَنْ نَعْتَقِدَهَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ نُشْرِكَ مَعَ اللهِ أَحَدًا لَا يَجُوزُ أَنْ نَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالطَّوَافِ وَالنَّذْرِ وَالذَّبْحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لَا تُصْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَمَنْ صَرَفَهَا لِغَيْرِ اللهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ لَا جِبْرِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا إِسْرَافِيلُ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

اللهُ مَا يَرْضَى أَنْ تُشْرِكَهُمْ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

لِمَاذَا؟

لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ هُوَ الرَّازِقُ هُوَ الرَّبُّ سبحانه وتعالى وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقُونَ فَكَيْفَ تَجْعَلُ الْمَخْلُوقَ كَالْخَالِقِ؟!

كَيْفَ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْمَخْلُوقَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي هَذَا الْكَوْنِ أَوْ أَنْ يَنْفَعَكَ أَوْ أَنْ يَضُرَّكَ وَهُوَ مَخْلُوقٌ مِثْلَكَ عَبْدٌ مِثْلَكَ؟!

كَيْفَ تَعْتَقِدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ الضَّالِّ؟!

لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– كَمَا قَالَ: {إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}.

وَقَالَ: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}؛ أَي: وَلَمْ يَرْضَ غَيْرَهُ.

وَقَالَ: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}.

وَقَالَ: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

وَالْإِسْلَامُ هُوَ الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ. فَاعْلَمْ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا الْأَمْرَ .

((وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)) لَا نُوحٌ وَلَا مُوسَى وَلَا عِيسَى وَلَا مُحَمَّدٌ وَهُوَ أَفْضَلُهُمْ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ صَاحِبُ اللِّوَاءِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ.

فَإِنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يَرْضَى أَنْ تُشْرِكَهُ مَعَهُ بَلْ وَلَا الْأَنْبِيَاءُ وَلَا الْمَلَائِكَةُ لَا يَرْضَوْنَ أَنْ تُشْرِكَهُمْ مَعَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَبَرَّءُونَ مِمَّنْ عَبَدَهُمْ وَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ بِهِمْ وَلَمْ يَأْمُرُوهُمْ بِذَلِكَ.

فَإِذَنْ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِهَذَا الْأَمْرِ.

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: ((وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا})).

أَي: الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ، أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: {فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ مَعَهُ أَحَدًا كَائِنًا مَنْ كَانَ .

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ} مَا الْمُرَادُ بِالْمَسَاجِدِ؟!

الْمَسَاجِدُ: إِمَّا الْأَمَاكِنُ الْمُخَصَّصَةُ لِلصَّلَاةِ، هَذَا مَعْنًى .

وَمَعْنًى آخَرُ: أَنَّ الْمَسَاجِدَ هِيَ أَعْضَاءُ السُّجُودِ؛ يَعْنِي: (الْوَجْهَ وَمِنْهُ الْجَبْهَة– الْأَنْفُ– الْيَدَانِ– الرُّكْبَتَانِ– الْقَدَمَانِ).

هَذِهِ أَعْضَاءُ السُّجُودِ الَّتِي تَسْجُدُ لِلَّهِ، هَذِهِ الْمَسَاجِدُ الَّتِي تَسْجُدُ لِلَّهِ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَلَا تُصْرَفُ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–{فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

وَقَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ– {أَحَدًا}؛ يَعْنِي: لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلاً وَلَا وَلِيًّا وَلَا غَيْرَهُمْ لَا دُعَاءَ عِبَادَةٍ وَلَا دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ وَلَا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ إِنَّمَا هِي لِلَّهِ؛ وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هُنَا قَالَ: {فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}.

فَذَكَرَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَنْ لَا نَدْعُوَ مَعَ اللهِ أَحَدًا وَالْمَعْنَى أَنْ لَا نَدْعُوَ مَعَ اللهِ أَحَدًا وَلَا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ نَصْرِفُهَا لِغَيْرِ اللهِ، مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ أَنَّ الرَّسُولَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ ((**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**)) يَعْنِى مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ دُعَاءُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَتَوْحِيدُهُ بِالدُّعَاءِ وَإِخْلَاصُهُ بِالدُّعَاءِ لَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– .

هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ الْمُتَرَتِّبُ عَلَى تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ نَعِيَ هَذَا الْأَمْرَ وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ يَقُولُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– : ((**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ**)).

اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ .. تَأَمَّلُوا .. ((**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**))؛ يَعْنِي لَنْ يَقْبَلَهُ؛ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: كُلُّ شَرِيكٍ مَعَ شَرِيكِهِ قَدْ يَفْرَحُ بِهِ وَقَدْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَقَدْ يَسْتَعِينُهُ وَلَكِنْ أَنَا اللهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْفَرْدُ أَنَا لَا أَحْتَاجُ إِلَى شَرِيكٍ وَلَا أَرْضَى بِشَرِيكٍ فَمَنْ عَبَدَنِي وَأَشْرَكَ مَعِيَ غَيْرِي فَإِنِّي أَتْرُكُهُ وَلَا أَقْبَلُ مِنْهُ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ}.

فَإِذَنْ؛ عَلَيْنَا أَنْ نَتَنَبَهَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَسَيُفَصِّلُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ وَيَذْكُرُهَا لَنَا وَسَنَقِفُ مَعَهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((الثَّالِثَةُ)).

أَشَارَ إِلَى مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، لِمَاذَا يُشِيرُ إِلَى مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ؟!

لِأَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَحْرِفُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْحَقِّ وَتُضِلُّهُ وَتَجْعَلُهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ قَضِيَّةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَهَا وَأَنْ نَتَعَلَّمَهَا وَأَنْ لَا نَقَعَ فِيمَا يُخَالِفُهَا لِأَنَّهُ سَيَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا أُمُورٌ عَظِيمَةٌ .

فَالْوَلَاءُ بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالنُّصْرَةِ وَالتَّوَلِّي.

وَالْبَرَاءُ بِمَعْنَى التَّبَرِّي وَالتَّرْكِ وَالْخُلُوصِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

يَقُولُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)).

مُرَادُهُ بِمُوَالَاةِ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ أَيْ مَحَبَّتُهُ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ وَنُصْرَتُهُ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْفَرَحُ بِنَصْرِهِ وَمَحَبَّةُ نُصْرَتِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْوَلَاءِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

قَالَ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ}: -أَيْ يُحِبُّونَ- {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} :- أَيْ مَنْ كَفَرَ {وَلَوْ كَانُوا}: أَيْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ {آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

فَذَكَرَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ الَّذِي قَدْ يَصْعُبُ عَلَى الْإِنْسَانِ تَرْكُهُ وَلَكِنْ يَسْهُلُ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَرْكُهُ لِأَنَّهُ يَتْرُكُهُ لِلَّهِ كَمَا تَبَرَّأَ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مِنْ أَبِيهِ وَمِنْ قَوْمِهِ حِينَ عَبَدُوا النَّارَ وَأَشْرَكُوا مِنْ دُونِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَإِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هَؤُلَاءِ الْأَقْرِبَاءِ لِيَقُولَ لَنَا أَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَإِنَّ الْأُبُوَّةَ أَوِ الْبُنُوَّةَ أَوِ الْأُخُوَّةَ أَوِ الْقُرْبَى بِالْعَشِيرَةِ لَا مَكَانَ لَهَا مَعَ الْكُفْرِ وَلَا اعْتِبَارَ لَهَا مَعَ الْكُفْرِ.

إِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ– مِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ أَبَاهُ حِينَ قَتَلَهُ وَهُوَ كَافِرٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَ ابْنَ عَمِّهِ لِأَنَّهُ كَافِرٌ وَأَرَادَ مُقَاتَلَةَ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ فَقَتَلَهُمْ لِذَلِكَ، لِذَلِكَ قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– عَنْ أُولَئِكَ: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

فَالْمُؤْمِنُ كَمَا يَقُولُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ أَنْ يَقَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُحِبَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لِكُفْرِهِمْ وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ فَمَنْ حَقَّقَ الْبَرَاءَ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَخْبَرَ بِأَنَّهُ يُثِيبُهُ وَيُجَازِيهِ بِأُمُورٍ:

- مِنْهَا جَمْعُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ}.

- وَمِنْهَا دُخُولُ الْجَنَّةِ {وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }.

– وَمِنْهَا رِضَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}.

– وَأَيْضًا أَنَّهُمْ يَرْضَوْنَ وَكَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ}.

– وَأَيْضًا إِكْرَامُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– لَهُمْ بِأَنَّهُمْ حِزْبُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– .

قَالَ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: ((مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُوَادٌّ لِأَعْدَاءِ اللهِ مُحِبٌّ لِمَنْ نَبَذَ الْإِيمَانَ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَإِنَّ هَذَا الْإِيمَانَ زَعْمِيٌّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ يَعْنِي مُجَرَّدَ زَعْمٍ مُجَرَّدَ قَوْلٍ لَا يَتْبَعُهُ فِعْلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ فَإِنَّ كُلَّ أَمْرٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ بُرْهَانٍ يُصَدِّقُهُ يَعْنِي مِنْ دَلِيلٍ يُصَدِّقُهُ فَمُجَرَّدُ الدَّعْوَى لَا تُفِيدُ شَيْئًا وَلَا يُصَدَّقُ صَاحِبُهَا)) اهـ .

فَإِذَنْ؛ عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ جَيِّدًا أَنَّ مُوَالَاةَ الْكَافِرِينَ وَتَوَلِّيَهُمْ كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، مَتَى تَكُونُ كُفْرًا مُخْرِجًا مِنَ الْمِلَّةِ؟!

إِذَا كَانَتْ مُوَالَاتُهُمْ مِنْ بَابِ تَوَلِّيهِمْ؛ مَحَبَّةُ الشِّرْكِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ، وَمَحَبَّةُ أَهْلِهِ، وَمَحَبَّةُ نُصْرَةِ الْكُفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوِ الْفَرَحُ بِنُصْرَتِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ إِعَانَتُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَمُظَاهَرَتُهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}.

كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي رِسَالَةِ ((نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ)): ((الثَّامِنُ)) أَيْ: مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ ((مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ

وَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}))، هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْمُوَالَاةِ كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ.

هُنَاكَ نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الْمُوَالَاةِ لَيْسَ بِكُفْرٍ، وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَلَكِنَّهُ مُحَرَّمٌ وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، مَا هِيَ هَذِهِ الْمُوَالَاةُ؟!

هِيَ الْمُوَادَّةُ وَالصَّدَاقَةُ ضِدُّ الْمُعَادَاةِ وَالْمُحَادَّةِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– : ((الْوِلَايَةُ ضِدُّ الْعَدَاوَةِ وَالْوِلَايَةُ تَضْمَنُ الْمَحَبَّةَ وَالْمُوَافَقَةَ وَالْعَدَاوَةُ تَضْمَنُ الْبُغْضَ وَالْمُخَالَفَةَ)).

فَإِذَنْ؛ ضَابِطُ الْمُوَالَاةِ الَّتِي هِيَ مِنْ بَابِ الْمَعْصِيَةِ وَلَيْسَتْ بِكُفْرٍ، مِنْ بَابِ الْكَبِيرَةِ وَكَبَائِرِ الذُّنُوبِ، هِيَ مَحَبَّةُ أَهْلِ الشِّرْكِ لِأَجْلِ الدُّنْيَا لَا لِأَجْلِ الدِّينِ، إِذَا كَانَتْ لِأَجْلِ الدِّينِ فَهَذِهِ كُفْرٌ أَكْبَرُ كَمَا سَبَقَ، وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِكُفْرٍ، بَلْ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} فَسَمَّاهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ} أَيْ؛ بِالْمَحَبَّةِ لِأُمُورِ الدُّنْيَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : ((وَقَدْ تَحْصُلُ لِلرَّجُلِ مُوَادَّتُهُمْ لِرَحِمٍ أَوْ حَاجَةٍ فَتَكُونُ ذَنْبًا يَنْقُصُ بِهِ إِيمَانُهُ وَلَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا كَمَا حَصَلَ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ حِينَمَا كَانَ عَمَلُهُ ذَنْبًا وَتَابَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– عَلَيْهِ وَغَفَرَ اللهُ لَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ)).

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمُوَالَاةِ الْكُفْرِيَّةِ وَالْمُوَالَاةِ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ، وَالْعُلَمَاءُ يُطْلِقُونَ عَلَى الْمُوَالَاةِ الْكُفْرِيَّةِ التَّوَلِّيَ لِمَا فِيهَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ وَمَا سَبَقَ، وَأَمَّا الْمُوَالَاةُ الَّتِي لِأَجْلِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَا يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ التَّوَلِّي بَلْ يَجْعَلُونَهَا مِنْ بَابِ الذُّنُوبِ وَكَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

فَالْمَحَبَّةُ لِلْكَافِرِينَ لِدِينِهِمْ كُفْرٌ، وَالْمَحَبَّةُ لِلْكَافِرِينَ لِلدُّنْيَا مَعْصِيَةٌ وَكَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ .

وَنَوْعٌ ثَالِثٌ لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَهُ وَأَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ لَهُمْ لِلدُّنْيَا وَبَيْنَ مُجَرَّدِ التَّعَامُلِ مَعَهُمْ، فَإِنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي تِجَارَاتٍ وَنَحْوِهَا وَفِي مُعَاهَدَاتٍ دَوْلِيَّةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ، فَإِنَّ هَذَا التَّعَامُلَ لَا يَقْتَضِي مَحَبَّتَهُمْ وَلَا يَقْتَضِي مُوَالَاتَهُمْ بَلْ هَذِهِ مُعَامَلَةٌ دُنْيَوِيَّةٌ لَيْسَتْ بِإِثْمٍ وَلَيْسَتْ بِذَنْبٍ بَلْ هِيَ أَمْرٌ مُبَاحٌ.

فَالصَّحَابَةُ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ– كَانُوا يَتَبَايَعُونَ وَيَشْتَرُونَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي الْمَدِينَةِ، بَلِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– .

فَيَنْبَغِي أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ أَنْوَاعِ الْمُوَالَاةِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ، وَحُكْمِ كُلِّ نَوْعٍ؛ فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ مِنَ الدَّوَاعِشِ وَالْخَوَارِجِ وَتَنْظِيمِ الْقَاعِدَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ كَجَبْهَةِ النُّصْرَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّكْفِيرِيِّينَ يُلَبِّسُونَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ فَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْكَافِرِينَ لِلدُّنْيَا كُفْرٌ، وَأَنَّ التَّعَامُلَ مَعَ الْكَافِرِينَ وَلَوْ كَانَ بِلَا مَحَبَّةٍ

لَهُمْ هِيَ مَحَبَّةٌ وَكُفْرٌ، فَيُكَفِّرُونَ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ، وَهَذَا بِلاَ شَكٍّ خَطَأٌ وَتَلْبِيسٌ عَلَى النَّاسِ.

فَقَدْ بَيَّنَّا الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَنْوَاعِ الثَّلاَثَةِ:

فَالنَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْمُوَالَاةُ بِمَعْنَى التَّوَلِّي مَحَبَّتُهُمْ لِدِينِهِمْ وَنُصْرَتُهُمْ لِدِينِهِمْ وَالْفَرَحُ بِنَصْرِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَمُظَاهَرَتُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهَذِهِ كُفْرٌ أَكْبَرُ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَا يُتَصَوَّرُ مِنْ مُسْلِمٍ أَنْ يَقَعَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

كَيْفَ يَفْرَحُ الْمُسْلِمُ بِنُصْرَةِ الْكَافِرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ؟!

كَيْفَ يُحِبُّ الْمُسْلِمُ لِلْكَافِرِ أَنْ يَنْتَصِرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؟!

كَيْفَ يُقَاتِلُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْكَافِرِينَ مِنْ بَابِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ وَنُصْرَةِ الْكَافِرِ؟!

لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا الْفَرْقَ فَإِنَّ هَذَا كُفْرٌ مُخْرِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: أَنْ يُحِبَّ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ لِلدُّنْيَا، فَإِنَّ هَذَا كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ لَيْسَ بِكُفْرٍ كَمَا يَقُولُهُ التَّكْفِيرِيُّونَ، وَإِنَّمَا هُوَ ذَنْبٌ.

وَمِنْ هُنَا لَا بُدَّ أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ حُبُّ لَاعِبِي الْكُرَةِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَجُوزُ مَحَبَّةُ الْفَنَّانِينَ وَالْفَنَّانَاتِ وَالْمُمَثِّلِينَ وَالْمُمَثِّلاَتِ وَالْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ مِنَ الْكَافِرِينَ، هُمْ أَصْلاً لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُبْغِضَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِسْقِ، وَلَا يُكَفِّرُهُمْ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا إِنْ كَانُوا مَعَ هَذَا الْفُجُورِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كَانُوا كُفَّارًا كَأَنْ يَكُونُوا يَهُودًا أَوْ نَصَارَى أَوْ مُلْحِدِينَ، فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُبْغِضَهُمْ وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ حُبُّهُمْ أَوْ أَنْ يُعَلِّقَ صُورَهُمْ أَوْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَهُمْ أَوْ أَنْ يَتَتَبَّعَ أَخْبَارَهُمْ مَحَبَّةً لَهُمْ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْمُوَالَاةِ الْمُحَرَّمَةِ وَهِيَ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

إِنْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا لَا لِدِينِهِمْ وَكُفْرِهِمْ فَهَذَا لَيْسَ بِكُفْرٍ، بَلْ كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ فَتَنْتَبِهُ لِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ:

- الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: مَنْ يَسْتَغِلُّ هَذَا النَّوْعَ وَيُكَفِّرُهُ فَنَقُولُ لَهُ: لَا لَيْسَ بِكُفْرٍ؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} فَسَمَّاهُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَمْ يُكَفِّرْهُمُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَوْ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ خَاطَبَهُمُ اللهُ إِنَّمَا وَقَعَتْ مِنْهُمْ مَحَبَّتُهُمْ لِلدُّنْيَا لَا لِلدِّينِ فَلِذَلِكَ لَمْ يُكَفَّرُوا .

- وَالتَّنْبِيهُ الثَّانِي التَّنْبِيهُ لِإِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ وَأَخَوَاتِنَا الْمُسْلِمَاتِ: أَنْ لَا يُحِبُّوا الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ وَالْمُمَثِّلَاتِ وَلَاعِبِي الْكُرَةِ وَغَيْرِهِمْ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا مُفَكِّرِينَ أَوْ كَانُوا مِمَّنْ لَهُمْ وَجَاهَاتٌ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ يُبْغَضُونَ فِي اللهِ وَيُتَبَرَّأُ مِنْهُمْ فِي اللهِ وَلَا يُحَبُّونَ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَتَرَفَّعُ عَنْ هَؤُلَاءِ .

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ: وَهُوَ التَّعَامُلُ مَعَ الْكُفَّارِ بَيْعًا وَشِرَاءً وَنَحْوَ ذَلِكَ، بَلْ حَتَّى الْمُسْلِمُ يَتَزَوَّجُ النَّصْرَانِيَّةَ وَالْكِتَابِيَّةَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَقَدْ أَذِنَ بِهِ الشَّرْعُ، وَلَا يُعْتَبَرُ هَذَا مِنْ بَابِ مَحَبَّتِهِمْ لِدِينِهِمْ وَلَا مِنْ بَابِ مَحَبَّتِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ.

فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِكُفْرٍ وَلَيْسَ بِمَعْصِيَةٍ أَصْلاً، هَذَا النَّوْعُ الثَّالِثُ الْمُعَامَلَةُ مَعَ الْكَافِرِينَ لِأَجْلِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ وَمَسْأَلَةَ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ وَهِيَ كَمَا سَبَقَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُهِمَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَا وَأَنْ يَتَفَهَّمَهَا وَأَنْ يَعْرِفَ مَقَاصِدَهَا، فَلاَ يَدْعُو إِلَّا اللهَ وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ وَلَا يَصْرِفُ أَيَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- .

وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ -هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ لِلصَّوَابِ- مِنَ اعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةٍ وَبَعْضِ الِاعْتِقَادَاتِ الْكُفْرِيَّةِ أَوِ الشِّرْكِيَّةِ مَا وَقَعَ فِيهِ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ خَطَأٌ مِنَ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ الطَّوَافِ عَلَى الْقُبُورِ أَوْ دُعَاءِ غَيْرِ اللهِ أَوِ اعْتِقَادِ أَنَّ السَّيِّدَ الْفُلَانِيَّ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ أَوْ مَدَد يَا فُلَان أَوْ نَحْو ذَلِكَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الِاسْتِغَاثَاتِ بِالْأَمْوَاتِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَوْ أَنَّ الشَّيْخَ وَالْوَلِيَّ يَعْرِفُ مَا فِي قَلْبِي.

فَكُلُّ هَذَا مِنَ الْبَاطِلِ كُلُّ هَذَا مِنَ الْخَطَأِ الْعَظِيمِ .

إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، أُخَاطِبُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ احْذَرُوا .. احْذَرُوا .. احْذَرُوا مِنَ الشِّرْكِ وَصُورِهِ!

احْذَرُوا مِنْ هَذَا الضَّلَالِ دُعَاءِ الْأَمْوَاتِ، الطَّوَافِ حَوْلَ الْقُبُورِ، الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ!

اسْأَلْ نَفْسَكَ: هَذَا الْمَيِّتُ أَصْبَحَ تُرَابًا مَا الَّذِي يُفِيدُنِي؟! وَمَا الَّذِي بِيَدِهِ؟!

هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَعَ نَفْسَهُ حَتَّى يَنْفَعَنِي أَنَا؟!

اسْأَلْ نَفْسَكَ: ذَاكَ الْوَلِيُّ مَا الَّذِي يُعْلِمُهُ الْغَيْبَ وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: {قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ} فَلاَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– فَكَيْفَ يَعْلَمُ هَذَا الْوَلِيُّ الْغَيْبَ؟!

مَنِ الَّذِي أَطْلَعَهُ؟!

الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُسْأَلُ عَن مَسَائِلَ وَيُجِيبُ: لَا أَدْرِي. وَيَقُولُ: لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ. فَكَيْفَ يَزْعُمُ هَذَا الْوَلِيُّ الْمَزْعُومُ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ؟! وَكَيْفَ تُصَدِّقُهُ؟!

فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَلَوْ أَخْبَرُوكُمْ بِبَعْضِ الْأُمُورِ وَقَدْ وَقَعَتْ فَإِنَّ هَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَعَاوُنِهِمْ مَعَ الشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ، فَلاَ تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُؤْمِنُوا بِهِمْ وَلَا تُسْلِمُوهُمْ قُلُوبَكُمْ وَعُقُولَكُمْ، سَلِّمُوا قُلُوبَكُمْ وَعُقُولَكُمْ لِلَّهِ وَلِسُنَّةِ رَسُولِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَلِدِينِهِ الْإِسْلَامِ الَّذِي جاءَ بِهِ.

كَيْفَ تُشْرِكُ مَعَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؟! وَكَيْفَ تَدْعُو مَعَ اللهِ غَيْرَهُ؟!

رَاجِعْ نَفْسَكَ! وَحَاسِبْ نَفْسَكَ! وَسَلْ نَفْسَكَ: هَلْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ تُقَرِّبُنِي مِنَ اللهِ؟!

هَلْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ يَرْضَاهَا اللهُ؟!

لِمَاذَا بَعَثَ اللهُ الرَّسُولَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟!

وَمَا الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟!

إِنَّمَا بَعَثَهُ لِنَعْبُدَهُ وَحْدَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، وَإِنَّمَا جَاءَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِتَوْحِيدِ اللهِ وَبِتَقْرِيرِهِ، حَتَّى قَبْلَ مَوْتِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– كَانَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ: ((**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)).

لَعَنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ، فَكَيْفَ بِمَنِ اتَّخَذَ قُبُورَ الْأَوْلِيَاءِ –وَبَعْضُهُمْ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ لَيْسُوا بِأَوْلِيَاءَ لِلَّهِ، وَلَكِنْ مَنْ دُعِيَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ–؟!

فَكَيْفَ بِدُعَاءِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟!

لَا شَكَّ أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِي قَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ((**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)).

فَمَنْ دَعَا هَؤُلَاءِ مِنْ دُونِ اللهِ قَدِ اسْتَحَقَّ اللَّعْنَ، ((**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**)) كَمَا قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: ((**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**)).

إِخْوَانِي أَخَوَاتِي، هَذا هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ، هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ، وَاللَّهِ لَنْ يَنْفَعَكُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ إِنْ مُتُّمْ عَلَى الشِّرْكِ وَإِنْ مُتُّمْ عَلَى الْكُفْرِ!!

وَاللَّهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَتَّبِعُونَهُمْ مِنْ دُونِ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتبَرَّءُونَ مِنْكُمْ إِنْ كَانُوا هُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ حَقًّا فَيَتبَرَّءُونَ مِنْكُمْ، وَإِنْ كَانُوا أَوْلِيَاءَ لِلشَّيَاطِينِ وَأَوْهَمُوكُمْ أَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ مِمَّنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ وَيَتبَرَّءُونَ مِنْكُمْ!!

الَّذِي يُهَدِّدُكَ فِي الدُّنْيَا يَتبَرَّؤُ مِنْكَ فِي الْآخِرَةِ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا، لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

مَنْ أَعْظَمُ مِنَ اللهِ؟!

مَنِ الْخَالِقُ؟!

مَنِ الْمُسْتَحِقُّ لِكُلِّ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ؟!

هُوَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .

تَأَمَّلُوا عِبَادَ اللهِ . . .

تَأَمَّلُوا إِخْوَانِي وَأَخَوَاتِي هَذِهِ الْمَعَانِي. . .

رَاجِعُوا أَنْفُسَكُمْ وَحَاسِبُوهَا قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا.

أَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا، وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا لَا حُجَّةً عَلَيْنَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّالِثُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَلاَ زَالَ الْحَدِيثُ مُسْتَمِرًّا عَنِ الْأُصُولِ الثَّلاَثَةِ الَّتِي أَلَّفَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَكُنَّا قَدْ تَدَارَسْنَا فِيمَا سَبَقَ الْمَسَائِلَ الْأَرْبَعَةَ الَّتِي ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا وَهِيَ الْعِلْمُ، وَالْعَمَلُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى ذَاكَ الْعِلْمِ وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى بَعْدَ بَيَانِهِ وَنَشْرِهِ لِلنَّاسِ، ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ثَلَاثَ مَسَائِلَ لَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ نَتَعَلَّمَهَا، وهي:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: الْمُتَعَلِّقَةُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِأَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً بَلْ أَقَامَ عَلَيْنَا الْحُجَّةَ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ.

فَالْوَاجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– وَاعْتِقَادُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَأَنَّ الْخَلْقَ خَلْقُهُ، وَالْكَوْنَ مِلْكُهُ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِنُطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ، وَنَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَأَمَّا **الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ**: فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَأَمَّا **الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فَفِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، فَالْمُسْلِمُ يُوَالِي الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَبَرَّأُ مِنَ الْكَافِرِينَ وَلَا يُوَالِيهِمْ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ وَأَنْوَاعِ الْمُوَالَاةِ وَحُكْمِ كُلِّ نَوْعٍ فَقُلْنَا:

إِذَا كَانَتِ الْمُوَالَاةُ هِيَ التَّوَلِّيَ فِي الدِّينِ وَحُبَّ نَصْرِ الْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَإِعَانَتَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَهِيَ مُوَالَاةٌ كُفْرِيَّةٌ.

وَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةَ الْكُفَّارِ لِلدُّنْيَا فَهِيَ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ وَلَكِنَّهَا كَبِيرَةٌ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ.

وَإِذَا كَانَتْ مُعَامَلَةَ الْكُفَّارِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا بِلاَ مَحَبَّةٍ فَهَذِهِ مُعَامَلَةٌ جَائِزَةٌ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ وَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، بَلْ هِيَ مُبَاحَةٌ كَمَا مَرَّ مَعَنَا فِي اللِّقَاءِ الْمَاضِي.

وَفِي هَذَا اللِّقَاءِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى نَدْخُلُ إِلَى دَرْسٍ جَدِيدٍ وَفَوَائِدَ عَظِيمَةٍ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

اعْلَمْ –أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ– أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: ٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، فَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١ – ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الشَّرْحُ

فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي أَصَّلَ فِيهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– هَذِهِ الْأُصُولَ النَّافِعَةَ الْجَامِعَةَ، يَقُولُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ».

«اعْلَمْ» –كَمَا مَرَّ مَعَنَا– أَيْ: تيَقَّنْ، وَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ شَكٌّ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ حَقٌّ أُقِيمَتْ عَلَيْهِ الْحُجَجُ وَالْأَدِلَّةُ، وَلِأَنَّهُ يَقِينٌ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى وَحْيٍ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَاعْلَمْ مُتيَقِّنًا لَا شَكَّ عِنْدَكَ وَلَا اضْطِرَابَ، وَاجْزِمْ بِالْحَقِّ لِأَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ»، «أَرْشَدَكَ»؛ بِمَعْنَى: وَفَّقَكَ وَجعَلَ لَكَ الرُّشْدَ فِي أَمْرِكَ، أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يُوَفِّقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِطَاعَتِهِ.

فَأَسْأَلُ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ وَفَّقَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِطَاعَتِهِ.

مَا الَّذِي تَعْلَمُهُ؟!

وَمَا الَّذِي تتيَقَّنُهُ؟!

يَجِبُ أَنْ تَتيَقَّنَ أَنَّ «الْحَنِيفِيَّةَ» هِيَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَهَذِهِ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

فَقَوْلُهُ: «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ»؛ مَا هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ؟! وَمَا هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ؟!

هِيَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

فَإِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– إِمَامُ الْحُنَفَاءِ الَّذِي قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– فِيهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَقَالَ أَيْضًا: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾.

وَقَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فَهَذِهِ الْمِلَّةُ؛ أَيِ: الدِّينُ وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا نَبِيُّ اللهِ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، وَالَّتِي أَمَرَنَا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَأَمَرَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ نَتَّبِعَهَا.

مَا هِيَ هَذِهِ الْحَنِيفِيَّةُ؟!

هِيَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ.

وَقَوْلُهُ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ» تَأْكِيدًا لِإِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

ثُمَّ أَكَّدَهُ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: «مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ»؛ أَيْ: لَا تُشْرِكْ مَعَهُ أَحَدًا.

لِأَنَّ الْمُخْلِصَ هُوَ مَنْ أَفْرَدَ اللهَ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَهَذِهِ هِيَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

لِمَاذَا قِيلَ لِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– بِأَنَّهَا «الْحَنِيفِيَّةُ»؟!

لِأَنَّ أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مَالَ عَنْ طَرِيقِ الشِّرْكِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَإِلَى إِفْرَادِ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ وَلِذَلِكَ «الْأَحْنَفُ» فِي لُغَةِ الْعَرَبِ: هُوَ الَّذِي فِي قَدَمِهِ مَيْلٌ. فَإِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– كَفَرَ بِمَا كَانَ يَعْبُدُ أَبُوهُ وَقَوْمُهُ مِنْ دُونِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–، وَآمَنَ بِاللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

لِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْظُرَ هَلْ هُوَ يَعْبُدُ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَا يَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–؟!

فَهُوَ عَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، عَلَى الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَاءِ، الَّتِي فِيهَا صَرْفُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ–عَزَّ وَجَلَّ–؛ مِنْ دُعَاءٍ وَخَوْفٍ وَرَجَاءٍ إِلَى آخِرِهِ، كَمَا سَيَأْتِينَا –إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى–.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ» «بِذَلِكَ» مَا الْأَمْرُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ؟!

هُوَ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الإِنْسَ وَالْجِنَّ» لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ؛ أَيْ: عَاقِلُونَ بَالِغُونَ، وَكُلِّفُوا بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ، فَهُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَى مَا كُلِّفُوا بِهِ.

قَالَ: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ الإِنْسَ وَالْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ لَهَا»، قَوْلُهُ: «خَلَقَهُمْ لَهَا»؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لِعِبَادَتِهِ، فَمَنْ آمَنَ وَاتَّبَعَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ نَجَا، وَمَنْ كَفَرَ وَتَوَلَّى فَلاَ يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَيَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ.

لِذَلِكَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى تَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ، عَلَى تَحْقِيقِ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَنَا بِذَلِكَ وَخَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ.

قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ أَيْ: وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ بِذَلِكَ وَخَلَقَنَا لِعِبَادَتِهِ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَعْنَى «يَعْبُدُونِ»؛ أَيْ: يُوَحِّدُونِ. أَيْ: يُفْرِدُونِي بِالْعِبَادَةِ، فَلاَ يُصْرَفُ أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِي.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ فَاللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَهَلْ يَلِيقُ بِنَا وَقَدْ خَلَقَنَا اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ، أَنْ نَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، نَصْرِفُهَا لِمَخْلُوقِينَ أَمْثَالِنَا أَمْ نَصْرِفُهَا لِلَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي خَلَقَنَا وَأَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ؟!

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ يُوَحِّدُونِ.

فَجَمِيعُ الْعِبَادَاتِ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– كَمَا قَالَ –عَزَّ شَأْنُهُ–: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾.

وَاللهُ أَمَرَنَا أَيْضًا بِعِبَادَتِهِ كَمَا قَالَ–عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

فَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَنَّهُ أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ بَلْ وَمُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، مَا مَعْنَى مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ؟!

أَيْ: لَا نَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْعِبَادَةِ إِلَّا لِلَّهِ–عَزَّ وَجَلَّ– وَبِذَلِكَ نَكُونُ حُنَفَاءَ؛ أَيْ: نَعْبُدُ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

ثُمَّ قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ»، «أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ»، اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرْسَلَ رُسُلَهُ وَأَوْحَى إِلَى أَنْبِيَائِهِ –صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ – وَاخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ، فَأَرْسَلَهُمُ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– فِي كُلِّ زَمَنٍ بِمَا شَاءَ مِنْ عِبَادَاتٍ إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ –عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ– وَإِنِ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَعِبَادَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقُونَ عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– وَعَلَى تَحْرِيمِ الشِّرْكِ بِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ التَّوْحِيدِ، وَعَلَى أَهَمِّيَّتِهِ، فَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ التَّوْحِيدُ.

مَا الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا؟!

الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا: الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ وَأَقْوَالُ السَّلَفِ الْمُتَوَاتِرَةُ فِي بَيَانِ التَّوْحِيدِ.

فَالتَّوْحِيدُ حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَالتَّوْحِيدُ لِأَجْلِهِ خَلَقَ اللهُ الْعِبَادَ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أَيْ: يُوَحِّدُونِ.

وَالتَّوْحِيدُ هُوَ الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ، فَمَنْ صَحَّ تَوْحِيدُهُ صَحَّ وَقُبِلَ مِنْهُ بَاقِي عَمَلِهِ، وَمَنْ فَسَدَ تَوْحِيدُهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ.

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فَبَيَّنَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ عَلَى الشِّرْكِ لَا يُغْفَرُ لَهُ أَبَدًا.

وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَمُتْ عَلَى الشِّرْكِ بَلْ مَاتَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ وَمَعَاصٍ فَهُوَ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ، إِنْ شَاءَ اللهُ غَفَرَ لَهُ ابْتِدَاءً فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَلَكِنْ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَمَا أَفَادَتْهُ الْأَحَادِيثُ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ ... إِلَى أَنْ قَالَ: «أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ» وَهُوَ التَّوْحِيدُ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «يَا بْنَ آدَمَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ» بِمِلْءِ الْأَرْضِ.

«خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا» أَيْ: مُوَحِّدٌ.

«لَغَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي».

فَبَيَّنَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ جَاءَهُ مُوَحِّدًا وَعِنْدَهُ ذُنُوبٌ قَدْ يَغْفِرُهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهُ وَلَا يُبَالِي مَا دَامَ أَنَّهُ عَلَى التَّوْحِيدِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ فَانْظُرُوا إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورًا﴾؛ أَيْ: هَبَاءً مِثْلَ الذَّرَّاتِ الَّتِي نَرَاهَا فِي الْهَوَاءِ، لَا وَزْنَ لَهَا وَلَا قِيمَةَ، وَلَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا فَهَذَا هُوَ حَالُ الْكَافِرِينَ.

لِذَلِكَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَ أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، كَمَا سَبَقَ هُوَ الْأَسَاسُ، وَمَعْنَى التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- بِالْعِبَادَةِ، وَإِفْرَادُ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- بِأَفْعَالِهِ، وَإِفْرَادُ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

فَهَذَا أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ، بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَهْتَمُّ بِالصَّلَاةِ وَيَهْتَمُّ بِالْحَجِّ وَيَهْتَمُّ بِسَائِرِ الْعِبَادَاتِ، وَلَكِنْ لَا يَهْتَمُّ بِالتَّوْحِيدِ، فَقَدْ يَقَعُ فِيمَا يُخَالِفُهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَدْ يَذْبَحُ لِغَيْرِ اللهِ أَوْ يَدْعُو غَيْرَ اللهِ أَوْ يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ بِغَيْرِ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- فَيَأْتِي بِمَا يُنَاقِضُ التَّوْحِيدَ أَوْ يُخَالِفُهُ أَوْ يَنْقُصُهُ.

لِذَلِكَ الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ يَنْفَعُ الْعَبْدَ -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- فِي تَجَنُّبِ ذَلِكَ الْبَاطِلِ وَذَلِكَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ.

قَالَ الشَّيْخُ: «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ».

فَأَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لَا تُصْرَفُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَعْظَمُهَا الدُّعَاءُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ ذَلِكَ.

وَتَأَمَّلُوا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ فِي قَوْلِ الشَّيْخِ «وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ بِهِ التَّوْحِيدُ» حَيْثُ بَيَّنَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ الْأُمُورِ فَقُولُوا لِي –بِرَبِّكُمْ–:

مَا صِحَّةُ حَالِ أُنَاسٍ يَعْتَبِرُونَ التَّوْحِيدَ أَنَّهُ يُفَرِّقُ الْجَمَاعَةَ؟!

وَمَا صِحَّةُ دَعْوَةِ أُنَاسٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ فِيهِ إِهَانَةٌ وَاحْتِقَارٌ لِلْأَوْلِيَاءِ، وَأَنَّ تَوْحِيدَ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– أَمْرٌ غَيْرُ مُهِمٍّ؟!

فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ مَنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ، وَإِضْلاَلِهِ لِبَنِي الْإِنْسَانِ.

فَلاَ بُدَّ أَنْ نَتيَقَّنَ وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ– عَزَّ وَجَلَّ– بِهَا، وَأَرْسَلَ لِذَلِكَ رُسُلَهُ –عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–.

«إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ» أَيْ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ–: «وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ».

دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، فَالشِّرْكُ أَعْظَمَ مَا نَهَى عَنْهُ، قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

قَالَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– فِي كِتَابِهِ أَنَّ لُقْمَانَ قَالَ لاِبْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

وَالنَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سُئِلَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟!

فَقَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟!

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ سُئِلَ هَذَا السُّؤَالُ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا»، النِّدُّ: هُوَ الْمِثِيلُ وَالشَّبِيهُ، كَيْفَ تَجْعَلُهُ شَبِيهًا وَنِدًّا لِلَّهِ؟!

حِينَ تَدْعُوهُ مَعَ اللهِ فَكَأَنَّكَ سَاوَيْتَهُ بِاللهِ، حِينَ تَذْبَحُ لِلْوَلِيِّ الْفُلَانِيِّ مَعَ اللهِ فَكَأَنَّكَ سَاوَيْتَهُ مَعَ اللهِ وَأَعْطَيْتَهُ مَا يَسْتَحِقُّهُ الرَّبُّ الْخَالِقُ.

وَلِذَلِكَ قَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا»؛ أَيْ: شَبِيهًا وَمَثِيلاً وَهُوَ خَلَقَكَ، أَيْ أَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكَ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَالشِّرْكُ هُوَ أَنْ تَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ: «وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ» يَعْنِي أَنْ تَتَوَجَّهَ بِالدُّعَاءِ لِلْوَلِيِّ أَوْ لِلْقَبْرِ أَوْ لِأَيِّ أَمْرٍ كَانَ كَحَجَرٍ أَوْ كَشَجَرٍ أَوْ بَقَرٍ أَوْ مَلَكٍ أَوْ نَبِيٍّ، تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِصَرْفِ الدُّعَاءِ أَوْ أَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَهَذَا شِرْكٌ.

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟!» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ».

فَلاَ شَكَّ أَنَّ الشِّرْكَ ذَنْبٌ عَظِيمٌ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّكَ تُسَوِّي بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَذَنْبٌ عَظِيمٌ لِمَاذَا أَيْضًا؟!

لِأَنَّكَ جَعَلْتَ الْمَخْلُوقَ فِي مَنْزِلَةِ الْخَالِقِ وَفَوْقَ مَنْزِلَتِهِ، فَهَذَا مِنَ الظُّلْمِ وَهَذَا مِنَ الضَّيَاعِ وَمِنَ الْأُمُورِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعِبَادَةِ، بَلْ لِلْعَمَلِ كَامِلاً فَمَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ قَدْ أُحْبِطَ عَمَلُهُ كَمَا قَالَ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- مُخَاطِبًا نَبِيَّهُ وَأَنْبِيَاءَهُ مِنْ قَبْلُ وَحَاشَاهُمْ-عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ مِنْ بَابِ التَّحْذِيرِ وَمِنْ بَابِ تَحْذِيرِ النَّاسِ قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ فَمَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أَيْ: مِنَ الْمُعَذَّبِينَ فِي النَّارِ، مَنْ مَاتَ عَلَى الشِّرْكِ أَوِ الْكُفْرِ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ يَحْبَطُ عَمَلُهُ وَيَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ.

لِذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَأَلَّا يَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْهَا لِغَيْرِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

قَالَ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾».

الدَّلِيلُ عَلَى مَاذَا؟!

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- مُخَاطِبًا بِهِ النَّاسَ أَنْ يَعْبُدُوهُ.

﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ اللهَ-عز وجل- قَالَ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا﴾ نَهَانَا.

نَهَانَا عَنْ مَاذَا؟

عَنْ أَنْ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا مُعَيَّنًا؟!

لَا، إِنَّمَا قَالَ «شَيْئًا»؛ أَيْ: كُلَّ شَيْءٍ؛ أَيْ: لَا نُشْرِكُ بِهِ أَيَّ شَيْءٍ، فَفِيهِ تَحْرِيمُ أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– أَيَّ شَيْءٍ أَوْ أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَهَذَا أَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ–عَزَّ وَجَلَّ– بِهِ.

وَهُنَا لَا بُدَّ مِنْ وَقْفَةٍ سَرِيعَةٍ وَهِيَ: أَنَّنَا نَلْحَظُ أَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.

وَيَقُولُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾.

وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

مَا الَّذِي نَلْحَظُهُ؟!

نَلْحَظُ أَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَنَا بِعِبَادَتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، وَالْأَمْرُ الْمَلْحُوظُ أَنَّهُ مَعَ أَمْرِهِ لَنَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِعِبَادَتِهِ نَهَانَا أَنْ نُشْرِكَ بِهِ؛ نَهَانَا أَنْ نُشْرِكَ مَعَهُ غَيْرَهُ.

وَلِذَلِكَ بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَحُثُّ النَّاسَ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ وَعَلَى طَاعَتِهِ وَلَكِنْ لَا يَتَعَرَّضُ لِلتَّحْذِيرِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللهِ–عَزَّ وَجَلَّ–، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ اللهَ–عَزَّ وَجَلَّ– وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ، بَيْنَ الْأَمْرِ بِعِبَادَتِهِ وَبَيْنَ النَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ مَعَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

فَلاَ بُدَّ –يَا عَبْدَ اللهِ– إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَقِّقَ تَوْحِيدَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ تَلْحَظَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا؛ إِفْرَادَهُ بِالْعِبَادَةِ وَعَدَمَ الشِّرْكِ بِهِ، بَلْ هَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلُنَا: «نَشْهَدُ أَوْ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَقَوْلُنَا: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ»: نَفْيٌ لِجَمِيعِ الْآلِهَةِ، «إِلَّا اللهُ»: إِثْبَاتٌ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– وَأَنَّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ.

قَوْلُهُ «لَا إِلَهَ»: فَهُوَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَلْيَكُنْ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى ذُكْرٍ وَعَلَى تَأَمُّلٍ مِنْ تَحْقِيقِ الْعِبَادَةِ وَمِنَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْبُعْدِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْحَذَرِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالشَّيْطَانُ يُغْوِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَيُهْلِكُهُ مِنْ بَابِ الشِّرْكِ إِنِ اسْتَطَاعَ فَيُزَيِّنُ لَهُ الشِّرْكَ وَيُصَوِّرُهُ لَهُ.

لِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– وَهُوَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى وَلَدِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَهُوَ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ هَذَا حَالَ نَبِيِّ اللهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– فَمَا بَالُنَا بِمَنْ دُونَهُ؟!

لِذَلِكَ مِنَ الْخَطَأِ الَّذِي نَسْمَعُهُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِذَا جِئْتَ تُحَذِّرُهُ مِنَ الشِّرْكِ وَإِذَا جِئْتَ تَأْمُرُهُ بِالتَّوْحِيدِ، يَقُولُ لَكَ: مَا فِي شِرْكٍ نَحْنُ مُوَحِّدُونَ –سُبْحَانَ اللهِ!– إِذَا كَانَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– فِي الْآيَاتِ، فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ يَأْمُرُنَا بِالتَّوْحِيدِ وَيُحَذِّرُنَا مِنَ الشِّرْكِ وَنَسْمَعُ مَنْ يَقُولُ: مَا يَحْتَاجُ أَنْ تَذْكُرَ التَّوْحِيدَ وَالشِّرْكَ كُلُّنَا مُوَحِّدُونَ!

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ، فَعَلَيْكَ -يَا بْنَ آدَمَ، فَعَلَيْكَ يَا عَبْدَ اللهِ وَيَا أَمَةَ اللهِ، عَلَيْنَا جَمِيعًا- أَنْ نَحْرِصَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَنْ نُحَذِّرَ مِنَ الشِّرْكِ.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ»؛ يَعْنِي: إِنْ سُئِلْتَ.

«مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هَذَا مِنَ الشَّيْخِ تَعْلِيمٌ لِطُلَّابِ الْعِلْمِ وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَكَمَا مَرَّ مَعَنَا سَابِقًا؛ أَنَّهُمْ فِي السَّابِقِ كَانُوا يَحْفَظُونَ هَذِهِ الْأُصُولَ حَتَّى الْعَوَامُّ يَحْفَظُونَ هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَيَفْهَمُونَهَا.

وَلِذَلِكَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَتَى بِصُورَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ حَتَّى تُحْفَظَ وَحَتَّى تُفْهَمَ فَتَكُونَ رَاسِخَةً فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ؛ إِنْ سَأَلَكَ سَائِلٌ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

لِمَاذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟!

يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؛ لِأَنَّهُ بِمَعْرِفَتِهَا يَكُونُ قَدْ أَتَى عَلَى الْأَسَاسِ السَّلِيمِ لِهَذَا الدِّينِ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ دِينَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا اللهُ، فَهُوَ الْخَالِقُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

وَأَمَّا الدِّينُ، فَهُوَ مَا أَمَرَنَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ مِنَ الْأَوَامِرِ أَوْ نَهَانَا عَنْهُ مِنَ النَّوَاهِي.

وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا عَنِ اللهِ رِسَالَتَهُ وَأَتَمَّهَا عَلَى أَحْسَنِ الْأَوْجُهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَلاَ طَرِيقَ لَنَا لِمَعْرِفَةِ أَمْرِ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- إِلَّا مِنْ طَرِيقِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَلاَ بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ هَذِهِ الْأُمُورَ.

«يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ»؛ أَيْ: عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ؟!

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ دِينَهُ؟!

كَيْفَ مُسْلِمٌ لَا يَعْرِفُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟!

فَلِذَلِكَ هَذَا السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَحْفُوظًا لَدَيْنَا كَحِفْظِ الْفَاتِحَةِ، الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

إِنَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ شَيْءٌ مِنْ تَفَاصِيلِهَا، وَلَيْسَ فَقَطْ أَنْ تَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ فَقَطْ، لَا بُدَّ أَيْضًا أَنْ تَتَعَلَّمَ لَوَازِمَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ وَالْأُمُورَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

فَالْأَصْلُ الْأَوَّلُ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ بِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ وَهَذَا تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ.

وَأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعُبُودِيَّةِ وَهَذَا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ.

وَأَنَّ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَأَمَّا الدِّينُ، وَهُوَ الْأَصْلُ الثَّانِي، فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَرْسَلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُرْشِدُنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّهُ أَمَرَنَا بِجُمْلَةٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَنَهَانَا عَنْ جُمْلَةٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَبَاحَ لَنَا كَثِيرًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَنَعْرِفُ تَفَاصِيلَهَا الْوَارِدَةَ فِي الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ أَيْضًا مَعْرِفَةُ الْإِيمَانِ، وَمَعْرِفَةُ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدِّينِ.

وَأَمَّا مَعْرِفَةُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللهُ عز وجل، اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ وَهُوَ طَرِيقُنَا لِمَعْرِفَةِ أَمْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

وَأَيْضًا قَوْلُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فَمَا فَائِدَةُ الرَّسُولِ إِذَنْ؟!

فَائِدَتُهُ أَنْ نَسْمَعَ لَهُ وَنُطِيعَ.

طَيِّبٌ، هَلْ نَسْمَعُ لِلأَوْلِيَاءِ وَلِلصَّالِحِينَ وَلِلْعُلَمَاءِ؟!

نَقُولُ: نَسْمَعُ لَهُمْ فِيمَا بَلَّغُونَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَلَا نَسْمَعُ لَهُمْ فِي أَمْرٍ يُخَالِفُ أَمْرَ الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَإِنَّ الْوَلِيَّ لَا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْوَلَايَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَّبِعًا لِهَدْيِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَمَّا إِنْ كَانَ مُخَالِفًا مُتَعَمِّدًا لِأَمْرِ اللهِ وَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ أَوْ ظَنَّ نَفْسَهُ أَنَّهُ فَوْقَ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَلَا شَكَّ أَنَّهُ وَلِيٌّ لَكِنْ لَيْسَ لِلَّهِ وَإِنَّمَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ أَعْمَالٍ وَلَكِنْ لَيْسَتْ خَيِّرَةً بَلْ أَعْمَالٌ فَاجِرَةٌ أَعْمَالُ فِسْقٍ وَفُجُورٍ، نَسْأَلُ اللهَ عز وجل السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- سَيُفَصِّلُ لَنَا هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا تِلْوَ الْآخَرِ؛ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا هُنَا إِجْمَالًا ثُمَّ سَيُفَصِّلُ هَذِهِ الْأُصُولَ فَبَدَأَ بِالْأَصْلِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ.

فَقَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟!»

نَعَمْ هُنَاكَ مَنْ يَأْتِي وَيُشَوِّشُ عَلَيْكَ، هُنَاكَ قَدْ يَأْتِي مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يُضَلِّلَكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُشَكِّكُونَهُ أَوْ يُضَلِّلُونَهُ أَوْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ؛ بِلاَ شَكٍّ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُمْ وَأَلَّا يَسْمَعَ لَهُمْ، وَلَكِنْ إِنْ جَاءَهُ رَجُلٌ مُسْتَرْشِدٌ

أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ لَيْسَ مِنْ بَابِ التَّشْكِيكِ، أَوِ الطَّعْنِ فِي الدِّينِ.

أَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْحَقَّ، وَأَنْ يَعْرِفَ الْحَقَّ.

وَأَنْتَ أَيْضًا وَأَنْتِ أَيْضًا يَا أَمَةَ اللهِ وَأَنْتَ أَيْضًا يَا عَبْدَ اللهِ، لَا بُدَّ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا بَيْنَ أَبْنَائِكَ، وَبَنَاتِكَ، وَبَيْنَ أَهْلِكَ، وَبَيْنَ نِسَائِكَ، فَلَابُدَّ أَنْ تَنْشُرَ هَذَا الْأَمْرَ.

قُلْ لَهُمْ: مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا مَعْرِفَتُهَا؟!

فَتُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهَا: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَإِذَنْ لَا بُدَّ أَنْ نَتَسَلَّحَ بِسِلاَحِ الْعِلْمِ وَأَنْ نَتَّخِذَ الْعِلْمَ جُنَّةً نَتَّقِي بِهِ؛ أَيْ بِالْعِلْمِ بَعْدَ فَضْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَرَحْمَتِهِ نَتَّقِي بِهَا الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَمُضِلاَّتِ الْفِتَنِ.

قَالَ: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟! فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، فَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ».

أَنْتَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ اللهَ – عز وجل – الرَّبَّ: هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ فَإِنْ سُئِلْتَ: مَنْ رَبُّكَ؟! وَمَا مَعْنَى رَبِّكَ؟!

فَتَقُولُ: مَعْنَى الرَّبِّ: الَّذِي رَبَّانِي بِنِعَمِهِ، وَفَضْلِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَرَحْمَتِهِ، لَيْسَ فَقَطْ أَنَا، بَلْ رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلِذَلِكَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ فَهُوَ مَعْبُودِي؛ أَيْ: أَنَا أَعْبُدُ اللهَ لِأَنَّهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، لَيْسَ لِي رَبٌّ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ مَا سِوَى اللهِ مَخْلُوقٌ، مَا سِوَى اللهِ فَقِيرٌ إِلَى اللهِ، مَا سِوَى اللهِ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، مَنْ أَرَادَ الْمَالَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَنْ أَرَادَ الْوَلَدَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَسْأَلِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ كُلَّهَا وَغَيْرَهَا هِيَ بِيَدِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحْدَهُ، وَمَنْ سِوَاهُ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ، فَكَيْفَ تَسْأَلُ مَنْ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ وَتَتْرُكُ مَنْ بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ؟!

أَلَيْسَ هَذَا مِنْ تَضْلِيلِ الشَّيْطَانِ؟!

أَلَيْسَ هَذَا مَنْ أَغْوَى بَنِي آدَمَ عَنِ الْحَقِّ وَصَرَفَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؟!

فَاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ.

كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ}؛ يَعْنِي: كُلُّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ، وَهُوَ الَّذِي رَبَّاهُ، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- «الرَّبُّ: هُوَ الْمُرَبِّي الْخَالِقُ، الرَّازِقُ، النَّاصِرُ، الْهَادِي، وَهَذَا الاِسْمُ أَحَقُّ بِاسْمِ الاِسْتِعَانَةِ وَالْمَسْأَلَةِ».

«وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ».

{الْحَمْدُ لِلَّهِ}، «الْحَمْدُ»: هُوَ الثَّنَاءُ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْمُسْتَحِقُّ لِهَذَا الثَّنَاءِ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمَحْمُودُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالتَّعْظِيمِ.

فَقَوْلُنَا: «الْحَمْدُ»؛ أَيْ: أَنَّ جَمِيعَ الْمَحَامِدِ لِمَنْ؟!

لِلَّهِ؛ جَمِيعُ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَحْمُودِ هُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَ{اللَّهُ}؛ أَي: الْمَأْلُوهُ، الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {رَبِّ الْعَالَمِينَ}: أَيِ الَّذِي رَبَّى الْعَالَمِينَ مِنَ جِنٍّ وَإِنْسٍ وَغَيْرِهِمْ، فَهُنَا فِيهِ إِثْبَاتُ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ؛ رَبُّ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ وَهُمْ مَا سِوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- رَبَّاهُمْ بِنِعَمِهِ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ.

قَالَ الشَّيْخُ: «وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ»؛ فَهُوَ رَبِّي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَآلَائِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى فَضْلِهِ وَجَزِيلِ عَطَائِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ، وَأَنْ نَتيَقَّنَهُ حَقَّ التَّيَقُّنِ فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ الَّذِي رَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، لِمَاذَا نَعْرِفُ هَذَا؟!

نَعْرِفُ هَذَا حَتَّى نَزْدَادَ تَيَقُّنًا وَيَقِينًا، وَنَزْدَادَ تَوْحِيدًا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَلاَ نَصْرِفُ شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

قَالَ الشَّيْخُ –رحمه الله تعالى–: «فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ».

أَيْ: إِنْ سُئِلْتَ هَذَا السُّؤَالَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

يَعْنِي: مَا الدَّلِيلُ؟!

لِأَنَّ كُلَّ قَوْلٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ وَلِذَلِكَ الْمُسْلِمُ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، إِذَا تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ بِدَلِيلِهِ، وَإِلَّا يَكِلُ عِلْمَهُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، هَذَا شَأْنُ الْمُسْلِمِ الَّذِي يَخَافُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَقَالَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّنَا عَرَفْنَا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمَعْنَى «آيَاتِهِ»؛ أَيْ: عَلَامَاتِهِ، وَالْآيَةُ هِيَ الْعَلَامَةُ، فَهُنَاكَ عَلَامَاتٌ جَعَلَهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- دَلِيلاً عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَتَفَرُّدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِالرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ اسْتِحْقَاقَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْأُلُوهِيَّةِ؛ أَيْ: بِعِبَادَتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَرَفْتُهُ بِآيَاتِهِ.

وَأَيْضًا عَرَفْتُهُ «بِمَخْلُوقَاتِهِ»؛ أَيْ: بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ--عَزَّ وَجَلَّ- الْعَظِيمَةِ مِثْلَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ.

وَآيَاتِهِ مِثْلَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-، وَآيَاتُهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَإِنَّمَا أَفْرَدَهَا تَخْصِيصًا لَهَا لِعَظِيمِ شَأْنِهَا، وَعَظِيمِ أَمْرِهَا، وِلَأَنَّهُ كَذَلِكَ جَاءَ فِي الدَّلِيلِ كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى -.

فَهَذِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا هِيَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ لَهَا -عَزَّ شَأْنُهُ-.

مَا الدَّلِيلُ؟!

قَالَ: وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فَهُنَا وَصَفَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ بِأَنَّهُنَّ مِنْ آيَاتِهِ.

قَالَ: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؛ يَعْنِي: أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الدَّالَّةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْعِبَادَةِ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾؛ أَيْ: وَلَا لِغَيْرِهِنَّ مَعَ عَظَمَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَتْ مُسْتَحَقَّةً لِلْعِبَادَةِ؛ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ فَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مَنِ الَّذِي أَوْجَدَهُمَا، وَمَنِ الَّذِي خَلَقَهُمَا؛ إِنَّهُ اللهُ، فَإِذَا كَانَ اللهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، فَإِنَّنَا نَسْجُدُ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ إِنَّ أَعْظَمْتُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ؛ فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

فَهُنَا جَعَلَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مُبْتَدِئًا بِيَوْمِ الْأَحَدِ وَآخِرُهَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَيْ: علاَ وَصَعِدَ وَارْتَفَعَ عَلَى عَرْشِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَصِفَةُ الِاسْتِوَاءِ، نُؤْمِنُ بِهَا عَلَى مَا يَلِيقُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أَيْ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جَعَلَ اللَّيْلَ يُغَطِّي النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، وَجَعَلَ النَّهَارَ يَكْشِفُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ.

﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ أَيْ: كَأَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ وَيَتَسَابَقَانِ، يَخْلُفُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ؛ لَيْلٌ وَنَهَارٌ يَتَعَاقَبَانِ بِلاَ خَلْطٍ وَلَا اخْتِلاَطٍ وَبِلاَ اضْطِرَابٍ.

مَنِ الَّذِي أَحْكَمَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَمَنِ الَّذِي سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ تَجْرِي فِي مَنَازِلَ لَا تَخْتَلِفُ وَلَا تَضْطَرِبُ لَا لِسَاعَاتٍ مَحْدُودَةٍ بَلْ لِأَزْمِنَةٍ مَدِيدَةٍ وَعَدِيدَةٍ؟!

لَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تَحْصُلُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهَا، وَلَا تَحْصُلُ بِالصُّدْفَةِ وَإِنَّمَا لَهَا مُسَخِّرٌ وَمُسَيِّرٌ وَخَالِقٌ، وَهُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

لِذَلِكَ قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾.

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ بَلْ وَخَلَقَ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– وَلَهُ الْأَمْرُ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– يَأْمُرُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِالْبَرَكَةِ الْبَالِغَةِ فِي نِهَايَتِهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ– ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

قَالَ: «وَالرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾».

«الرَّبُّ هُوَ الْمَعْبُودُ»؛ لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾.

اعْبُدُوا مَنْ؟! اعْبُدُوا الرَّبَّ لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ فُرُشًا مَهْدًا وَسَهْلاً وَيَسَّرَ لَنَا الْعَيْشَ فِيهَا وَذَلَّلَ لَنَا صِعَابَهَا وَطُرُقَهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

إِذْ لَوْ كَانَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا جِبَالًا وَكَانَتِ الْأَرْضُ كُلُّهَا مُعْوَجَّةً، لَمَا اسْتَطَاعَ النَّاسُ أَنْ يَسْتَفِيدُوا مِنْهَا، وَلَكِنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- دَحَاهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، وَالسَّمَاءَ بَنَاهَا فَجَعَلَهَا سُقُفًا فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ، سُقُفًا بِلاَ أَعْمِدَةٍ، بِلاَ أَعْمِدَةٍ، تُرَى مَنِ الَّذِي أَمْسَكَ هَذِهِ السَّمَاءَ؟!

مَنِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ فِيهَا عِوَجًا وَلَا تَشَقُّقًا وَلَا اضْطِرَابًا فِي الْخِلْقَةِ؟!

بَلْ هِيَ مِنْ أَحْكَمِ مَا يَكُونُ ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، مِنَ السُّحُبِ، الَّتِي اجْتَمَعَتْ فِيهَا الْمِيَاهُ، فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ، وَنَزَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ.

{فَأَخْرَجَ بِهِ} أَيْ: بِالْمَاءِ.

{مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}؛ أَنْبَتَ فِي الْأَرْضِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ وَاسْتَفَادَ النَّاسُ وَأَكَلَتِ الْبَهَائِمُ وَاخْضَرَّتْ الْأَرْضُ وَأَصْبَحَتْ جَمِيلَةً بَعْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ وَخُرُوجِ الثَّمَرِ.

هَذِهِ كُلُّهَا نِعَمٌ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْهَارٌ جَارِيَةٌ فِيهَا مِنَ اللُّحُومِ وَالْأَسْمَاكِ وَمِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْخَيْرَاتِ وَأَرْضٌ خَضْرَاءُ وَأَرْضٌ يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا.

مَنِ الَّذِي سَخَّرَ كُلَّ هَذِهِ الْأُمُورَ؟!

هُوَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَلِذَلِكَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- خَاطَبَ جَمِيعَ النَّاسِ بِقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ جَمِيعُ النَّاسِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَزْدَادُ إِيمَانًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْبُدَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعَمِ.

فَقَالَ: ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أَيْ: أَمْثَالًا وَأَشْبَاهًا.

﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ هَذِهِ النِّعَمَ وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ هُوَ خَلْقُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَتَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا.

وَلِذَلِكَ كَانَ بَعْضُهُمْ يَصْنَعُ الصَّنَمَ مِنَ التَّمْرِ فَإِذَا جَاعَ أَكَلَهُ وَبَعْضُهُمْ رَأَى الصَّنَمَ يَبُولُ عَلَيْهِ كَلْبٌ، فَقَالَ: أَأَعْبُدُ صَنَمًا لَا يَحْمِي نَفْسَهُ مِنْ بَوْلِ كَلْبٍ، فَكَفَرَ بِهِ، يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ وَأَنَّ تِلْكَ الْأَحْجَارَ وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيْسَ بِيَدِهَا شَيْءٌ وَإِنَّمَا كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَلَكِنْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللهُ-: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

قَالَ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ». مَا الْأَشْيَاءُ؟!

خَلَقَنَا نَحْنُ وَخَلَقَ مَنْ قَبْلَنَا وَخَلَقَ وَسَيَخْلُقُ مَنْ بَعْدَنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، فَاللَّهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا هَذَا الْإِنْسَانُ.

إِذَنْ؛ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ».

خَلَقَنَا، خَلَقَ مَنْ قَبْلَنَا وَمَنْ بَعْدَنَا، أَيْضًا جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ فِرَاشًا، وَجَعَلَ لَنَا السَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، نِعَمًا كَثِيرَةً، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

فَلاَ تَصْرِفُ الْعِبَادَةَ -كَمَا سَبَقَ- لِغَيْرِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَسُنَّةَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهَا مِنَ الْأَدِلَّةِ الْكَثِيرَةِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللهِ لِلْعِبَادَةِ وَعَلَى شَنَاعَةِ وَعِظَمِ وَخَطَرِ الشِّرْكِ بِاللهِ كَمَا مَرَّ مَعَنَا ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ كَمَا فِي الْقُرْآنِ.

وَكَمَا فِي السُّنَّةِ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟! قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»؛ أَيْ: شَرِيكًا وَهُوَ خَلَقَكَ؛ أَيْ: أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ وَتُشْرِكُ بِهِ؟!

أَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا سَمِعْنَا وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا، لَا حُجَّةً عَلَيْنَا، وَأَسْأَلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَتَوَفَّانِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مَعْهَدُ المِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الرَّابِعُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا ...».

وَقَبْلَ الْبَدْءِ فِي الدَّرْسِ، أَعْتَذِرُ عَنِ الْغِيَابِ فِي الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي وَذَلِكَ لِظَرْفٍ طَارِئٍ حَصَلَ، فَقَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَإِنْ شَاءَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– سَأُحَاوِلُ أَنْ أُعَوِّضَ هَذَا الْغِيَابَ فِي الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي بِلِقَاءَاتٍ أُخْرَى بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى حَسْبَ مَا يُيَسِّرُهُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– لَنَا.

وَأَيْضًا قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ فِي الدَّرْسِ نُرَاجِعُ بِإِذْنِ اللهِ –تَعَالَى– مَا سَبَقَ أَنْ دَرَسْنَاهُ

فَأَوَّلًا: مِمَّا سَبَقَتْ دِرَاسَتُهُ الْمَسَائِلُ الْأَرْبَعُ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَعَلَّمَهَا وَهِيَ:

الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.

وَالْعَمَلُ بِهِ.

وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى الَّذِي يَحْصُلُ مِنَ الدَّعْوَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْمَسَائِلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وَنَبَّهْنَا عَلَى مَسْأَلَةِ أَنَّ الْعِلْمَ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، كَمَا نَبَّهَ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

ثُمَّ انْتَقَلْنَا إِلَى الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي نَبَّهَ عَلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– وَهِيَ:

مَسْأَلَةُ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، فِي كَوْنِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا مَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

ثُمَّ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فِي أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

ثُمَّ مَسْأَلَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، وَأَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

وَفِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَسْأَلَةِ الْمُوَالَاةِ أُنَبِّهُ عَلَى سُؤَالٍ طُرِحَ: مَحَبَّةُ الزَّوْجَةِ النَّصْرَانِيَّةِ أَوِ الْيَهُودِيَّةِ الْكِتَابِيَّةِ هَلْ يَدْخُلُ هَذَا فِي الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ؟! فَهَلْ يَدْخُلُ هَذَا فِي الْوَلَاءِ الْمُحَرَّمِ؟!

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّ مَحَبَّتَهَا مِنْ مَحَبَّةِ أُمُورِ الدُّنْيَا؛ أَنَا عِنْدَمَا أَتَعَامَلُ مَعَ إِنْسَانٍ مَثَلاً نَصْرَانِيٍّ فِي التِّجَارَةِ فَأَنَا أُحِبُّ الْمَالَ وَأُحِبُّ أَنْ أَرْبَحَ فِي هَذِهِ التِّجَارَةِ وَهَذَا لَيْسَ مِنْ بَابِ الْمُوَالَاةِ لِأُمُورِ الدِّينِ أَوِ الْمَحَبَّةِ مَعَ كُفْرِهِ، إِنَّمَا هَذِهِ مَحَبَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِأُمُورِ الدُّنْيَا.

وَمِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا مَحَبَّةُ الشَّخْصِ لِقَرَابَتِهِ كَأَنْ يَكُونَ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– قَالَ فِي حَالِ الْوَالِدِ أَوِ الْوَالِدَةِ الْكَافِرَيْنِ سَوَاءٌ كِلَاهُمَا أَوْ أَحَدُهُمَا قَالَ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

أَيْ: عَامِلْهُمَا بِالْمُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُعَامَلَةَ الطَّيِّبَةَ تَتَنَافَى مَعَ إِظْهَارِ الْبُغْضِ الْمُطْلَقِ لَهُمْ، فَلَا بُدَّ مِنْ نَوْعِ إِحْسَانٍ وَمِنَ الْإِحْسَانِ الْمَحَبَّةُ لِأَجْلِ هَذِهِ الْقَرَابَةِ، فَالْوَالِدُ وَالْوَالِدَةُ هُمَا سَبَبَا وُجُودِ هَذَا الْوَلَدِ أَوِ الْبِنْتِ بَعْدَ أَمْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ فِي أَنْوَاعِ الْوَلَاءِ الثَّلَاثَةِ.

فَهَذَا النَّوْعُ مِنْ مَحَبَّةِ الزَّوْجَةِ أَوْ مَحَبَّةِ الْقَرَابَاتِ هُوَ دَاخِلٌ فِي الْأَمْرِ الثَّالِثِ؛ الْوَلَاءُ أَوِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي هِيَ لَيْسَتْ بِكُفْرِيَّةٍ وَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ الْمُحَرَّمِ، مَعَ مُلاحَظَةِ مَا سَبَقَ أَنَّنِي وَإِنْ تَزَوَّجْتُ نَصْرَانِيَّةً أَوْ كَانَ أَحَدُ قَرَابَاتِي كَالْوَالِدَيْنِ مَثَلاً غَيْرَ مُسْلِمٍ: مَثَلاً كَأَنْ يَكُونَ نَصْرَانِيًّا أَوْ غَيْرَهُ أَنَّنِي أُبْغِضُ هَذَا الدِّينَ، أُبْغِضُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، أُبْغِضُ هَذَا الْأَمْرَ وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ لَا مَانِعَ مِنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ السَّابِقَةِ، فَآمُلُ أَنْ تَكُونَ الصُّورَةُ قَدِ اتَّضَحَتْ لَنَا وَأَنْ لَا يَلْتَبِسَ الْأَمْرُ.

بَعْدَ ذَلِكَ، بَيَّنَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: مَا هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ مِلَّةُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–؟!

بَيَّنَ أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ هِيَ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الْعِبَادَةِ وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ بِعَدَمِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَبَيَّنَ الْحِكْمَةَ مِنْ خَلْقِ الْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَمَرَّ مَعَنَا أَنَّ {يَعْبُدُونِ} بِمَعْنَى: يُوَحِّدُونِ.

ثُمَّ بَيَّنَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– أَمْرَيْنِ مُهِمَّيْنِ لَا بُدَّ أَنْ يُدْرِكَهُمَا الْمُسْلِمُ، مَا هُمَا؟!

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ.

الْأَمْرُ الثَّانِي: أَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– مَا هِيَ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ هِيَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

ثُمَّ بَيَّنَ كَيْفَ يَعْرِفُ الْعَبْدُ رَبَّهُ، أَوْ كَيْفَ عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِيمَا لَوْ سُئِلَ، أَوْ فِيمَا إِذَا جَاءَهُ الشَّيْطَانُ وَحَاوَلَ أَنْ يُلَبِّسَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُجِيبُهُ بِهَذَا الْجَوَابِ بِأَنْ يُجِيبَ مَنْ يَسْأَلُهُ بِأَنَّهُ عَرَفَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِمَخْلُوقَاتِهِ وَآيَاتِهِ.

وَأَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ –رَبَّانَا بِنِعَمِهِ وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّ الْعَالَمِينَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَإِذَا كَانَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الرَّبُّ وَهُوَ الْمَعْبُودُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

فَإِنَّ الرَّبَّ الْخَالِقَ لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَشَجَرٍ وَحَجَرٍ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَكُلِّ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– هُوَ الْخَالِقُ لَهَا؛ فَالْخَالِقُ لَهَا هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ.

الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأُمُورِ هُوَ الَّذِي يُتَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ سِوَاهُ فَهُمْ مَخْلُوقُونَ بَشَرٌ أَمْ جِنٌّ أَمْ حَجَرٌ أَمْ بَقَرٌ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ فَهُمْ مَخْلُوقُونَ.

عِيسَى –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– بَشَرٌ مَخْلُوقٌ لَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –بَشَرٌ مَخْلُوقٌ لَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– مَلَكٌ مَخْلُوقٌ لَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

فَكَيْفَ يُعْبَدُ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ تُدَّعَى لَهُ الْوَلَايَةُ أَوْ يُدْعَى مِنْ دُونِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ –؟!

لِذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ وَأَنْ يَهْتَمَّ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، حَتَّى لَا يَصْرِفَ شَيْئًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

«وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا مِثْلَ: الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّلُ وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالاِسْتِعَانَةُ وَالاِسْتِعَاذَةُ وَالاِسْتِغَاثَةُ وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا، كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فَهَذِهِ أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ وَمِنْ أَعْظَمِهَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ.

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾».

الشَّرْحُ

وَالْإِسْلامُ كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ الطَّوِيلِ فَسَّرَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ سَأَلَهُ: مَا الْإِسْلامُ؟!

قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ».

فَهَذَا هُوَ الْإِسْلامُ، وَهَذِهِ هِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلاَمِ الشَّهَادَتَانِ مَعَ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ.

قَالَ: «وَالْإِيمَانُ» أَيْ: وَمِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهَا الْإِيمَانُ، وَفَسَّرَهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِجِبْرِيلَ حِينَ سَأَلَهُ: مَا الْإِيمَانُ؟!

قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

فَهَذِهِ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ السِّتَّةُ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، إِيمَانٌ بِالْمَلَائِكَةِ، إِيمَانٌ بِالْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا عَلَى رُسُلِهِ، الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ، الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

قَالَ: «وَالْإِحْسَانُ».

فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ مَرَاتِبُ الدِّينِ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ.

وَالْإِسْلَامُ أَوْسَعُ دَائِرَةً مِنَ الْإِيمَانِ، فَأَهْلُ الْإِسْلَامِ كُثُرٌ، وَأَمَّا أَهْلُ الْإِيمَانِ فَهُمْ أَقَلُّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ يَأْتُونَ بِالْإِسْلَامِ وَيَزْدَادُونَ بِالطَّاعَةِ فَيَزْدَادُ إِيمَانُهُمْ، فَيَنْتَقِلُونَ إِلَى مَرْحَلَةِ الْإِيمَانِ.

وَأَهْلُ الْإِحْسَانِ هُمْ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَهُمْ أَقَلُّ، فَهُمْ مَعَ الطَّاعَةِ وَمَعَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– إِلَّا أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– عِبَادَةَ مَنْ يَرَى أَنَّ اللهَ يَرَاهُ وَمَنْ يَعْلَمُ وَيُوقِنُ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَى اللهَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ اللهَ يَرَاهُ.

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ أَجْوِبَةِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الْبَدِيعَةِ حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ وَقَالَ لَهُ: يَا إِمَامُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَهَلْ لِي ذَلِكَ؟!

قَالَ: نَعَمْ، اعْصِ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-، لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ بِشَرْطٍ.

قَالَ: مَا هُوَ؟!

قَالَ: اعْصِهِ حَيْثُ لَا يَرَاكَ.

فَتَعَجَّبَ السَّائِلُ! قَالَ: كَيْفَ؟! لَا يُوجَدُ مَكَانٌ أَكُونُ فِيهِ إِلَّا وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يَرَانِي وَيَعْلَمُ بِحَالِي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فَقَالَ: أَمَا تَسْتَحِي أَنْ يَرَاكَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَتَعْصِيهِ؟!

أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْصِيَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-وَأَنْتَ فِي مُلْكِهِ؟!

أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَعْصِيَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنْتَ بِهَذَا الْحَالِ؟!

فَإِذَنْ؛ حَالُ الْإِحْسَانِ حَالٌ عَالِيَةٌ رَاقِيَةٌ جِدًّا، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَسْتَشْعِرُ وَيَسْتَحْضِرُ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَرَاهُ وَيَعْلَمُ بِحَالِهِ بَلْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفِي نَفْسُهُ، فَيُرَاقِبُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيُخْلِصُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، لِذَا كَانَ أَهْلُهُ أَقَلَّ.

وَمِنْ هُنَا لَمَّا قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا. قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾؛ يَعْنِي: أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَلَمْ تَصِلُوا إِلَى مَرْحَلَةِ الْإِيمَانِ.

فَهَذِهِ أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ، الْإِسْلَامُ بِأَرْكَانِهِ الْخَمْسِ، وَالْإِيمَانُ بِأَرْكَانِهِ السِّتِّ، وَالْإِحْسَانُ بِاسْتِحْضَارِ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَرَى وَيَعْلَمُ بِحَالِ الْعَبْدِ مَهْمَا كَانَ فِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

وَقَدَّمَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لِأَنَّهَا مِنَ الْمَكَانَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْأَهَمِّيَّةِ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ، وَالنَّاسُ تَتَفَاضَلُ فِي قُلُوبِهَا وَفِي أَعْمَالِهَا وَفِي عِبَادَتِهَا بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

ثُمَّ قَالَ: «وَمِنْهَا»؛ أَيْ: وَمِنَ الْعِبَادَةِ، الْعِبَادَةُ أَنْوَاعٌ لَيْسَتْ نَوْعًا وَاحِدًا، بَلْ هِيَ أَنْوَاعٌ، كَمَا جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَهُنَا أُنَبِّهُ سَرِيعًا، أُنَبِّهُ نَفْسِي وَأُنَبِّهُ إِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ مِمَّنْ يَسْتَمِعُوا لِهَذَا الْكَلَامِ، أُنَبِّهُمْ عَلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ وَخَطِيرَةٍ جِدًّا وَهِيَ أَنَّ الْعِبَادَةَ وَالْعَمَلَ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ عِبَادَةً وَقُرْبَةً إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- إِلَّا بِشَرْطَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، يَكُونُ الْعَمَلُ لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَى، فَلَا تُشْرِكْ مَعَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَحَدًا فِي هَذَا الْعَمَلِ، كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي الْحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

وَأَمَّا الشَّرْطُ الثَّانِي: وَهُوَ الَّذِي أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعَى وَيَجِبُ أَنْ يُرَاعَى، فَلَا تُقْبَلُ الْعِبَادَةُ أَيْضًا إِلَّا بِهِ هُوَ: مُتَابَعَةُ سُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهَدْيِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ الْكِرَامُ.

فَلَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِعِبَادَةٍ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُهَا، مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أَيْ: مَرْدُودٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وَالْبِدَعُ وَالْمُحْدَثَاتُ مِمَّا نَهَانَا عَنْهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَيَنْبَغِي لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ وَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمَةِ أَنْ إِذَا عَمِلَتْ عَمَلاً أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ وَارِدٌ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ هَدْيِهِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

فَهَذَا جَانِبٌ مُهِمٌّ، لِأَنَّنَا نَجِدُ مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ لِلصَّوَابِ قَدْ يَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ مِنْ بَابِ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ فَلاَ تُقْبَلُ مِنْهُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَمِنْهَا» أَيْ: وَمِنَ الْعِبَادَةِ، «الدُّعَاءُ».

هَلْ حَصَرَهَا كُلَّهَا؟!

الْجَوَابُ: لَا.

لِأَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهَا: «وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِهَا».

السُّؤَالُ هُنَا: لِمَاذَا ذَكَرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ؟!

ذَكَرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ لِأُمُورٍ:

مِنْهَا: أَنَّهُ وَقَعَ الْخَلَلُ فِيهَا مِنْ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ، فَصَرَفُوا الدُّعَاءَ لِغَيْرِ اللهِ، وَخَافُوا غَيْرَ اللهِ، وَرَجَوْا غَيْرَ اللهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِ اللهِ، إِلَى آخِرِهِ.

فَنَبَّهَ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ لِوُقُوعِ الْخَطَأَ فِيهَا، وَهَذَا دَأْبُ الْعَالِمِ يُحَذِّرُ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ وَيُنَبِّهُ عَلَيْهَا وَلَيْسَ هَذَا مِنْ تَفْرِيقِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنَ التَّشْوِيشِ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عَدَمِ الْأُلْفَةِ وَعَدَمِ الْمَحَبَّةِ، فَإِنَّنَا إِذَا اجْتَمَعْنَا نَجْتَمِعُ عَلَى الْحَقِّ وَنَجْتَمِعُ فِي اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَا بُدَّ مِنَ النَّصِيحَةِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْبَيَانِ وَلَا بُدَّ مِنْ إِظْهَارِ الْحَقِّ وَدَمْغِ الْبَاطِلِ.

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ لِلْعَالِمِ أَنْ يُنَبِّهَ عَلَى الْأَخْطَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْعِبَادَةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: أَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

وَأَيْضًا مِنْ فَوَائِدِ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ: أَنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ غَالِبًا إِذَا صَحَّتْ فَإِنَّهَا تَقُودُ إِلَى غَيْرِهَا، وَلِذَلِكَ قَدَّمَ الدُّعَاءَ، وَالدُّعَاءُ عِبَادَةٌ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَظِيمَةٌ، وَأَغْلَبُ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ تَرْجِعُ لِلدُّعَاءِ، فَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ دَعَا غَيْرَ اللهِ، وَمَنْ طَافَ فِي قَبْرٍ إِنَّمَا طَافَ لِيَدْعُوهُ، لِذَلِكَ كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللهُ الدُّعَاءُ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ.

شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ذَكَرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ، وَعَدَّدَهَا هُنَا وَسَيَذْكُرُ أَدِلَّتَهَا دَلِيلاً دَلِيلاً بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا سَيَأْتِي، وَسَيَأْتِي مَعَنَا تَعْرِيفُهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا.

فَإِذَنْ؛ «وَمِنْهَا»؛ أَيْ: وَمِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ.

أَيْ: مِنْ أَنْوَاعِهَا: «الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَالتَّوَكُّل وَالرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْخَشْيَةُ وَالْإِنَابَةُ وَالاِسْتِعَانَةُ وَالاِسْتِعَاذَةُ وَالاِسْتِغَاثَةُ وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا».

كُلُّهَا لِمَنْ؟!

«كُلُّهَا لِلَّهِ»، تُصْرَفُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَتَكُونُ لِلَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ-.

قَالَ الشَّيْخُ: «كُلُّهَا لِلَّهِ تَعَالَى».

«كُلُّهَا»؛ أَيْ: كُلُّ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ، لَا يَجُوزُ أَنْ نَصْرِفَ أَيَّ نَوْعٍ مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

مَا الدَّلِيلُ؟!

قَالَ: «الدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾».

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ مَرَّ مَعَنَا أَنَّ الْمَسَاجِدَ هُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُرَادُ بِهَا أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا الْمَسَاجِدُ الْأَمَاكِنُ الَّتِي يُصَلَّى فِيهَا، وَإِمَّا أَعْضَاءُ السُّجُودِ.

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أَيْ: لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تُصْرَفُ لَهُ، وَتُفْعَلُ لَهُ، لَا لِغَيْرِهِ، فَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، لَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَصْرِفَهَا لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، وَإِنَّمَا أَتَمَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

أَمَرَ بِعِبَادَتِهِ وَنَهَى عَنْ شِرْكِهِ، فَقَوْلُهُ ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.

يَعْنِي: قَوْلٌ عَامٌّ، يَعْنِي: لَا تَدْعُوا أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ، لَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا نَبِيًّا مُرْسَلاً وَلَا وَلِيًّا صَالِحًا وَلَا حَجَرًا وَلَا شَجَرًا وَلَا قَمَرًا وَلَا شَمْسًا وَلَا غَيْرَهَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

﴿فَلاَ تَدْعُوا﴾ نَهْيٌ، اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَنْهَانَا أَنْ نَدْعُوَ مَعَ اللهِ أَحَدًا.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ، وَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الَّذِي إِذَا صَرَفْنَا إِلَيْهِ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ نَكُونُ قَدْ صَرَفْنَاهَا فِي وَجْهِهَا الشَّرْعِيِّ وَنَكُونُ قَدْ أَتَيْنَا بِمَا أُمِرْنَا بِهِ.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ كَمَا سَبَقَ هُوَ الْخَالِقُ هُوَ الرَّازِقُ هُوَ الرَّبُّ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، فَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ.

طَيِّبٌ، مَنْ صَرَفَ أَيَّ شَيْءٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ لِغَيْرِ اللهِ؟!

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ».

يَعْنِي إِذَا صَرَفْنَا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، لَوْ دَعَوْنَا غَيْرَ اللهِ، أَوْ تَوَكَّلْنَا عَلَى غَيْرِ اللهِ كَمَا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ، وَخَشِينَا أَوْ ذَبَحْنَا أَوْ نَذَرْنَا لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– فَمَنْ وَقَعَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

هُنَا أُنَبِّهُ عَلَى مَسْأَلَةٍ يُنَبِّهُ عَلَيْهَا الْعُلَمَاءُ، وَهِيَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– قَوْلٌ عَامٌّ.

مَا مَعْنَى قَوْلٌ عَامٌّ؟!

الْقَوْلُ الْعَامُّ: يَعْنِي لَا نَحْكُمُ بِهِ عَلَى الْأَشْخَاصِ مُبَاشَرَةً، وَإِنَّمَا نَقُولُ: دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، النَّذْرُ لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

طَيِّبٌ، هَذَا قَوْلٌ عَامٌّ؛ حُكْمٌ عَامٌّ. هَذَا الْقَوْلُ الْعَامُّ لَا نُنَزِّلُهُ عَلَى الْمُعَيَّنِ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَانْتِفَاءِ الْمَوَانِعِ.

فَلَوْ وَجَدْنَا رَجُلاً يَدْعُو يَقُولُ: (يَا حُسَيْنُ) أَوْ يَقُولُ (يَا عَبْدَ الْقَادِرِ)، نَقُولُ: يَا أَخِي اتَّقِ اللهَ، هَذَا دُعَاءُ غَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، لَا يَجُوزُ، وَهُوَ شِرْكٌ، فَقَدْ يَقُولُ وَهَذَا غَالِبًا؛ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَنَّهُ شِرْكٌ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ جَائِزٌ.

فَنَقُولُ لَهُ: لَا هَذَا خَطَأٌ وَهُوَ شِرْكٌ، فَاتَّقِ اللهَ وَاتْرُكْهُ.

فَلاَ نَأْتِي نَقُولُ لَهُ: أَنْتَ دَعَوْتَ الْحُسَيْنَ، أَوْ أَنْتَ دَعَوْتَ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجَيْلاَنِيَّ أَوْ أَنْتَ دَعَوْتَ فُلاَنًا، أَنْتَ كَافِرٌ، أَنْتَ مُشْرِكٌ، يَا عَدُوَّ اللهِ وَنَذْبَحُهُ.

لَا، هَذَا خَطَأٌ، هَذَا عَمَلُ الْحَدَّادِيَّةِ.

الْحَدَّادِيَّةُ: طَائِفَةٌ تُسَمَّى (الْحَدَّادِيَّةَ) تُنْسَبُ إِلَى رَجُلٍ اسْمُهُ مَحْمُودٌ الْحَدَّادُ، مِصْرِيٌّ، مُعَاصِرٌ مَوْجُودٌ، هَذَا الرَّجُلُ تَكْفِيرِيٌّ وَدَخَلَ بَيْنَ صُفُوفِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَرَوَّجَ لِبِدَعِهِ وَرَدَّ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ، وَبَيَّنُوا ضَلاَلَهُ، هَذَا الرَّجُلُ تَكْفِيرِيٌّ، وَالْحَدَّادِيُّونَ تَكْفِيرِيُّونَ وَلَهُمْ عَلاَقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالدَّوَاعِشِ، وَلَهُمْ عَلاَقَةٌ وَثِيقَةٌ بِالْخَوَارِجِ وَكَذَا هَذَا مَذْهَبُ الْخَوَارِجِ وَمَذْهَبُ الدَّوَاعِشِ وَغَيْرِهِمْ، أَنَّهُمْ يُكَفِّرُونَ النَّاسَ جُزَافًا، وَيُكَفِّرُونَ النَّاسَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ.

فَإِذَنْ؛ يَنْبَغِي أَنْ نَتَنَبَّهَ لِمِثْلِ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ هَذِهِ، وَأَنْ لَا نَفْعَلَ وَأَنْ لَا نَقَعَ فِي خَطِيئَةِ أُولَئِكَ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْحَدَّادِيَّةِ وَالدَّوَاعِشِ وَغَيْرِهِمْ.

فَهُنَا نَقُولُ: مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، حُكْمٌ عَامٌّ، عِنْدَمَا نَأْتِي لِإِنْسَانٍ مُسْلِمٍ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ نُعَلِّمُهُ أَوَّلًا.

لَوْ سَمِعْنَا مُسْلِمًا يَقُولُ مَثَلاً: (وَالنَّبِيِّ) مَا نَقُولُ لَهُ: أَنْتَ كَافِرٌ يَا مُشْرِكُ يَا عَدُوَّ اللهِ وَنَذْبَحُهُ أَوْ نُكَفِّرُهُ.

لَا؛ بَلْ نُعْلِمُهُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْحَلِفُ بِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، طَيِّبٌ (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ) نَقُولُ: نَعَمْ حُكْمٌ عَامٌّ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ جَاهِلاً، وَالْجَهْلُ مَانِعٌ، قَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ غَيْرَ قَاصِدٍ لِهَذَا الْمَعْنَى فَوَقَعَ بِسَبَبِ سُوءِ الْفَهْمِ ظَنَّهُ جَائِزٌ، أَوْ لِأَنَّ هُنَاكَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّوءِ مَنْ أَجَازُوا لَهُ هَذَا الْأَمْرَ.

وَهُنَا أَيْضًا نُنَبِّهُ عَلَى قَضِيَّةٍ مُهِمَّةٍ، أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي دِينِ اللهِ فَهُوَ عَالِمٌ، يُتَّبَعُ، بَلْ إِنَّمَا يُتَّبَعُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ عَلَى السُّنَّةِ، الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَخَذُوا بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

وَهَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ جِدًّا، النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ».

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ الطَّوَافَ حَوْلَ الْقُبُورِ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ دُعَاءَ غَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ تِلْكُمُ الشِّرْكِيَّاتِ وَالْكُفْرِيَّاتِ مِنَ الاِسْتِغَاثَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَسُّلِ وَالذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْكُلِّيَّةِ بِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُجَوِّزُونَ هَذِهِ الْأُمُورَ هَلْ أَخَذُوا هَذِهِ الْأُمُورَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟!

لَا، فَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَ لِيُحَارِبَ هَذِهِ الشِّرْكِيَّاتِ وَيُحَارِبَ تِلْكُمُ الْكُفْرِيَّاتِ وَالضَّلَالَاتِ، وَيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَيُنْقِذَ النَّاسَ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَكَمَا سَبَقَ مَعَنَا قَوْلُ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

فَإِذَنْ -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- لَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ هَذَا؛ فَلَا تَغْتَرُّوا -بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ- بِمَنْ يَظْهَرُ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ أَوْ يَكُونُ عِنْدَكُمْ فِي بَلَدِكُمْ وَيَدْعُو أَوْ يُجَوِّزُ هَذِهِ الْأُمُورَ الشِّرْكِيَّةَ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَلِمَ الْحَقَّ وَجَبَ عَلَيْهِ اتِّبَاعُهُ.

فَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ إِنَّمَا هُمْ عُلَمَاءُ السُّنَّةِ، إِنَّمَا هُمْ عُلَمَاءُ الْحَقِّ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

فَإِذَنْ؛ مَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

مُشْرِكٌ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ بِصَرْفِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ.

وَأَمَّا كَافِرٌ؛ فَلِأَنَّهُ بِشِرْكِهِ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ.

وَكُلُّ مُشْرِكٍ كَافِرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ كَافِرٍ مُشْرِكًا.

لِأَنَّ الْكَافِرَ قَدْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَلَا يُشْرِكُ مَعَهُ غَيْرَهُ.

فَمِنْ هُنَا الشَّيْخُ قَالَ: «فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ» كَافِرٌ أَيْ خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، وَمُشْرِكٌ أَيْ شِرْكًا أَكْبَرَ إِنْ وَقَعَ فِيهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّة –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «الْمُسْلِمُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَعْبُدَ وَلَا يَدْعُوَ وَلَا يَسْتَغِيثَ وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى اللهِ، وَأَنَّ مَنْ عَبَدَ مَلَكًا مُقَرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلاً أَوْ دَعَاهُ أَوِ اسْتَغَاثَ بِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ».

فَكَيْفَ بِدُعَاءِ غَيْرِ الْمَلَائِكَةِ، فَكَيْفَ بِدُعَاءِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

هَلِ الْوَلِيُّ الْفُلانِيُّ أَعْلَى مِنَ الْمَلَكِ؟!

هَلِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَعْلَى مِنَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؟!

هَلِ الْوَلِيُّ أَعْلَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ؟!

لَا، الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ لَا يَجُوزُ دُعَاؤُهُمْ، الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَرْضَوْنَ بِدُعَائِهِمْ، وَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ جَاءَتْ لِدُعَاءِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ هُوَ شِرْكٌ وَكُفْرٌ بِاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾».

الدَّلِيلُ عَلَى مَاذَا؟!

الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ مَنْ صَرَفَ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، وَهَذَا بَدِيعٌ مِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

مَا هُوَ الْبَدِيعُ؟!

الْبَدِيعُ أَنَّ الشَّيْخَ قَالَ: «مَنْ صَرَفَ شَيْئًا»؛ يَعْنِي: مَنْ أَتَى بِالْخَوْفِ وَالتَّوَكُّلِ وَالرَّغْبَةِ وَالْخَشْيَةِ وَالِاسْتِغَاثَةِ وَأَتَى بِكُلِّ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ وَلَكِنْ صَرَفَ نَوْعًا وَاحِدًا فَقَطْ وَهُوَ الدُّعَاءُ لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ.

يَعْنِي بَعْضُ النَّاسِ يُلَبِّسُ يَقُولُ: يَعْنِي يَا أَخِي، الْمُشْرِكُ الَّذِي يَدْعُو غَيْرَ اللهِ وَيَطُوفُ حَوْلَ الْقَبْرِ وَيَذْبَحُ وَكَذَا، وَأَمَّا بِمُجَرَّدِ أَنْ نَدْعُوَ غَيْرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ الْأَوْلِيَاءِ، هَذَا لَيْسَ بِشِرْكٍ لَيْسَ بِكُفْرٍ، أَنْتَ الْآنَ أَحْبَطْتَ كُلَّ عَمَلِهِ بِهَذَا الْأَمْرِ.

نَقُولُ: نَعَمْ، أَمَا عَلِمْتَ قَوْلَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾؟! فَإِنَّ مَنْ وَقَعَ فِي شِرْكٍ وَاحِدٍ، شِرْكٍ أَكْبَرَ أَبْطَلَ جَمِيعَ عَمَلِهِ ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾. فَقَالَ: {مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ}.

فَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَشَارَ إِلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ وَهِيَ أَنَّ صَرْفَ نَوْعٍ وَاحِدٍ لِغَيْرِ اللهِ هُوَ شِرْكٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، هَذَا كَحُكْمٍ عَامٍّ.

فَيَنْبَغِي أَنْ نَتَنَبَّهَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَأَنْ لَا يَلْتَبِسَ عَلَيْنَا هَذَا الْأَمْرُ.

ثُمَّ قَالَ: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾».

قَوْلُ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَمَنْ يَدْعُ﴾؛ أَيْ: كُلُّ مَنْ يَدْعُو مَعَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- إِلَهًا آخَرَ.

وَنَلْحَظُ هُنَا أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- ذَكَرَ الدُّعَاءَ؛ فَمَنْ دَعَا مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَهَذَا كَافِرٌ، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، وَهَذَا يُؤَكِّدُ مَا سَبَقَ بَيَانُهُ وَهُوَ أَنَّ صَرْفَ نَوْعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ هُوَ شِرْكٌ.

طَيِّبٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الدُّعَاءَ وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْأَمْرِ كُلُّ عِبَادَةٍ تُصْرَفُ لِغَيْرِ اللهِ، لِمَاذَا؟!

لِأَنَّ الْعِلَّةَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الشِّرْكُ، وَمَنْ دَعَا غَيْرَ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ خَافَ الْخَوْفَ الَّذِي يَكُونُ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللهِ مِمَّا يَكُونُ لِلَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ.

فَإِذَنْ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الْمُرَادُ أَنَّ مَنْ يَصْرِفُ أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَقَدْ كَفَرَ.

طَيِّبٌ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ أَيْ: لَا تُوجَدُ عِنْدَهُ حُجَّةٌ وَلَا دَلِيلَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ الْإِنْسَانُ لَوْ عِنْدَهُ حُجَّةٌ أَوْ دَلِيلٌ عَلَى الشِّرْكِ يُشْرِكُ؟! لَا؛ لِأَنَّ الشِّرْكَ وَالْكُفْرَ حَرَّمَهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

لِمَاذَا؟!

اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– يَقُولُ: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ لَا حُجَّةَ لَهُ وَلَا دَلِيلَ؛ يَقُولُ هَذَا تَأْكِيدًا عَلَى ضَلالِهِمْ وَانْحِرَافِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، فَهُمْ يَعْمَلُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَلَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَهُمْ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ بِهِ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ هَذَا الْعَمَلَ وَقَدْ جَاءَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَى خِلَافِهِ.

إِذَنْ لَا دَلِيلَ عِنْدَهُ، بَلِ الدَّلِيلُ عَلَى خِلَافِهِ، فَيَكُونُ هَذَا مِنْ زِيَادَةِ تَقْرِيعِ حَالِهِمْ، وَمِنْ زِيَادَةِ بَيَانِ سُوءِ ضَلَالِهِمْ وَبَيَانِ أَنَّهُمْ مُصِرُّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ فَلَا دَلِيلَ عِنْدَهُمْ عَلَى هَذَا الشِّرْكِ.

فَقَالَ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ مَا عُقُوبَتُهُ؟!

قَالَ: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

أَيْ: عِقَابُهُ وَعَذَابُهُ سَيَلْقَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِخُلُودِهِ فِي النَّارِ، لِأَنَّ اللهَ كَمَا سَبَقَ مَعَنَا فِي آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ تَوَعَّدَ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ قَدْ يَقَعُ الْعَبْدُ فِي الشِّرْكِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ غَيْرُ وَاقِعٍ فِيهِ.

لِمَاذَا لَا يَقَعُ فِيهِ؟!

سَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللهُ فِي رِسَالَةِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ أَنَّهُ لَا يَقَعُ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَلَا يَعْلَمُ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ بِسَبَبِ تَلْبِيسَاتِ عُلَمَاءِ السُّوءِ، الَّذِينَ فَسَّرُوا لَهُمُ التَّوْحِيدَ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ.

وَالْعَجَبُ، كَمَا يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَقُولُونَ: الْعَجَبُ مِنْ مُسْلِمٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَى التَّوْحِيدِ فَيَقَعُ فِي الشِّرْكِ، وَالْكُفَّارُ - كُفَّارُ مَكَّةَ وَغَيْرُهُمْ- يَعْرِفُونَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، يَعْرِفُونَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَيْ: لَا تَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، فَكَانُوا يَرْفُضُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾.

يَعْنِي فَيَقُولُونَ: أَنَّ تَرْكَ آلِهَتِنَا بِقَوْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَبَعْضُ الْمُسْلِمِينَ -هَدَانَا اللهُ وَإِيَّاهُمْ إِلَى الصَّوَابِ- يَقُولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَهُوَ يَدْعُو غَيْرَ اللهِ، يَقُولُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) وَهُوَ يَذْبَحُ لِغَيْرِ اللهِ، يَقَعُ فِي الشِّرْكِ.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ الْحَقِيقِيِّ، وَلِذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ هُنَا قَدَّمَ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ لِأَهَمِّيَّةِ هَذَا الْأَمْرِ وَبَيَّنَ أَنَّ مَعْنَى

الْحَنِيفِيَّةِ أَنْ نَعْبُدَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، وَأَنْ لَا نُشْرِكَ بِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

إِذَنْ؛ قَالَ ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

أَيْ: لَا يَكْسِبُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ هُمْ فِي خَسَارَةٍ دَائِمَةٍ، فَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَالْكَافِرُونَ لَا يَغْتَرُّ بِهِمُ الْمُؤْمِنُ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ فِي الدُّنْيَا وَلَكِنْ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُونَ فِي النَّارِ خَالِدِينَ مُخَلَّدِينَ فِيهَا، إِنْ مَاتُوا عَلَى الْكُفْرِ وَمَاتُوا عَلَى الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

فَالْمُسْلِمُ يَدْعُو اللهَ وَيُوَحِّدُ اللهَ وَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، كَمَا سَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

هُنَا كَمَا سَبَقَ الشَّيْخُ يَقُولُ: «وَالدَّلِيلُ»، دَائِمًا يَبْنِي كَلَامَهُ عَلَى الدَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ.

وَهَذَا تَعْوِيدٌ لِطَالِبِ الْعِلْمِ وَتَعْوِيدٌ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقْبَلَ الْحَقَّ بِدَلِيلِهِ، وَأَنْ يَقْبَلَ الْكَلَامَ بِدَلِيلِهِ، فَإِنْ كَانَ الْكَلَامُ بِلَا دَلِيلٍ لَا يَقْبَلُهُ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ فِيهِ.

إِنَّمَا يُعَوِّدُ شَيْخُ الإِسْلَامِ طُلَّابَ الْعِلْمِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنِ التَّعَصُّبِ وَيُبْعِدُهُمْ عَنْ إِكْسَابِ الْمَشَايِخِ وَالْعُلَمَاءِ الْعِصْمَةَ وَأَنَّهُمْ لَهُمْ أَنْ يُشَرِّعُوا لِلنَّاسِ، وَلَهُمْ أَنْ يُحَلِّلُوا وَيُحَرِّمُوا، إِنَّمَا الْعُلَمَاءُ وَالْمَشَايِخُ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، يُبَيِّنُوا الْحَقَّ، وَأَمَّا مَنْ دَعَا إِلَى نَفْسِهِ وَدَعَا إِلَى بَاطِلٍ فَهُوَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

ثُمَّ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- شَرَعَ فِي بَيَانِ أَدِلَّةِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْعِبَادَاتِ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ.

فَذَكَرَ دَلِيلَ الدُّعَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ نَوْعًا نَوْعًا مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَأَدِلَّتَهَا، فَقَالَ: وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

هُنَا نُنَبِّهُ عَلَى أَمْرٍ أَنَّ الْحَدِيثَ صَحِيحٌ بِلَفْظِ الدُّعَاءِ هُوَ الْعِبَادَةُ، أَمَّا الْحَدِيثُ بِلَفْظِ «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» فَقَدْ ضَعَّفَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ وَمِنْهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

بِهَذَا اللَّفْظِ «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ» فَهَذَا ضَعِيفٌ، وَأَنَّ لَفْظَ «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» هُوَ الَّذِي صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَهُنَا قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ، هَلْ أَنْتَ الْآنَ تُخَطِّئُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبدِ الْوَهَّابِ، نَقُولُ: لَا، نَحْنُ لَا نُعْطِي أَيَّ عَالِمٍ، كَائِنًا مَنْ كَانَ لَا نُعْطِيهِ صِفَةَ الْعِصْمَةِ، فَكُلٌّ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ إِلَّا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

فَالْعِصْمَةُ فِيمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَفِيمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَكَانَ الصَّحَابَةُ –رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ– يَرُدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، يَرُدُّونَ طَلَبًا لِلْحَقِّ وَلِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَيَرُدُّونَ بِالْحُجَّةِ وَالدَّلِيلِ، فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– رُبَّمَا ظَنَّ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ صَحِيحٌ فَأَوْرَدَهُ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، فَالْحَدِيثُ صَحِيحٌ بِلَفْظِ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

مَا مَعْنَى: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»؟!

يَعْنِي الدُّعَاءُ هُوَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ، وَأَنَّ الدُّعَاءَ هُوَ مِنْ أَسَاسِيَّاتِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– يَحْصُلُ بِدُعَاءِ غَيْرِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِدُعَاءِ غَيْرِ اللهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، إِذَنْ؛ «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

فَبَعْضُ النَّاسِ تَقُولُ لَهُ: لَا تَدْعُ فُلَانًا وَفُلَانًا فَأَنْتَ تَعْبُدُهُمْ.

فَيَقُولُ: لَا أَنَا مَا أَعْبُدُهُمْ، أَنَا عِنْدَمَا أَدْعُوهُمْ أُعَظِّمُهُمْ وَأَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يُلَبُّوا طَلَبَاتِي أَوْ أَنْ يَصْرِفُوا عَنِّي السُّوءَ.

فَنَقُولُ: هَذَا الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَهَذَا الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ كُفَّارُ مَكَّةَ وَغَيْرُهُمْ، كَانُوا يَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فَكَيْفَ تَقُولُ: الدُّعَاءَ لَيْسَ عِبَادَةً؟! بَلِ الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ.

طَيِّبٌ: مَا الدَّلِيلُ أَيْضًا؟!

الدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَمَرَنَا أَنْ نَدْعُوَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فَقَالَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾ أَيِ الَّذِي رَبَّانَا بِنِعَمِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فَخَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَأَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ، يَعْنِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ الْأَدِلَّةَ أَنْ يَتَلَمَّسَ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي.

فَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– عِنْدَمَا يَقُولُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ يَتَأَمَّلُ الْمُسْلِمُ فِي وَصْفِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فِي ذِكْرِهِ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– بِأَنَّهُ هُوَ الرَّبُّ، الَّذِي رَبَّانَا بِنِعَمِهِ فَيُنْعِمُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– عَلَيْنَا بِالنِّعَمِ لَيْلَ نَهَارَ وَفِي كُلِّ حِينٍ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

وَمَعَ ذَلِكَ نَدْعُو غَيْرَهُ، لَا؛ بَلْ نَدْعُوهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

فَمَنْ كَانَتْ لَهُ طَلَبَاتٌ، مَنْ كَانَتْ لَهُ رَغَبَاتٌ، مَنْ كَانَتْ لَهُ أُمُورٌ يَرْجُوهَا فَلْيَسْأَلْهَا مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ أَنْ يَدْعُوهُ.

فَقَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أَيْ يُعْرِضُونَ عَنْ عِبَادَتِي، فَلاَ يَدْعُونَنِي اسْتِكْبَارًا وَإِعْرَاضًا، وَهُنَا نَلْحَظُ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَصَفَ وَسَمَّى الدُّعَاءَ عِبَادَةً.

فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ أَيْ: عَنْ دُعَائِي وَعَنْ أَنْ يَصْرِفُوا الْعِبَادَةَ لِي ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أَيْ: حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ، فَيُعَذَّبُونَ بِالنَّارِ بِلَهِيبِهَا، وَأَيْضًا يُهَانُونَ عُقُوبَةً لَهُمْ، فَهَذَا دَلِيلُ الدُّعَاءِ.

وَالدُّعَاءُ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الشِّرْكِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ الدُّعَاءُ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ أَوْ لِأَنَّ مَنْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ يَطْلُبُ قَضَاءَ حَوَائِجِهِ وَيَسْتَغِيثُ وَيَتَوَجَّهُ حِينَ يُشْرِكُ؛ بِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَمِنْ هُنَا كَانَ الدُّعَاءُ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ، وَكَانَ الدُّعَاءُ مِنْ أَكْثَرِ الشِّرْكِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ النَّاسُ، وَمِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي يَلِجُ فِيهَا الشَّيْطَانُ لِإِضْلَالِ النَّاسِ، لِأَنَّ الْمَرْءَ يَضْعُفُ عِنْدَ حَاجَتِهِ، فَيُرِيدُ قَضَاءَهَا، وَيُرِيدُ إِيقَاعَهَا، فَيَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ وَيُخَيِّلُ لَهُ وَيَقُولُ لَهُ: لَوْ سَأَلْتَ فُلاَنًا! لَوْ دَعَوْتَ فُلاَنًا! فَإِنَّ النَّاسَ تَدْعُو فُلاَنًا وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ فَادْعُهُ.

فَإِنْ كَانَ جَاهِلاً لَا يَعْرِفُ قَدْرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَا يُعَظِّمُ اللهَ فِي قَلْبِهِ وَيُعَظِّمُ الْمَخْلُوقِينَ أَكْثَرَ مِنْ تَعْظِيمِ اللهِ فَإِنَّهُ يَدْعُو غَيْرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَالْعَجَبُ أَنَّ الْمَخْلُوقِينَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَأَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَبِيَدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَأَنَّهُ لَوْ أَعْطَى النَّاسَ كُلَّهُمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ لِآخِرِهِمْ أَعْطَاهُمْ كُلَّهُمْ حَوَائِجَهُمْ مَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْءٌ.

فَكَيْفَ يَتَوَجَّهُ الْعَبْدُ لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؟!

وَكَيْفَ يَدْعُو الْعَبْدُ غَيْرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؟!

فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا مِنَ الانْحِرَافِ وَمِنْ إِضْلاَلِ الشَّيْطَانِ لِبَنِي آدَمَ.

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنْ يَسْأَلَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَهُنَا نُنَبِّهُ عَلَى أُمُورٍ فِي الدُّعَاءِ:

أَوَّلًا: يَنْبَغِي عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَأَنْ يُلِحَّ فِي الدُّعَاءِ وَأَنْ لَا يَسْتَبْطِئَ الْإِجَابَةَ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَدْعُونَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ يَقُولُونَ: لَمْ يَسْتَجِبْ لَنَا، فَيَذْهَبُونَ إِلَى طَرِيقٍ آخَرَ كَالدُّعَاءِ لِغَيْرِ اللهِ أَوِ الذَّهَابِ لِلسَّحَرَةِ أَوِ لِلْكُهَّانِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَهَذَا خَطَأٌ.

وَإِنَّمَا أَنْتَ يَا عَبْدَ اللهِ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُوَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَنْ تُطَيِّبَ مَطْعَمَكَ وَمَشْرَبَكَ وَمَلْبَسَكَ وَأَنْ تَسْلُكَ السَّبِيلَ الشَّرْعِيَّ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنْ تُخْلِصَ فِي الدُّعَاءِ، وَأَنْ تَدْعُوَ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِالْإِجَابَةِ وَتَعْلَمَ أَنَّ اللهَ بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، أَمَّا بَعْضُ النَّاسِ قَدْ يَدْعُو اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهُوَ سَاهٍ لَاهٍ غَافِلٌ ثُمَّ يُقَالُ: لَا يُسْتَجَابُ لِي، يَدْعُو اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَهُوَ يَأْكُلُ الْحَرَامَ وَمَلْبَسُهُ الْحَرَامُ وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟!

وَأَيْضًا عَلَيْهِ أَنْ يُرَاعِيَ أَوْقَاتَ الْإِجَابَةِ، الْأَزْمِنَةَ؛ عِنْدَ نُزُولِ الْمَطَرِ، وَأَيْضًا يُرَاعِي الْأَمْكِنَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الثَّابِتَةِ مُرَاعَاتُهَا وَأَيْضًا كَدُعَاءِ الْوَالِدَيْنِ. فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي بَابِ الدُّعَاءِ.

ثُمَّ قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾».

الْخَوْفُ مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

مَا هُوَ الْخَوْفُ؟!

الْخَوْفُ مَعْرُوفٌ، وَذَكَرُوا فِي تَعْرِيفِهِ بِأَنَّهُ تَأَلُّمُ الْقَلْبِ وَحَرَكَتُهُ بِسَبَبِ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَالْخَوْفُ قَدْ يَكُونُ مَحْمُودًا وَقَدْ يَكُونُ مَذْمُومًا.

فَالْخَوْفُ الْمَحْمُودُ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُكَ عَنِ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، كَمَا ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي صِفَاتِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُمْ يَخَافُونَهُ -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى-، فَهَذَا خَوْفٌ مَحْمُودٌ، مَمْدُوحٌ أَنْ يَمْنَعَكَ الْخَوْفُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْخَوْفَ أَنْوَاعٌ وَأَقْسَامٌ:

فَمِنْهُ: خَوْفُ السِّرِّ. مَا هُوَ خَوْفُ السِّرِّ؟!

خَوْفُ السِّرِّ مَعْنَاهُ أَنْ يَخَافَ الْعَبْدُ مِنْ غَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كَوَثَنٍ أَوْ وَلِيٍّ صَالِحٍ أَوْ مِنْ مَيِّتٍ فِي قَبْرِهِ يَخَافُ مِنْهُ كَخَوْفِهِ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَبَعْضُ النَّاسِ مَثَلاً لَا يَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ أَوْ لَا يَفْعَلُ أَمْرًا، نَقُولُ: لِمَاذَا؟!

فَيَقُولُ: أَخَافُ مِنْ سَيِّدِي فُلَانٍ أَنْ يُعَاقِبَنِي إِذَا فَعَلْتُهُ.

فَهَذَا سَاوَى بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي الْخَوْفِ، فَهَذَا مِنَ الشِّرْكِ، وَسُمِّيَ خَوْفَ السِّرِّ لِأَنَّهُ يَخَافُ فِي سَرِّهِ فِي نَفْسِهِ، يَظُنُّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ بِحَالِهِ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ الْخَوْفِ، مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ بِقَوْلِهِمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتْرُكُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ خَوْفًا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيَّة -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَمِنْ كَيْدِ عَدُوِّ اللهِ –أَيِ: الشَّيْطَانِ- أَنْ يُخَوِّفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جُنْدِهِ وَأَوْلِيَائِهِمْ لِئَلاَّ يُجَاهِدُوهُمْ وَلَا يَأْمُرُوهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ».

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّ هَذَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ وَتَخْوِيفِهِ وَنَهَانَا عَنْ أَنْ نَخَافَهُ. فَهَذَا الْخَوْفُ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي يَمْنَعُ كَمَالَ الْإِيمَانِ وَكَمَالَ التَّوْحِيدِ.

قَالَ فِي «فَتْحِ الْمَجِيدِ»: «فَهَذَا حَرَامٌ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ الْمُنَافِي لِكَمَالِ التَّوْحِيدِ».

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: الْخَوْفُ الطَّبِيعِيُّ: يَعْنِي كَخَوْفِ الْإِنْسَانِ مَثَلاً مِنَ الْأَسَدِ أَوْ خَوْفِهِ مِنَ النَّارِ أَوْ خَوْفِهِ مِنَ الْمَوْتِ، فَهَذَا لَا يُلَامُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ. كَمَا وَصَفَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَبِيَّ اللهِ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾.

فَإِذَنْ؛ هَذِهِ أَنْوَاعُ الْخَوْفِ الثَّلَاثَةُ خَوْفٌ هُوَ مِنَ الشِّرْكِ، وَخَوْفٌ يُنَافِي كَمَالَ التَّوْحِيدِ مُحَرَّمٌ، وَخَوْفٌ طَبِيعِيٌّ.

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: ﴿فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

يُخَاطِبُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ لَا يَخَافُوا. أَنْ لَا يَخَافُوا مِمَّنْ؟! أَنْ لَا يَخَافُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ﴿وَخَافُونِ﴾ أَيْ خَافُوا اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، ﴿إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِهِ وَعَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا -سُبْحَانَهُ وتَعَالَى-.

لِذَا عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ وَأَنْ يُوقِنَ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- بِيَدِهِ الْأُمُورُ، فَيَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَا يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ.

وَلَكِنْ هُنَا نُنَبِّهُ عَلَى أَمْرٍ وَهُوَ: أَنْ تَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ، لَا يَأْتِينا إِنْسَانٌ يَقُولُ: أَنَا مَا أَخَافُ مِنْ أَحَدٍ وَأَفْعَلُ مَا فِي رَأْسِي وَأَنَا يَعْنِي لَا أَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. فَيُكَفِّرُ النَّاسَ وَيَقْتُلُهُمْ وَيَقُولُ: أَنَا لَا أَخَافُ، لَا هَذَا لَيْسَ خَوْفًا شَرْعِيًّا، هَذَا خَوْفٌ شَيْطَانِيٌّ؛ هَذَا أَنْتَ تُخَوِّفُ النَّاسَ وَتُؤْذِيهِمْ.

إِنَّمَا الْخَوْفُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا سَبَقَ أَنْ تَخَافَ مِنَ الْأَسَدِ أَوِ السَّبُعِ.

وَأَمَّا الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَوْ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ خَافَهُمْ كَخَوْفٍ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَهَذَا شِرْكٌ.

وَإِنْ تَرَكَ مَا وَجَبَ لَهُ خَوْفًا مِنْ بَعْضِ النَّاسِ وَلَا عُذْرَ لَهُ يَمْنَعُهُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَهَذَا مُحَرَّمٌ.

وَلَكِنْ أَنْ يَظُنَّ الْعَبْدُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَخَافَ فَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فَلاَ شَكَّ أَنَّ هَذَا خِلافُ الشَّرْعِ، إِنَّمَا عَلَيْهِ أَنْ يَخَافَ وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِالشَّرْعِ فِيمَا وَرَدَ بِذَلِكَ الدَّلِيلُ.

وَلِذَلِكَ نَجِدُ وَنَسْمَعُ كَثِيرًا مِنْ كَلِمَاتِ هَؤُلَاءِ الدَّوَاعِشِ أَوْ تَنْظِيمِ الْقَاعِدَةِ أَوْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ دُعَاةِ السُّوءِ عِنْدَمَا يُلَبِّسُونَ عَلَى الْعَامَّةِ وَيُرِيدُونَ مِنْهُمُ الْخُرُوجَ عَلَى الْحُكَّامِ، يَقُولُونَ لَهُمْ: لَا تَخَافُوهُمْ. خَافُوا اللهَ. لَا تَخَافُوا فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. افْعَلُوا كَذَا.

نَقُولُ: يَا أَخِي، اتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ، الْخَوْفُ الَّذِي الْآنَ تَذُمُّ النَّاسَ عَلَيْهِ هُوَ أَمْرٌ شَرْعِيٌّ فَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَى جَوْرِ الْحُكَّامِ وَعَدَمَ الْخُرُوجِ عَلَى الْحُكَّامِ وَسُؤَالَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يُفَرِّجَ الْهَمَّ وَأَنْ يُصْلِحَهُمْ هُوَ السُّنَّةُ.

فَكَيْفَ تَجْعَلُ السُّنَّةَ أَنَّهَا خَوْفٌ، فَالصَّحَابَةُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- فِي مَكَّةَ هَلْ قَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ بِهَدْمٍ عَلَيْهِمْ، أَوْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ غِيلَةً، أَوْ أَنْ يَنْحَرُوهُمْ هَكَذَا؟!

لَا؛ إِنَّمَا صَبَرُوا حَتَّى أُمِرُوا بِالْجِهَادِ، يَنْبَغِي أَنْ لَا يَلْتَبِسَ عَلَيْنَا الْأَمْرُ، نَعَمْ، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ بِمَا شَرَعَ اللهُ، لَا بِمَا شَرَعَ الشَّيْطَانُ وَأَوْلِيَاؤُهُ.

نَعَمْ، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ إِذَا حَقَّقْنَا السُّنَّةَ وَحَقَّقْنَا عِبَادَةَ اللهِ وَتَوَكَّلْنَا عَلَى اللهِ وَخِفْنَا مِنَ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

أَمَّا هَذَا الْخَوْفُ الْمَنْفِيُّ الَّذِي يَزْعُمُهُ هَؤُلَاءِ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ خَوْفٌ بَاطِلٌ شَيْطَانِيٌّ يُلَبَّسُ بِهِ عَلَى الْعَوَامِّ.

أَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي أَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعَمَلَ الصَّالِحَ.

وَأُحِبُّ أَنْ أُنَبِّهَ عَلَى أَمْرٍ مُهِمٍّ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَعْهَدِ «مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ» وَهُوَ أَنَّنَا فِي هَذَا الْمَعْهَدِ بِفَضْلِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- نَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُنَا، عُلَمَاءُ السُّنَّةِ، عُلَمَاءُ الْحَقِّ، فَنَدْعُو لِلتَّوْحِيدِ، وَنَدْعُو إِلَى السُّنَّةِ وَنُحَارِبُ الشِّرْكَ وَنُحَارِبُ الْبِدْعَةَ، وَإِنْ شَاءَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا نُخَالِفُ هَذِهِ الْأُمُورَ أَبَدًا، وَمَنْ يَطْعَنُ فِي هَذَا الْمَعْهَدِ أَوْ يُحَذِّرُ مِنْهُ فَهُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ:

إِمَّا رَجُلٌ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ لَا تُعْجِبُهُ إِقَامَةُ التَّوْحِيدِ وَلَا تُعْجِبُهُ مُحَارَبَةُ الشِّرْكِ وَلَا يُرِيدُ هَذِهِ الْأُمُورَ، يُرِيدُ النَّاسَ أَنْ يَبْقَوْا عَلَى ضَلَالِهِمْ، فَلاَ شَكَّ أَنَّ الدُّرُوسَ الَّتِي فِي هَذَا الْمَعْهَدِ سَتَكُونُ حُجَّةً عَلَيْهِ، سَتَكُونُ وَبَالًا عَلَيْهِ، وَسَتَهْدِي -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- سَتَهْدِي بِمَعْنَى سَتُرْشِدُ وَتَدُلُّ النَّاسَ عَلَى الْحَقِّ.

وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلاً آخَرَ؛ رَجُلٌ جَاهِلٌ أَوْ مُتَعَصِّبٌ، أَوْ رَجُلٌ مُتَهَوِّرٌ لَا يَعْرِفُ مَكَانَةً لِلتَّوْحِيدِ، وَيُحَارِبُ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَيُحَارِبُ أَهْلَ الْحَقِّ.

فَأَنَا أَقُولُ لِهَؤُلَاءِ جَمِيعًا: مَنْ يُحَذِّرُ مِنَ الْمَعْهَدِ إِنْ كَانَ رَجُلاً صَادِقًا فَلْيَأْتِ بِالدَّلِيلِ. أَنَا عِنْدَمَا أُحَذِّرُ مِنَ الشِّرْكِ، أَوْ أُحَذِّرُ مِنَ الْبِدْعَةِ؛ عِنْدَنَا أَدِلَّةٌ، أَوْ نُحَذِّرُ مِنْ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ؛ عِنْدَنَا الْأَدِلَّةُ، فَمَنْ حَذَّرَ مِنَ السَّلَفِيِّينَ أَوْ حَذَّرَ مِنَ الْمَعَاهِدِ السَّلَفِيَّةِ بِلاَ حُجَّةٍ وَلَا دَلِيلٍ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى، وَأَنَّهُ إِلَى الْحَمَاقَةِ وَإِلَى السَّفَهِ أَقْرَبُ مِنَ الْعِلْمِ وَسِيمَاتِ طَالِبِ الْعِلْمِ.

لِمَاذَا؟!

لِأَنَّكَ أَنْتَ الْآنَ تُحَارِبُ دَعْوَةً إِلَى التَّوْحِيدِ، تُحَارِبُ دَعْوَةً إِلَى السُّنَّةِ، فَبِاللَّهِ عَلَيْكُمْ قُولُوا لِي وَأَجِيبُونِي بِكُلِّ صَرَاحَةٍ: هَلْ مَنْ يُحَذِّرُ مِنْ دَعْوَةٍ كَهَذِهِ لَهُ عَقْلٌ؟! لَهُ تَقْوَى مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؟!

لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا يَكُونُ لِصَاحِبِ هَوًى أَوْ جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ التَّوْحِيدَ وَلَا يَرْفَعُ لَهُ رَأْسًا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

فَهَؤُلَاءِ نَقُولُ لَهُمْ: اتَّقُوا اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ.

وَنَقُولُ لَهُمْ أَيْضًا: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فَمَنْ يَقُولُ مِثْلَ هَذَا الْكَلاَمِ بِلاَ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَانٍ؛ كَلاَمُهُ مَرْدُودٌ عَلَى وَجْهِهِ، كَمَا هُوَ مَنْصُوصُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ.

فَاللَّهَ أَسْأَلُ -عَزَّ وَجَلَّ فِي عُلاَهُ- أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكُمُ الْإِخْلاَصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْ يَرْزُقَ هَذَا الْمَعْهَدَ الْقَبُولَ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَأَنْ يَنْفَعَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَذْكُرُ لِي أَصْحَابُ الْإِدَارَةِ -جَزَاهُمُ اللهُ خَيْرًا- أَنَّ الْإِخْوَةَ الْمُشَارِكِينَ وَالْأَخَوَاتِ الْمُشَارِكَاتِ فِي هَذَا الْمَعْهَدِ، يَعْنِي اللَّهُمَّ بَارِكْ وَزِدْ فِي نَفْعِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، هُمْ مُتَعَطِّشُونَ لِهَذَا التَّوْحِيدِ وَمُتَعَطِّشُونَ لِلْعِلْمِ النَّافِعِ.

وَاللَّهِ لَا أُزَكِّي نَفْسِي؛ وَلَكِنْ أَنَا طَالِبُ عِلْمٍ وَأَسِيرُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عُلَمَاؤُنَا وَأَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، مَا عِنْدِي شَيْءٌ زَائِدٌ، وَإِنَّمَا عِنْدِي مَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْحَقِّ، فَأَنَا عَلَى هَذَا الْحَقِّ.

وَلَوْ ضَلَلْتُ أَوِ انْحَرَفْتُ عَنِ الْحَقِّ؛ فَلاَ شَكَّ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتْرُكُوا مَنْ ضَلَّ وَانْحَرَفَ عَنِ الْحَقِّ، أَسْأَلُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَرْزُقَنِي وَإِيَّاكُمُ الْإِخْلاَصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الْخَامِسُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ سَبَقَ مَعَنَا فِي الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تَكُونُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَالَّتِي عَدَّدَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– مُبَيِّنًا أَدِلَّتَهَا مُبَيِّنًا أَنَّ صَرْفَهَا لِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ، كَمَا نَعْلَمُ جَمِيعًا أَنَّ هَذِهِ الْأُصُولَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– هِيَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ كَمَا مَرَّ مَعَنَا سَابِقًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَصْلِ الْأَوَّلِ فِي مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ذَكَرَ كَيْفَ عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ؟!

– وَمَنْ هُوَ رَبُّهُ؟!

رَبُّهُ الَّذِي رَبَّاهُ وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ فَهُوَ مَعْبُودُهُ لَيْسَ لَهُ مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَيْضًا ذَكَرَ كَيْفَ عَرَفَ الْعَبْدُ رَبَّهُ؟!

فَعَرَفَهُ بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الرَّبَّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْمَعْبُودُ، وَكَمَا قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: الْخَالِقُ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ؛ فَالَّذِي خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالَّذِي خَلَقَنَا وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا وَالَّذِي جَعَلَ لَنَا الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَنَا هُوَ الْمَعْبُودُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ.

ثُمَّ كَمَا مَرَّ مَعَنَا بَيَّنَ -رحمه الله تعالى- أَنْوَاعَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ، وَأَيْضًا الدُّعَاءُ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّعَاءِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْخَوْفِ.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:

«وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

وَدَلِيلُ الاِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

وَدَلِيلُ الاِسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

وَدَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾».

الشَّرْحُ

وَالْيَوْمَ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- نَدْخُلُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّجَاءِ حَيْثُ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- مُبَيِّنًا دَلِيلَ الرَّجَاءِ فَقَالَ: وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

الرَّجَاءُ عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ، وَالرَّجَاءُ هُوَ رَغْبَةُ الْقَلْبِ وَطَمَعُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَى شَيْءٍ مَرْجُوٍّ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «حَقِيقَةُ الرَّجَاءِ: الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فَيَفْعَلُ مَا أُمِرَ بِهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ رَاجِيًا لِلثَّوَابِ وَيَتْرُكُ مَا نُهِيَ عَنْهُ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ خَائِفًا مِنَ الْعِقَابِ».

وَالرَّجَاءُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللهِ فَهُوَ رَاجٍ ثَوَابَهُ.

النَّوْعُ الثَّانِي: وَرَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ مِنْهَا فَهُوَ رَاجٍ مَغْفِرَةَ اللهِ تَعَالَى وَعَفْوَهُ وَإِحْسَانَهُ وَجُودَهُ وَحِلْمَهُ وَكَرَمَهُ.

كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيَّة –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–، فَهَذَانِ النَّوْعَانِ مِنَ الرَّجَاءِ: رَجَاءِ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةٍ، وَرَجَاءِ رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا ثُمَّ تَابَ، فَمَنْ عَمِلَ بِالطَّاعَةِ يَرْجُو ثَوَابَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَمَنْ عَمِلَ بِالْمَعْصِيَةِ يَرْجُو مَغْفِرَةَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَعَفْوَهُ وَإِحْسَانَهُ، هَذَانِ النَّوْعَانِ هُمَا نَوْعَانِ مَحْمُودَانِ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: رَجَاءُ رَجُلٍ مُتَمَادٍ فِي التَّفْرِيطِ وَالْخَطَايَا، يَرْجُو رَحْمَةَ اللهِ بِلاَ عَمَلٍ، فَهَذَا هُوَ الْغُرُورُ وَالتَّمَنِّي وَالرَّجَاءُ الْكَاذِبُ.

كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيَّة –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَالْعَبْدُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ أَنْ يَسِيرَ وَيَجْمَعَ فِي سَيْرِهِ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْمَحَبَّةِ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ، وَلَا تَحْصُلُ الْعُبُودِيَّةُ لِلَّهِ إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثِ؛ فَالرَّجَاءُ عِبَادَةٌ قَلْبِيَّةٌ هَذِهِ الْعِبَادَةُ لَهَا مَكَانَتُهَا وَلَهَا عَظِيمُ أَثَرِهَا عَلَى الْعَبْدِ».

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيَّة: «قُوَّةُ الرَّجَاءِ عَلَى حَسَبِ قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَعْنِي كُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ أَعْرَفَ بِاللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَبِأَسْمَائِهِ

وَصِفَاتِهِ كُلَّمَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِهِ وَكُلَّمَا رَجَاهُ وَكُلَّمَا ازْدَادَ رَجَاؤُهُ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–».

لِذَلِكَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– ذَكَرَ الرَّجَاءَ وَنَصَّ عَلَيْهِ فَقَالَ: وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ}؛ أَيْ: أَنْ يَلْقَى اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– فَيَلْقَى ثَوَابَهُ وَوَعْدَهُ.

{فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا}؛ يَعْنِي: فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً خَالِصًا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مُتَابِعًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَهُوَ الْعَمَلُ الشَّرْعِيُّ الَّذِي أُمِرَ بِهِ الْعَبْدُ.

{وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}؛ أَيْ: لَا يَقَعُ فِي الشِّرْكِ بِأَنْ يُشْرِكَ مَعَ اللهِ أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، ﴿أَحَدًا﴾ كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: نَكِرَةٌ يَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ أَحَدٍ، فَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَيَّ أَحَدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَفِي قَوْلِهِ –عَزَّ وَجَلَّ –: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَا هُوَ؟!!

لَيْسَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِمَا شِئْتَ وَبِمَا تَظُنُّهُ أَنَّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَإِنَّمَا الْعَمَلُ الصَّالِحُ كَمَا سَبَقَ أَنَّهُ مَا اجْتَمَعَ فِيهِ شَرْطَانِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ خَالِصًا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مُتَابِعًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَالْعَبْدُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَلاَ يَرْجُو أَحَدًا إِلَّا اللهَ، وَلَا يُعَلِّقُ قَلْبَهُ بِأَحدٍ إِلَّا بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لِذَلِكَ يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَمَا رَجَا أَحَدٌ مَخْلُوقًا أَوْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ إِلَّا خَابَ ظَنُّهُ فِيهِ».

وَقَالَ أَيْضًا: «إِذَا تَعَلَّقَ بِالْمَخْلُوقِينَ وَرَجَاهُمْ وَطَمِعَ فِيهِمْ أَنْ يَجْلِبُوا لَهُ مَنْفَعَةً أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهُ مَضَرَّةً فَإِنَّهُ يُخْذَلُ مِنْ جِهَتِهِمْ وَلَا يُحَصِّلُ مَقْصُودَهُ» إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الرَّجَاءَ ذَكَرَ التَّوَكُّلَ فَقَالَ: وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

التَّوَكُّل عَلَى اللهِ: هُوَ الِاعْتِمَادُ عَلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ وَأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَسْلِمُ لِأَمْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- تَظْهَرُ فِيهِ مَعَانِي التَّوْحِيدِ وَيَظْهَرُ فِيهِ صِدْقُ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَهُوَ فَرِيضَةٌ وَعِبَادَةٌ يَجِبُ إِخْلَاصُهُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ.

فَالتَّوَكُّل عَلَى اللهِ حَقِيقَتُهُ أَنَّ الْقَلْبَ يَتَعَلَّقُ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَعَ أَخْذِهِ بِالْأَسْبَابِ وَعَدَمِ اعْتِمَادِهِ عَلَيْهَا، التَّوَكُّل عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَلْبُ الْعَبْدِ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَعَ أَخْذِهِ بِالْأَسْبَابِ وَعَدَمِ الِاعْتِمَادِ عَلَيْهَا.

لَا بُدَّ أَنْ نَفْهَمَ هَذِهِ الْأُمُورَ:

أَوَّلًا: أَنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ مُتَعَلِّقٌ بِاللهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا وَأَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَعْنِي تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْمَلُ بِالْأَسْبَابِ وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَإِنَّمَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَنَا أَنْ نَأْخُذَ بِالْأَسْبَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا أَخَذْنَا بِالْأَسْبَابِ لَا نَعْتَمِدُ عَلَيْهَا بِمَعْنَى لَا نَظُنُّ أَنَّ

الْأَسْبَابَ هِيَ الَّتِي تُحَقِّقُ لَنَا النَّفْعَ أَوْ تَدْفَعُ عَنَّا الضُّرَّ، بَلْ هَذَا بِيَدِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ –وَحْدَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

وَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ الْجَوْزِيَّة –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– فِي كِتَابِهِ «الْفَوَائِدُ»:

«التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ نَوْعَانِ أَحَدُهُمَا: تَوَكُّلٌ عَلَى اللهِ فِي جَلْبِ حَوَائِجِ الْعَبْدِ وَحُظُوظِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ أَوْ دَفْعِ مَكْرُوهَاتِهِ وَمَصَائِبِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

وَالثَّانِي: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ –فِي حُصُولِ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ».

قَالَ: «وَبَيْنَ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْفَضْلِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ فَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ فِي النَّوْعِ الثَّانِي حَقَّ تَوَكُّلِهِ أَيْ فِي نَوْعِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ وَالْجِهَادِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ كَفَاهُ النَّوْعَ الْأَوَّلَ تَمَامَ الْكِفَايَةِ وَمَتَى تَوَكَّلَ عَلَيْهِ فِي النَّوْعِ الْأَوَّلِ دُونَ الثَّانِي كَفَاهُ أَيْضًا لَكِنْ لَا يَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الْمُتَوَكِّلِ فِيمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ».

قَالَ: «فَأَعْظَمُ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ التَّوَكُّلُ فِي الْهِدَايَةِ وَتَجْرِيدُ التَّوْحِيدِ وَمُتَابَعَةُ الرَّسُولِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–».

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- كَمَا سَبَقَ: «وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

قَوْلُهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾؛ أَيْ: عَلَى اللهِ اعْتَمِدُوا.

وَهَذِهِ الْآيَةُ تُفِيدُ أَنَّنَا نَعْتَمِدُ عَلَى اللهِ وَلَا نَعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِهِ.

فَإِنَّ الاِعْتِمَادَ عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَحْرِصُ عَلَيْهَا كُلُّ مُؤْمِنٍ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ أَيْ: لَا تَتَوَكَّلُوا عَلَى غَيْرِهِ، فَالْمُسْلِمُ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أَيْ: وَمَنْ يَعْتَمِدْ عَلَى اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- وَيَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فِي أَمْرِهِ دِينًا وَدُنْيَا فَإِنَّ اللهَ هُوَ حَسْبُهُ (حَسْبُهُ) بِمَعْنَى أَنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ-هُوَ كَافِيهِ، فَمَهْمَا حَاوَلَ أَنْ يُؤْذِيَهُ مَنْ يُؤْذِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَمَا دَامَ أَنَّ الْعَبْدَ مُتَوَكِّلٌ عَلَى اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- إِلَّا شَيْئًا قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ مَحْفُوفٌ بِالْحِفْظِ وَاللُّطْفِ وَالرِّعَايَةِ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الاِسْتِعَانَةُ بِاللهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَاللَّجْءُ إِلَيْهِ وَالدُّعَاءُ لَهُ، هِيَ الَّتِي تُقَوِّي الْعَبْدَ وَتُيَسِّرُ عَلَيْهِ

الْأُمُورَ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ». انْتَهَى.

لَكِنْ كَمَا سَبَقَ مَعَ مُرَاعَاةِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَأَيْضًا مَعَ مُرَاعَاةِ أَنْ لَا يَعْتَمِدَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ وَيَعْتَقِدَ أَنَّهَا تَنْفَعُ وَتَضُرُّ بِنَفْسِهَا؛ بَلِ الْعَبْدُ يَبْذُلُ الْأَسْبَابَ وَيَسْأَلُ اللهَ الْإِعَانَةَ وَالتَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ حَتَّى يَمْتَثِلَ أَمْرَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحَتَّى يُحَقِّقَ مَعْنَى التَّوْحِيدِ، وَحَتَّى إِذَا أَتَى بِالتَّوَكُّلِ فَإِنَّ اللهَ-عَزَّ وَجَلَّ- يَنْصُرُهُ، وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُوَفِّقُهُ وَيُسَدِّدُهُ.

وَلِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي حَوَائِجِ الدُّنْيَا عِنْدَمَا يَطْلُبُونَهَا مِنْ غَيْرِ اللهِ فَإِنَّهُمْ قَدْ لَا يُوَفَّقُونَ لَهَا، إِذَا كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةً بِغَيْرِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ- وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ قُلُوبُهُمْ مُعَلَّقَةً بِاللهِ - عَزَّ وَجَلَّ- فَإِنَّهُمْ -بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى- يُوَفَّقُونَ، وَلِذَلِكَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَنَا بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾».

الرَّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ وَالْخُشُوعُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَصْرِفَهَا لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَالرَّغْبَةُ: هِيَ طَلَبُ الْوُصُولِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ.

وَالرَّهْبَةُ: هِيَ الْخَوْفُ مِنْ أَمْرٍ يُفْزِعُ الْمَرْءَ مِمَّا يُثْمِرُ الْهَرَبَ مِنَ الْأَمْرِ الْمُخَوِّفِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا وَفَّقَهُ لِاسْتِفْرَاغِ وُسْعِهِ وَبَذْلِ جُهْدِهِ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُمَا مَادَّتَا التَّوْفِيقِ، فَبِقَدْرِ قِيَامِ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ فِي الْقَلْبِ يَحْصُلُ التَّوْفِيقُ».

وَالْخُشُوعُ: هُوَ الذُّلُّ لِعَظَمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ-، وَالْخُشُوعُ قَدْ يَكُونُ فِي الْقَلْبِ وَقَدْ يَكُونُ فِي الْجَوَارِحِ.

وَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ- أَثْنَى عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَثْنَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ - صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ- حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّهُمْ﴾ - أَيْ: هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَهَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ- ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يَعْنِي: يَبْذُلُونَ كُلَّ مَا فِي وُسْعِهِمْ لِلْحُصُولِ عَلَى الْخَيْرَاتِ، وَعَلَى مَرْضَاةِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ- فَيَتَسَارَعُونَ وَيَتَسَابَقُونَ.

وَالْخَيْرَاتُ: الْمُرَادُ بِهَا الطَّاعَاتُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- بِهَا وَالَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ.

وَلِذَلِكَ هَذَا يَنبَغِي أَنْ نَلْحَظَهُ دَائِمًا فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ؛ أَنَّ الْحَثَّ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْحَثَّ عَلَى الطَّاعَاتِ إِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الطَّاعَاتُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ– بِهَا كَمَا قَالَ –عَزَّ شَأْنُهُ–: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

إِذَنْ؛ كَانُوا هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحُونَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَكَانُوا أَيْضًا مَاذَا؟! ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يَدْعُونَنَا رَغَبًا: يَعْنِي يَدْعُونَنَا يَطْلُبُونَ الثَّوَابَ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَهُمْ يَأْمَلُونَ مِنَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ– الثَّوَابَ وَحُسْنَ الْمَآبِ وَالْخَيْرَ مِنَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ–، ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أَيْضًا يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ أَعْمَالُهُمْ، يَخَافُونَ أَنْ يَكُونُوا مُقَصِّرِينَ مَعَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾.

وَلِذَلِكَ يَنبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ لَا يَغْتَرَّ بِطَاعَتِهِ، وَأَنْ لَا يَغْتَرَّ بِصَلَاحِهِ، فَيَظُنُّ نَفْسَهُ أَنَّهُ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ قَدْ وُفِّقُوا لِلْخَيْرِ؛ لَا.

لَا بُدَّ أَيْضًا مِنَ الْخَوْفِ؛ لَا بُدَّ يَخَافُونَ مِنَ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ– يَخَافُونَ مِنَ التَّقْصِيرِ، يَخَافُونَ مِنَ الْعِقَابِ.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ يَعْنِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ وَالصَّالِحِينَ كَانُوا خَاضِعِينَ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مُتَذَلِّلِينَ لَهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

-، وَفِي ذَلِكَ كَمَالُ الْعِبَادَةِ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ كَمَالُ الْمَحَبَّةِ مَعَ كَمَالِ الذُّلِّ فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- أَثْنَى عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَيَنْبَغِي لِمَنْ دُونَهُمْ مِنَ الْعِبَادِ أَنْ يَمْتَثِلُوا مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ؛ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ وَالْخُشُوعَ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾».

الْخَشْيَةُ: بِمَعْنَى الْخَوْفِ إِلَّا أَنَّ الْخَشْيَةَ فِيهَا مَعْنَى الْخَوْفِ بِصُورَةٍ أَدَقَّ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ لَمْ يَقُلْ: إِنَّمَا يَخَافُ اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ؛ لِمَاذَا؟!

قَالُوا: لِأَنَّ خَشْيَةَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مَقْرُونَةٌ بِمَعْرِفَتِهِ وَعَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ تَكُونُ الْخَشْيَةُ، وَلِذَلِكَ الْخَشْيَةُ مِنَ الْعِبَادَاتِ الْقَلْبِيَّةِ الْعَظِيمَةِ وَهِيَ مِنْ أَوَائِلِ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْخَشْيَةُ مُثْمِرَةٌ عَنِ الْعِلْمِ.

وَلِذَلِكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَبَيْنَ الزُّهَّادِ الَّذِينَ لَا عِلْمَ لَهُمْ؛ أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَهْلُ الْخَشْيَةِ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مَعْرِفَةٍ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَمَّا الزُّهَّادُ فَأَهْلُ خَوْفٍ إِذْ كَانَ زُهْدُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى مُجَرَّدِ الْخَوْفِ لَا عَلَى الْعِلْمِ بِاللهِ -

عَزَّ وَجَلَّ- وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِهِ عَلَى أَدْنَاكُمْ».

فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ: ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ فَالْخَشْيَةُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فَلاَ تَخْشَوْا أَيَّ أَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -.

لِمَاذَا؟!

- لِأَنَّهُ لَيْسَ بِيَدِهِمْ شَيْءٌ، إِنَّمَا الْأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ أَهْلُ الْخَشْيَةِ هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يُخْشَى وَأَهْلٌ لِأَنْ يُتَّقَى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَقَدْ جَاءَتِ الْخَشْيَةُ فِي صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي آيَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ أَيْ يَخَافُونَهُ وَيَحْذَرُونَهُ وَيَحْذَرُونَ عَذَابَهُ وَعِقَابَهُ وَسُخْطَهُ بِمَاذَا يَحْذَرُونَهُ؟! بِمُجَرَّدِ الْخَوْفِ؟!؛ لَا بِالْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَيَتَعَلَّمُونَ الطَّاعَاتِ فَيَعْمَلُونَ بِهَا وَيَتَعَلَّمُونَ الْأُمُورَ الَّتِي نَهَى عَنْهَا فَيَجْتَنِبُوهَا.

وَلِذَلِكَ أَثْنَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِمْ هَذَا الثَّنَاءَ الْعَطِرَ، بَلْ قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا مَرَّ مَعَنَا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

ثُمَّ ذَكَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَيْضًا فِي كِتَابِهِ قَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فَمِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْنَا أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُتَعَلِّقًا بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَلَعَلَّ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ «مِنَ اللهِ وَاجِبَةٌ».

ثُمَّ قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

الْإِنَابَةُ: أَنَابَ إِلَى اللهِ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَالْإِنَابَةُ هِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالْعَبْدُ يُنِيبُ وَيَرْجِعُ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ قَلْبُهُ بِهِ، وَالْإِنَابَةُ أَيْضًا تَأْتِي بِمَعْنَى التَّوْبَةِ، فَالْعَبْدُ التَّائِبُ مُنِيبٌ إِلَى اللهِ لِأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

يَقُولُ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- وَدَلِيلُ الْإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، فَهَذِهِ الْعِبَادَةُ الْعَظِيمَةُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- يَأْمُرُنَا بِهَا ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾؛ يَعْنِي: ارْجِعُوا إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِقُلُوبِكُمْ، ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أَيْ بِجَوَارِحِكُمْ.

فَالْعَبْدُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِنَابَةِ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، وَبَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّغْبَةِ كَمَا مَرَّ، فَهَذِهِ الْعِبَادَاتُ إِذَا امْتَلَأَ قَلْبُ الْعَبْدِ بِهَا، زَادَتْهُ بَصِيرَةً وَإِيمَانًا وَيَقِينًا.

قَالَ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الاِسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَفِي الْحَدِيثِ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

الاِسْتِعَانَةُ مَعْنَاهَا طَلَبُ الْعَوْنِ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ذَكَرَ دَلِيلَهَا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيْ وَلَا نَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاكَ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ؛ أَيْ: وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَحَدٍ سِوَاكَ.

فَهُنَا جَعَلَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَصَّ مِنَ الْعِبَادَةِ الاِسْتِعَانَةَ لِعَظِيمِ فَضْلِهَا وَشَرِيفِ مَكَانَتِهَا، فَاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِطَلَبِ الْعَوْنِ مِنْهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بِيَدِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلِذَلِكَ الْعَبْدُ جَاءَ فِي الشَّرْعِ مَا يُرَغِّبُهُ فِي الْإِكْثَارِ مِنْ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَلَّا يَغْتَرَّ بِقُوَّتِهِ وَلَا بِمَالِهِ وَلَا بِجَاهِهِ وَلَا بِمَنْصِبِهِ، وَإِنَّمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ فَقِيرٌ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

كَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، فَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا نِدَاءٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ غَنِيِّهِمْ وَفَقِيرِهِمْ، غَنِيِّهِمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا

عِنْدَهُ مِنْ أَمْوَالٍ، وَفَقِيرِهِمْ فِي الدُّنْيَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، كُلُّ هَؤُلَاءِ هُمْ فُقَرَاءُ إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَالْفَقِيرُ إِذَا اسْتَغْنَى بِاللهِ فَهُوَ الْغَنِيُّ، وَالْغَنِيُّ إِذَا اسْتَغْنَى بِقُوَّتِهِ فَهُوَ الْفَقِيرُ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

وَلِذَلِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَّمَ ابْنَ عَبَّاسٍ وَعَلَّمَ الْأُمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ أَيْضًا أَنَّهُ كَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ فِي الْحَدِيثِ: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ الْعَوْنَ وَأَرَدْتَ التَّوْفِيقَ، فَاطْلُبِ الْعَوْنَ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ فَإِنَّهُ نَاصِرُكَ وَإِنَّهُ مُعِينُكَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

فَإِنَّ الاِسْتِعَانَةَ تُطْلَبُ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَلَا بَأْسَ بِالاِسْتِعَانَةِ بِالْمَخْلُوقِ الْحَيِّ عَلَى أَمْرٍ قَادِرٍ عَلَيْهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ نُرَاعِيَ هَذِهِ الْأُمُورَ فِي الاِسْتِعَانَةِ بِالْمَخْلُوقِ:

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ الْمَخْلُوقُ حَيًّا، فَلَوْ كَانَ مَيِّتًا فَلاَ يَجُوزُ الاِسْتِعَانَةُ بِهِ حَتَّى نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَا يَجُوزُ الاِسْتِعَانَةُ بِهِ؛ فَهُوَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مَيِّتٌ فِي قَبْرِهِ لَيْسَ بِيَدِهِ شَيْءٌ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، بَلْ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا مَرَّ مَعَنَا سَابِقًا: «إِذَا اسْتَعَنْتَ

فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»، وَعُمَرُ كَانَ يَسْتَسْقِي بِالنَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَيْ: بِدُعَائِهِ. فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اسْتَسْقَى؛ أَيْ: طَلَبَ الدُّعَاءَ مِنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ.

فَكَذَا الِاسْتِعَانَةُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْحَيِّ، وَعَلَى أَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْحَيُّ؛ كَأَنْ يُعِينَكَ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، أَمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْحَيُّ؛ كَأَنْ يَسْأَلُهُ مَثَلاً «أَنْ يَرْزُقَهُ الْوَلَدَ، أَوْ يَسْأَلُهُ أَنْ يَفْعَلَ لَهُ كَذَا وَكَذَا» مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ- فَهَذِهِ اسْتِعَانَةٌ مُحَرَّمَةٌ بَلْ شِرْكِيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ.

فَالِاسْتِعَانَةُ بِالْأَمْوَاتِ، وَكَذَا الِاسْتِعَانَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْغَائِبِينَ، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ الْعَاجِزِينَ عَلَى أَمْرٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فَهَذِهِ شِرْكٌ، وَلَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِهَؤُلَاءِ.

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الِاسْتِعَاذَةِ -قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾».

الِاسْتِعَاذَةُ: طَلَبُ الْعَوْذِ وَهُوَ الِالْتِجَاءُ وَالِاعْتِصَامُ، وَالِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ تَلْتَجِئَ إِلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَتَعْتَصِمَ بِهِ وَتَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُعِينَكَ فِي أَمْرِكَ بِصَرْفِ مَا يَضُرُّكَ، وَجَلْبِ مَا يَنْفَعُكَ.

وَالاِسْتِعَاذَةُ أَدِلَّتُهَا كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ذَكَرَ الشَّيْخُ مِنْهَا ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ خِطَابٌ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿قُلْ﴾ أَمْرٌ أَنْ يَقُولَ.

﴿أَعُوذُ﴾ أَيْ: أَعْتَصِمُ وَأَلْتَجِئُ بِمَنْ؟!

﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أَيْ: بِاللَّهِ-عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي هُوَ رَبُّ الْفَلَقِ، أَيْ: رَبُّ الصُّبْحِ.

وَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾كَذَلِكَ قُلْ يَا نَبِيِّي: أَعُوذُ بِكَ بِمَنْ؟! بِاللَّهِ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

وَهَاتَانِ الْمُعَوِّذَتَانِ جَاءَ فِي فَضْلِهِمَا أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ عَنِ النَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَالاِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عِبَادَةٌ عَظِيمَةٌ، وَاللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كَمَا فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ أَمَرَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَسْتَعِيذَ بِفَالِقِ الْإِصْبَاحِ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَالاِسْتِعَاذَةُ بِالْمَخْلُوقِ الْحَيِّ الْحَاضِرِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لَا مَانِعَ مِنْهَا.

وَالاِسْتِعَاذَةُ بِالْمَخْلُوقِ الْحَيِّ الْحَاضِرِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ امْرَأَةً عَاذَتْ بِأُمِّ سَلَمَةَ؛ زَوْجِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَعْنِي: الْتَجَأَتْ إِلَيْهَا أَنْ تُعِينَهَا وَأَنْ تُسَاعِدَهَا فَهَذَا، لَا بَأْسَ بِالاِسْتِعَاذَةِ بِالْمَخْلُوقِ الْحَيِّ الْحَاضِرِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ.

قَالَ فِي «تَيْسِيرِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»: «الْمَخْلُوقُ يُطْلَبُ مِنْهُ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيُسْتَعَاذُ بِهِ فِيهِ بِخِلَافِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ فَلَا يُسْتَعَاذُ فِيهِ إِلَّا بِاللهِ»، وَلِذَلِكَ كَمَا سَبَقَ، لَا يُسْتَعَاذُ بِالْأَمْوَاتِ، وَلَا بِالْغَائِبِينَ الْأَحْيَاءِ، وَلَا بِالْأَحْيَاءِ الْعَاجِزِينَ عَلَى أَمْرٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ فَإِنَّ هَذَا مِنَ الشِّرْكِ الْأَكْبَرِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَدَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾».

الاِسْتِغَاثَةُ؟! مَرَّتْ مَعَنَا الاِسْتِعَانَةُ، وَمَرَّتْ مَعَنَا الاِسْتِعَاذَةُ.

وَالْآنَ يُبَيِّنُ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– الاِسْتِغَاثَةَ وَدَلِيلَهَا، فَيَقُولُ: وَدَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

مَا هِيَ الاِسْتِغَاثَةُ؟!

الاِسْتِغَاثَةُ: بِمَعْنَى: طَلَبِ الْغَوْثِ وَالْإِنْقَاذِ مِنْ أَمْرٍ شَدِيدٍ.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «الاِسْتِغَاثَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الذُّعْرِ» وَلَا تَكُونُ أَيْضًا –كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ– إِلَّا مِنْ أَمْرٍ مَهْمُومٍ مَكْرُوبٍ.

فَالاِسْتِعَاذَةُ؛ الْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الاِسْتِغَاثَةِ؛ أَنَّ الاِسْتِعَاذَةَ تَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَعْصِمَكَ وَأَنْ يَمْنَعَكَ وَأَنْ يُحَصِّنَكَ؛ وَأَمَّا الاِسْتِغَاثَةُ فَهِيَ أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ، فَهَذَا هُوَ مَعْنَى الاِسْتِغَاثَةِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الاِسْتِعَاذَةِ.

فَالاِسْتِغَاثَةُ: أَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يُزِيلَ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ.

وَأَمَّا الاِسْتِعَاذَةُ: فَأَنْ تَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَعْصِمَكَ، وَأَنْ يَحْفَظَكَ وَأَنْ يَمْنَعَكَ.

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «دَلِيلُ الاِسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾» يَعْنِي: أَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– يُذَكِّرُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا كَانُوا قَرِيبِينَ مِنْ عَدُوِّهِمْ وَقِتَالِهِمْ كَانُوا يَسْتَغِيثُونَ بِاللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، أَيْ كَانُوا يَطْلُبُونَ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يُزِيلَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ شِدَّةٍ فَيَطْلُبُونَ مِنْهُ الْعَوْنَ وَالنَّصْرَ.

قَالَ: ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وَذَلِكَ كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ كَانَ عَدَدُ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ الْمُؤْمِنِينَ فَاسْتَغَاثُوا بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَهَذَا فِيهِ كَمَا سَبَقَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الاِسْتِغَاثَةَ تَكُونُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَأَمَّا الاِسْتِغَاثَةُ بِالْأَحْيَاءِ الْحَاضِرِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى الْإِغَاثَةِ فَهَذِهِ لَا مَانِعَ مِنْهَا وَهِيَ جَائِزَةٌ.

مَا الدَّلِيلُ؟!

الدَّلِيلُ كَمَا ذَكَرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَنَا فِي قِصَّةِ مُوسَى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾».

الذَّبْحُ: أَنْ يُرِيقَ الْعَبْدُ الدَّمَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- تَقَرُّبًا وَطَلَبًا لِلثَّوَابِ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾، ﴿وَنُسُكِي﴾ أَيْ: مَا أَذْبَحُهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أَيْ: كُلُّ مَا أَفْعَلُهُ فِي حَيَاتِي.

﴿وَمَمَاتِي﴾ أَيْ: مَا أَدَّخِرُهُ مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَوْتِي.

﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كُلُّ ذَلِكَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْخَلْقِ وَالْمُلْكِ وَالْأَمْرِ ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ يَعْنِي بِهَذَا الْإِخْلَاصِ وَهَذَا التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الشِّرْكِ أُمِرْتُ يَعْنِي أَمَرَنِي أَمْرًا لَازِمًا وَفَرْضًا وَاجِبًا.

﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ يَعْنِي أَنَا أَوَّلُ مَنِ امْتَثَلَ هَذَا الْأَمْرَ وَهَذَا الْخَيْرَ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ رَبِّي –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

ثُمَّ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ».

لَعَنَ اللهُ: اللَّعْنُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ وَأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تُغْضِبُ الرَّبَّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، فَمَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ فَإِنَّهُ مُتَهَدَّدٌ بِهَذَا الْوَعِيدِ، فَإِنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ

قَاصِدًا التَّقَرُّبَ لَهُ مِنْ صَنَمٍ أَوْ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ وَلَوْ كَانَ الْمَذْبُوحُ شَيْئًا حَقِيرًا.

فَالذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الشِّرْكِ، وَأَمَّا مَا يَذْبَحُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَبَائِحَ لِنَفْسِهِ إِكْرَامًا لِضَيْفِهِ وَيَذْبَحُهُ فِي الْأَفْرَاحِ فَهَذِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا مَا ذَكَرَهُ هُنَا مِنَ الذَّبْحِ لِلَّهِ، فَالذَّبْحُ لِلَّهِ هَاهُنَا؛ أَيِ: التَّقَرُّبُ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

أَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ الْعَادَاتِ وَمِنْ بَابِ مَا يُؤْكَلُ لِلْبَيْتِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا مَانِعَ أَنْ يَذْبَحَ الْإِنْسَانُ وَلَكِنْ يَذْكُرُ اسْمَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، أَمَّا أَنْ يَذْبَحَ الذَّبِيحَةَ وَيَنْوِيَ بِهَا غَيْرَ اللهِ فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي عَنَاهُ الْمُصَنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

ثُمَّ قَالَ: «وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾».

النَّذْرُ: هُوَ أَنْ يُوجِبَ الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ أَمْرًا لَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْهِ كَأَنْ يَقُولَ: لِلَّهِ عَلَى أَنْ أُصَلِّيَ كَذَا لِلَّهِ عَلَى أَنْ أَذْبَحَ كَذَا وَكَذَا. فَهَذَا النَّذْرُ، وَالنَّذْرُ كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَخِيلِ.

فَالنَّذْرُ عِبَادَةٌ كَمَا ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ عِبَادَةٌ مَكْرُوهَةٌ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَفِيَ بِهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ.

النَّذْرُ عِبَادَةٌ وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ– أَثْنَى عَلَى هَؤُلَاءِ بِقَوْلِهِ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

فَمَا وَجْهُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ؟!

- قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ أَوْفَوْا بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– كَأَنَّهُمْ نَذَرُوا وَقِيلَ هَذَا ثَنَاءٌ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَنَا وَقِيلَ هُمْ أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمُ النَّذْرَ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– تَقَرُّبًا إِلَى اللهِ لَيْسَ لِطَلَبِ أَمْرٍ مِنَ الدُّنْيَا لِأَنَّ النَّذْرَ الْمَذْمُومَ أَوِ النَّذْرَ الَّذِي هُوَ مَكْرُوهٌ هُوَ أَنْ يُعَلِّقَ النَّذْرُ عَلَى حُصُولِ شَيْءٍ؛ كَأَنْ يَقُولَ لِلَّهِ عَلَيَّ إِنْ شُفِيَ وَالِدِي أَوْ مَثَلاً إِنْ نَجَحَ ابْنِي أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ أَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا.

وَأَمَّا أَنْ يُلْزِمَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ الْعِبَادَةَ الْمَشْرُوعَةَ فَيَلْتَزِمُ بِهَا وَيَفِي بِمَا نَذَرَ فَهَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ».

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَدَلِيلُ النَّذْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾».

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾، أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمًا عَسِيرًا بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْعَقَبَاتِ.

﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ أَيْ: مُنْتَشِرًا وَكَانَ شَرُّهُ عَظِيمًا إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَالنَّذْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– وَلَا يَجُوزُ صَرْفُهُ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–؛ فَمَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَقَدْ وَقَعَ فِي الشِّرْكِ، بَلْ يَعْتَبِرُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ شِرْكِ الْحَلِفِ بِغَيْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «النَّذْرُ لِلْقُبُورِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كَالنَّذْرِ لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ أَوْ لِلشَّيْخِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ أَوْ لِبَعْضِ أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ غَيْرِهِمْ؛ نَذْرُ مَعْصِيَةٍ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ، بَلْ وَلَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ».

فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ».

فَمَنْ نَذَرَ لِسَيِّدِهِ فُلاَنٍ أَوْ لِلشَّيْخِ الْفُلاَنِيِّ أَنْ يَفْعَلَ لَهُ كَيْت وَكَيْت مِنَ الْأُمُورِ، لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْوَفَاءُ بِهِ، بَلْ مَنْ نَذَرَ لِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ؛ لِأَنَّ النَّذرَ عِبادَةٌ لا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَهُنَا يَكُونُ آخِرُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي صَرَّحَ بِهَا لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَهَا قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: وَمِنْهُ الدُّعَاءُ... إِلَى أَنْ قَالَ: وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا.

فَكَانَ النَّذْرُ هُوَ آخِرَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي ذَكَرَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– دَلِيلَهَا عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْعِبَادَاتِ الَّتِي تُصْرَفُ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

إِذَنْ؛ مَرَّ مَعَنَا هَذَا الْأَصْلُ الْأَوَّلُ وَسَنَدْخُلُ إِنْ شَاءَ اللهُ فِي اللِّقَاءِ الثَّانِي فِي الْأَصْلِ الثَّانِي أَوْ فِي اللِّقَاءِ الْقَادِمِ فِي الْأَصْلِ الثَّانِي بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

أَسْأَلُ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَنْ يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بِمَا سَمِعْنَا وَأَنْ يَكُونَ حُجَّةً لَنَا لَا حُجَّةً عَلَيْنَا.

هَذَا السَّائِلُ يَقُولُ: عِنْدَنَا الْكَثِيرُ مِمَّنْ يُسَمَّى بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاعْتِقَادُ النَّاسِ بِزِيَارَتِهِمْ وَالِاسْتِشْفَاءُ بِتُرْبَةِ قُبُورِهِمْ، وَلَكِنَّ الصَّحْوَةَ بَدَأَتْ تَصِلُ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَمْرُ الَّذِي -يَعْنِي يَقُولُ- نَوَدُّ أَنْ نَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ هُوَ وُجُودُ كَمِّيَّةٍ هَائِلَةٍ يَعْنِي عَدَدٌ هَائِلٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُعَالِجُونَ الْأَمْرَاضَ بِالْأَعْشَابِ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ لَمْ يَدْرُسْ شَيْئًا فِي هَذَا.

هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا يَتَوَارَثُونَهُ أَبًا عَنْ جَدٍّ وَاللَّفْظُ الْمُتَدَاوَلُ عِنْدَنَا هُوَ أَنَّا نَحْكُمُ فِي الْمَرَضِ الْفُلَانِيِّ وَكُلٌّ بِاخْتِصَاصِهِ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أَخَذَهُ أَبًا عَنْ جَدٍّ لَوْ عَالَجَكَ مِنْ ذَاكَ الْمَرَضِ فَقَطْعًا لَنْ يُعَاوِدَكَ ذَاكَ الْمَرَض بِعَيْنِهِ.

وَالْمُشْكِلُ لِكَثْرَتِهِمْ لَا نُفَرِّقُ مِمَّنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ مِمَّنْ سِوَاهُ حَتَّى تَجِدَ أَنَّهُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ الْمُتَدَيِّنُونَ. طَيِّبٌ عُمُومًا هَذَا السُّؤَالُ هُوَ سُؤَالٌ طَوِيلٌ جِدًّا أَنَا قَرَأْتُ بَعْضَهُ...

- هَذَا السَّائِلُ يَقُولُ: يُوجَدُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ لَيْسَ فَقَطْ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ لِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ، وُجُودُ الْقُبُورِ الَّتِي يُطَافُ حَوْلَهَا وَيُذْبَحُ لَهَا وَيُنْذَرُ لَهَا مِنَ الْقُبُورِ الَّذِينَ يُسَمَّوْنَ بِالْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَلَكِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاسُ قَدْ فَهِمَتْ أَنَّ هَذَا شِرْكٌ وَأَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ وَتَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ هَذَا وَإِنْ كَانَ لَا يَعْنِي هَذَا الْكَلَامُ أَنَّنَا لَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَى

التَّوْحِيدِ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ نُدَرِّسَ التَّوْحِيدَ وَأَنْ نَدْرُسَهُ وَأَنْ نَنْشُرَهُ حَتَّى وَلَوْ تَرَكَ النَّاسُ عِبَادَةَ تِلْكَ الْقُبُورِ.

- لِمَاذَا؟!

حَتَّى لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ يَغْفَلُونَ فِيهِ عَنِ التَّوْحِيدِ فَيَقَعُونَ فِي خِلَافِهِ، ثُمَّ يُذْكَرُ عِنْدَهُمْ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَكُونُ يَعْمَلُ الطِّبَّ وَيَدَّعِي أَنَّهُ يُعَالِجُ هَذِهِ الْأَمْرَاضَ، وَأَنَّهُ إِذَا عَالَجَ ذَاكَ الْمَرِيضَ أَنَّهُ لَنْ يَمْرَضَ مَرَّةً أُخْرَى.

وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْصِيلٍ، فَنَقُولُ إِنْ كَانَ هَذَا الْمُعَالِجُ لِهَذَا الْمَرَضِ، عِنْدَهُ خِبْرَةٌ وَعِنْدَهُ دُرْبَةٌ وَتَلَقَّى هَذَا الْعِلَاجَ وَكَيْفِيَّتَهُ عَنْ أَهْلِهِ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُعَالِجَ النَّاسَ، تَدَاوَوْا بِعِبَادِ اللهِ وَلَا تَدَاوَوْا بِالْحَرَامِ، وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَجْزِمَ بِأَنَّهُ يُعَالِجُ النَّاسَ مِنَ الْمَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ - اللهِ عَزَّ وَجَلَّ -.

وَأَمَّا إِنْ كَانَ يُعَالِجُ النَّاسَ وَهُوَ غَيْرُ مُتْقِنًا لِهَذِهِ الصَّنْعَةِ أَوْ هُوَ جَاهِلٌ لِهَذِهِ الصَّنْعَةِ وَإِنَّمَا مُجَرَّدُ أَنْ يَأْخُذَهُ أَوْ يَدَّعِيَ هَذِهِ الصَّنْعَةَ لِأَنَّ أَبَاهُ وَجَدَّهُ كَانَا يَعْمَلَانِ فِيهَا فَهَذَا لَا يَجُوزُ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَدْ بَيَّنَ أَنَّ مَنْ مَارَسَ الطِّبَّ وَهُوَ لَا يَعْلَمُهُ أَنَّهُ آثِمٌ، فَلاَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَعَامَلَ بِالطِّبِّ أَوْ أَنْ يَتَعَامَلَ بِالْأَعْشَابِ وَهُوَ يَجْهَلُ كَيْفِيَّةَ الْعِلاَجِ بِهَا، فَإِنَّهُ لَوْ عَالَجَ أَحَدًا فَهُوَ آثِمٌ، لِأَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى أَمْرٍ بِلاَ عِلْمٍ، فَلَوْ عَالَجَ أَحَدًا وَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَلَفِهِ أَوْ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى زِيَادَةِ مَرَضِهِ فَإِنَّهُ آثِمٌ.

وَأَمَّا كَوْنُهُ أَعْشَابًا فَإِنْ كَانَتِ الْأَعْشَابُ مَعْرُوفَةً وَكَانَتْ أَعْشَابًا مِنَ النَّوْعِيَّاتِ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا النَّاسُ فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، فَإِنَّ بَابَ الطِّبِّ كَمَا ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّجْرِبَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ، فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ بَعْضَ الْأَعْشَابِ يَنْفَعُ فِي بَعْضِ الْأَمْرَاضِ، فَلاَ مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ ثَبَتَ لَدَى أَهْلِ الْخِبْرَةِ وَأَهْلِ الاِخْتِصَاصِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

مَعْهَدُ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ السَّادِسُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ قَوْلِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الْأَصْلُ الثَّانِي»، وَقَبْلَ أَنْ أَدْخُلَ إِلَى الْأَصْلِ الثَّانِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُرَاجِعَ مَعَكُمْ وَأَنْ نَسْتَذْكِرَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ بَيَانِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- لِلْمَسَائِلِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَهَا الْعَبْدُ، إِلَى آخِرِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ أَنَّ الْمَرْءَ يُكَثِّرَ فَقَطْ مَعْلُومَاتِهِ، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ وَأَنْ يَفْقَهَ الْوَاحِدُ مِنَّا دِينَ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ-.

فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَ لَنَا الْأَرْبَعَ مَسَائِلَ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نَتَعَلَّمَهَا - مَا هِيَ؟!

- الْعِلْمُ، وَالْمُرَادُ بِهِ: مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.
- ثُمَّ بَعْدَ الْعِلْمِ الْعَمَلُ، فَيَعْمَلُ الْمَرْءُ بِمَا عَلِمَ.
- ثُمَّ بَعْدَمَا يَعْلَمُ وَيَعْمَلُ يَدْعُو إِلَى هَذَا الْعِلْمِ، يَدْعُو بِنُورٍ وَبَصِيرَةٍ، وَبِحُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ، لَا بِجَهْلٍ وَتَخَبُّطٍ، لَا عَلَى الْهَوَى وَعَلَى مَا تَلَقَّاهُ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا بِالْأَدِلَّةِ.

- ثُمَّ بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالدَّعْوَةِ، لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى مَنْ يُعَارِضُهُ وَمَنْ يُؤْذِيهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يَصْبِرَ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى اللهِ لَا يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يَحْتَسِبَ الْأَجْرَ.

فَإِذَا كَانَ نَبِيُّ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أُوذِيَ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ «إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ» كَمَا قَالَ لَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الصَّبْرِ.

ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ الدَّلِيلَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

ثُمَّ نَقَلَ مَقُولَةَ الشَّافِعِيِّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا أَنَّ سُورَةَ الْعَصْرِ كَافِيَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعِ: الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالصَّبْرِ، مَعَ أَنَّ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْأَرْبَعَةِ كَثِيرَةٌ وَكَثِيرَةٌ جِدًّا، لَكِنَّ الشَّافِعِيَّ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– يَقُولُ: تَكْفِي سُورَةُ الْعَصْرِ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَيْضًا نَقَلَ كَلاَمَ الْبُخَارِيِّ: «بَابٌ الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ»، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

ثُمَّ بَيَّنَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- الْمَسَائِلَ الثَّلاَثَ الَّتِي أَيْضًا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمُوهَا، مَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الْمُتَصَرِّفُ، وَأَنَّهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، مَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

ثُمَّ ذَكَرَ الدَّلِيلَ، ثُمَّ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ اللهَ- عَزَّ وَجَلَّ- لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ثُمَّ أَيْضًا الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ فِي مَسْأَلَةِ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ، فَقَدْ مَرَّ مَعَنَا مَا يَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَيَّنَ مَا الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ، مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَبَيَّنَ أَنَّهَا أَنْ تَعْبُدَ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ- مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَأَنَّ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَ النَّاسَ جَمِيعًا إِنْسَهُمْ وَجِنَّهُمْ بِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ نَعْبُدَهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ثُمَّ بَيَّنَ

أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَأَعْظَمَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ، فَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ.

ثُمَّ بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ، وَهِيَ: مَعْرِفَةُ اللهِ، مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ دِينَهُ، وَمَعْرِفَةُ الْعَبْدِ نَبِيَّهُ.

ثُمَّ بَدَأَ بِالْأَصْلِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا فِيمَا سَبَقَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَعَلَّمَنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنْ إِذَا قِيلَ لَنَا: مَنْ رَبُّكَ؟!

- أَنْ نَقُولَ: أَنَّ اللهَ رَبَّنَا- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُو الَّذِي رَبَّانَا وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

ثُمَّ بَيَّنَ وَعَلَّمَنَا إِنْ قِيلَ لَنَا بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!

- أَنْ نَقُولَ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ الْخَالِقُ لَهَا، وَأَنَّهُ الْعَظِيمُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، وَأَنَّهُ الْمَعْبُودُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَالَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالَّذِي خَلَقَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ هُوَ الْخَالِقُ لَهَا، وَهُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ثُمَّ بَيَّنَ أَنْوَاعَ الْعِبَادَةِ وَأَدِلَّةَ ذَلِكَ، الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِحْسَانَ، ثُمَّ الدُّعَاءَ وَالْخَوْفَ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ مَعَنَا الذَّبْحُ وَالنَّذْرُ لِلَّهِ– عَزَّ وَجَلَّ–، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَكُلُّهَا يَسْتَحِقُّهَا اللهُ– عَزَّ وَجَلَّ–.

وَالْيَوْمَ بِإِذْنِ اللهِ– عَزَّ وَجَلَّ– نَدْخُلُ وَنَتَدَارَسُ فِيمَا بَيْنَنَا– بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ–.

الْمَتْنُ

قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–:

«**الْأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ.**

وَهُوَ: الِاسْتِسْلَامُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: الْإِسْلَامُ:

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ.

«لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ.

«إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ:

وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً فَأَعْلاَهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.».

الشَّرْحُ

ثُمَّ شَرَعَ بِبَيَانِ أَرْكَانِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ.

فَإِذَنْ؛ الْأَصْلُ الثَّانِي بَعْدَ مَعْرِفَةِ الْأَصْلِ الْأَوَّلِ، بَعْدَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ اللهَ هُوَ رَبُّكَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، لَا بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ بِمَا تَعْبُدُ اللهَ- عَزَّ وَجَلَّ- أَعْبُدُهُ بِالدِّينِ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَنَا مُحَمَّدًا- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلاَ نَعْبُدُ اللهَ بِأَهْوَائِنَا، وَلَا نَعْبُدُ اللهَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا، بَلْ نَعْبُدُ اللهَ- عَزَّ وَجَلَّ- بِهَذَا الدِّينِ الْإِسْلاَمِيِّ، فَلاَ بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا الدِّينِ.

وَمِنْ لَطِيفِ تَعْلِيمِهِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ: «مَعْرِفَةُ الدِّينِ بِالْأَدِلَّةِ» فَلاَ يَقُولُ الْوَاحِدُ مِنَّا كَانَ أَبِي يَفْعَلُ كَذَا، وَكَانَ جَدِّي يَفْعَلُ كَذَا، وَإِنَّمَا لَا بُدَّ أَنْ تَعْرِفَ الدَّلِيلَ، الدَّلِيلَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

فَهَذَا الْأَصْلُ الثَّانِي أَصْلٌ عَظِيمٌ وَأَصْلٌ مُهِمٌّ، يَنْفِي التَّعَصُّبَ وَالتَّقْلِيدَ، وَيَنْفِي الْجَهْلَ وَالْهَوَى، وَإِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ –صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَجِبُ مَعْرِفَةُ هَذَا الدِّينِ بِأَدِلَّتِهِ كَمَا سَبَقَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَإِلَّا فَإِنَّ ذَاكَ الَّذِي يُسْأَلُ فِي قَبْرِهِ: مَنْ رَبُّكَ؟! مَا دِينُكَ؟! مَنْ نَبِيُّكَ؟!

يَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ !

فَمَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ، فَلاَ بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ، وَلَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

- مَا الْإِسْلاَمُ؟!
- قَالَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «هُوَ الاِسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ».

هَذَا هُوَ الْإِسْلاَمُ، وَالْمُسْلِمُ سُمِّي مُسْلِمًا لِأَنَّهُ مُسْتَسْلِمٌ لَا يُعَارِضُ، لَا يُجَادِلُ، يَعْمَلُ بِأَوَامِرِ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ- وَيَسْتَسْلِمُ لَهَا مُوقِنًا مُصَدِّقًا بِأَنَّهَا حَقٌّ مِنَ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ-، فَالاِسْتِسْلاَمُ فِيهِ ذُلٌّ وَخُضُوعٌ لِلَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ-، وَفِيهِ أَيْضًا عَدَمُ الْمُعَارَضَةِ لِأَوَامِرِ اللهِ- عَزَّ وَجَلَّ-.

«هُوَ الاِسْتِسْلاَمُ لِلَّهِ بِالتَّوْحِيدِ» يَعْنِي أَنَّ الْمُسْلِمَ يَسْتَسْلِمُ لِلَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- فَيُفْرِدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَيُفْرِدُهُ فِي أُلُوهِيَّتِهِ، فَهَذَا هُوَ الْإِسْلاَمُ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «الْإِسْلاَمُ: هُوَ الاِسْتِسْلاَمُ وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْخُضُوعَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالاِنْقِيَادَ لَهُ، وَالْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ».

فَالْإِسْلاَمُ هُوَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لِأَنَّكَ لِلَّهِ تَسْتَسْلِمُ وَتُسَلِّمُ وَلَا تَسْتَسْلِمُ لِغَيْرِهِ.

قَالَ: «وَالاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ» وَالاِنْقِيَادُ بِمَعْنَى أَنْ تَسْمَعَ وَأَنْ تَسْتَجِيبَ وَأَنْ تُطِيعَ وَأَنْ لَا تُعَارِضَ، الاِنْقِيَادُ لَهُ أَيْ لِلَّهِ- عَزَّ وَجَلَّ- بِالطَّاعَةِ، بِفِعْلِ الْمَأْمُورَاتِ وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ، فَاللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الَّذِي يُطَاعُ، وَرُسُلُهُ مُبَلِّغُونَ عَنْهُ- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَلِذَلِكَ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَاذَا يَقُولُ؟!

«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللهَ» يَعْنِي: أَنَّ طَاعَتِي هِيَ طَاعَةٌ لِلَّهِ لِأَنِّي جِئْتُ بِمَا أَمَرَنِي اللهُ بِهِ أَنْ أُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ، وَأَنَّ مَعْصِيَتِي هِيَ مَعْصِيَةٌ لِلَّهِ، لِأَنَّ مَا أُمِرْتُ بِهِ وَلَمْ تُسَلِّمُوا لَهُ هُوَ عَدَمُ تَسْلِيمِكُمْ لِأَمْرِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ-.

قَالَ اللهُ-عَزَّ وَجَلَّ- فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

وَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ» أَوْ كَمَا قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فَالْمُسْلِمُ يَنْقَادُ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيُذْعِنُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، إِذَا قِيلَ لَهُ هَذَا حَرَامٌ، هَذَا شِرْكٌ، هَذَا لَا يَجُوزُ، هَذَا لَا يَجُوزُ التَّوَسُّلُ بِهِ لِأَنَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوَسُّلِ الْمُبْتَدَعَةِ غَيْرِ الْمَشْرُوعَةِ هَذَا مَثَلاً كُفْرٌ.

يَسْتَسْلِمُ وَيُذْعِنُ وَيَتَّقِي اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- رَبَّهُ وَيَبْتَعِدُ عَنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَالْخُلُوصِ مِنَ الشِّرْكِ».

يَعْنِي بِالْخُلُوصِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أَيِ التَّخَلُّصِ وَالْبَرَاءَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الشِّرْكِ لِأَنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ وَالشِّرْكُ وَالْكُفْرُ لَا يَرْضَاهُمُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، فَكَذَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ لَا يَرْضَى وَلَا يَقْبَلُ أَمْرًا لَا يَرْضَاهُ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ فِي التَّوْحِيدِ لَا بُدَّ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الاِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالتَّوْحِيدِ هَذَا أَمْرٌ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا فِي الاِسْتِسْلَامِ الاِنْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ هَذَا أَمْرٌ، وَلَا بُدَّ أَيْضًا فِي الْإِسْلَامِ الْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَالْخُلُوصُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.

فَإِذَنْ؛ لَا بُدَّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ حَتَّى تَكُونَ مُسْلِمًا مُحَقِّقًا لِمَعْنَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَسْتَسْلِمَ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بِالتَّوْحِيدِ وَأَنْ تَنْقَادَ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَأَنْ تَتَبَرَّأَ وَتَتَخَلَّصَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ هَذَا الْإِسْلَامُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ عِنْدِ اللهِ وَالَّذِي لَا يَرْضَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- غَيْرَهُ دِينًا.

فَالْأَدْيَانُ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَنْسُوخَةٌ: الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانِيَّةُ، قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وَبَيَّنَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنَّ تِلْكَ الْأَدْيَانَ السَّابِقَةَ لَيْسَتْ مَقْبُولَةً فِي قَوْلِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.

فَوَصَفَ أَهْلَ الْكِتَابِ بِأَنَّهُمْ كُفَّارٌ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ فَأَهْلُ الْكِتَابِ –أَيِ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى– هُمْ كُفَّارٌ.

فَالْإِسْلَامُ هُوَ الدِّينُ الْحَقُّ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ فَهِيَ مَنْسُوخَةٌ بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَبِهَذَا الدِّينِ فَمَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ عَلَى دِينِ الْحَقِّ أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ دِينٌ آخَرُ غَيْرُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ مُخْطِئٌ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا الْأَمْرِ.

وَالْإِسْلَامُ ثَلَاثُ مَرَاتِب، وَهَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامُ ثَلَاثُ مَرَاتِب.

هَذَا الدِّينُ الْإِسْلَامُ فِي الْجُمْلَةِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِب.

- مَا هِيَ؟!

قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِحْسَانُ».

وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ كَالتَّالِي:

الْمَرْتَبَةُ الْوَاسِعَةُ مَرْتَبَةُ الْإِسْلَامِ فَأَهْلُهَا كَثِيرُونَ.

ثُمَّ الْمَرْتَبَةُ التَّالِيَةُ وَهِيَ الْإِيمَانُ أَهْلُهَا أَقَلُّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ وَهِيَ الْإِحْسَانُ أَهْلُهَا أَقَلُّ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَكُلُّ مُحْسِنٍ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ وَلَيْسَ كُلُّ مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قَالُوا آمَنَّا ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ فَقَالَ اللهُ لَهُمْ: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

فَهَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ وَهَذَا هُوَ الدِّينُ عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَعَلَى طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَعَلَى اسْتِحْضَارِهِمْ لِمُرَاقَبَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- «وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ»، يَعْنِي الْإِسْلَامُ لَهُ أَرْكَانٌ، وَالْإِيمَانُ لَهُ أَرْكَانٌ، وَالْإِحْسَانُ لَهُ أَرْكَانٌ.

قَالَ: «فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ، شِهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ»، هَذِهِ هِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الشَّهَادَتَانِ مَعَ الصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ ".

الرُّكْنُ الْأَوَّلُ: الشَّهَادَةُ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَيْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَكُلُّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ بَاطِلَةٌ، وَكُلُّ مَنْ يُدْعَى مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ، وَكُلُّ مَنْ عُبِدَ غَيْرَ اللهِ-عَزَّ وَجَلَّ- فَهُوَ كَافِرٌ.

- فَهَذَا مَعْنَى الشَّهَادَةِ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (لَا إِلَهَ) نَفْيٌ لِجَمِيعِ الْآلِهَةِ، (إِلَّا اللهُ) إِثْبَاتُ الْأُلُوهِيَّةِ الْحَقَّةِ لِلَّهِ–عَزَّ وَجَلَّ–

أَوَّلُ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الشَّهَادَتَانِ، وَالشَّهَادَتَانِ هُمَا الْأَصْلُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ وَلِذَلِكَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا– رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا هُمْ أَهْلُ كِتَابٍ– يَعْنِي كُفَّارٌ– فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ»، فَإِذَنْ لَا بُدَّ مِنَ الشَّهَادَتَيْنِ أَوَّلًا، فَهَذَا مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

- وَمَعْنَى أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ أَنْ نُؤْمِنَ وَأَنْ نُوقِنَ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هُوَ رَسُولٌ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– يُطَاعُ فِيمَا أَمَرَ، وَيُجْتَنَبُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَيُصَدَّقُ فِيمَا أَخْبَرَ–عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَطَاعَتُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مُقَدَّمَةٌ عَلَى طَاعَةِ مَنْ سِوَاهُ.

إِذْ هُوَ الرَّسُولُ الْمُرْسَلُ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– فَلاَ يَنْبَغِي أَنْ نُقَدِّمَ الْآرَاءَ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَصَّبَ لِلشُّيُوخِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَظُنَّ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

إِنَّ هَذَا بَاطِلٌ مِنَ الْقَوْلِ إِذَا قُلْنَا نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُطِيعَهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– وَالشَّهَادَتَانِ هُمَا الْأَصْلَانِ اللَّذَانِ يَنْبَنِي عَلَيْهِمَا دِينُ الْإِسْلَامِ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–.

- ثُمَّ قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– «وَإِقَامِ الصَّلَاةِ».

الرُّكْنُ الثَّانِي: مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ إِقَامُ الصَّلَاةِ يَعْنِي أَدَاؤُهَا فِي أَوْقَاتِهَا بِشُرُوطِهَا، وَأَرْكَانِهَا، وَوَاجِبَاتِهَا، وَعَدَمُ الْإِخْلَالِ فِيهَا، وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وَفِي الْحَدِيثِ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ الصَّلَاةُ» أَوْ كَمَا قَالَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–.

فَالصَّلَاةُ شَأْنُهَا عَظِيمٌ، وَأَمْرُهَا خَطِيرٌ، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآيَاتُ الْوَارِدَةُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ، فَمَنْ تَرَكَهَا وَأَخَلَّ بِهَا فَهُوَ مُتَوَعَّدٌ بِالْعِقَابِ، وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْمَرْءُ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ، فَإِنْ صَلَحَتْ صَلَحَ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ فَسَدَتْ نَظَرَ هَلْ لَهُ مِنْ تَطَوُّعٍ.

وَإِقَامِ الصَّلَاةِ أَيْضًا نُورٌ لِلْعَبْدِ وَهِدَايَةٌ لَهُ وَصِلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ–عَزَّ وَجَلَّ– وَسَبَبٌ لِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَتَيْسِيرِ الْأُمُورِ، وَالصَّلَاةُ وَالِاهْتِمَامُ بِهَا طَرِيقٌ إِلَى تَوْفِيقِ الْعَبْدِ لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.

فَلِذَلِكَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الصَّلَاةُ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ.

وَهَذَا الرُّكْنُ الثَّالِثُ: وَالزَّكَاةُ لَهَا شُرُوطٌ فَمَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ الشُّرُوطُ بِأَنْ يَبْلُغَ الْمَالُ النِّصَابَ، وَأَنْ يَتَحَقَّقَ الْمِلْكُ التَّامُّ وَأَنْ يَأْتِيَ عَلَيْهِ الْوَقْتُ الْمُحَدَّدُ لَهَا شَرْعًا إِلَى آخِرِهِ، فَمَنْ وَجَبَتْ فِي مَالِهِ الزَّكَاةُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَدِّيَهَا، وَأَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا فَهِيَ حَقُّ الْفُقَرَاءِ فِي هَذَا الْمَالِ، وَهِيَ مُوَاسَاةٌ لَهُمْ.

وَتَنْتَظِمُ بِإِيتَاءِ الزَّكَاةِ حَيَاةُ النَّاسِ، وَإِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ النَّاسُ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَنْ يَدْفَعَ الزَّكَاةَ لِمُسْتَحِقِّيهَا، وَأَنْ يَحْذَرَ مِنَ الَّذِينَ يُجَمِّعُونَ الزَّكَاةَ عَنْ غَيْرِ طَرِيقِ وُلَاةِ الْأَمْرِ، فَقَدْ يُجَمِّعُهَا بَعْضُ النَّاسِ وَيَصْرِفُونَهَا فِي غَيْرِ مَصْرَفِهَا، وَقَدْ يَجْمَعُهَا بَعْضُ النَّاسِ وَيَصْرِفُونَهَا فِي الْإِرْهَابِ، وَفِي مَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، وَفِي قَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ وَتَدْمِيرِ الْمُمْتَلَكَاتِ، وَقَدْ يَجْمَعُهَا بَعْضُ النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ شَرْعِيٍّ فَيَصْرِفُهَا فِي غَيْرِ الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.

فَالْوَاحِدُ مِنَّا عِنْدَهُ مَالٌ فَلْيُعْطِهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ يَعْرِفُ مِمَّنْ حَوْلَهُ خَاصَّةً أَقْرِبَاؤُهُ، لِمَاذَا يُعْطِي الْبَعِيدَ وَهُنَاكَ الْقَرِيبُ؟!

- فَصِلَةُ الْقَرِيبِ وَالصَّدَقَةُ عَنِ الْقَرِيبِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ لِلْقَرِيبِ، خَيْرٌ هَذَا مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

فَإِذَنْ يَنْبَغِي أَنْ نَتَنَبَّهَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَأَنْ نَحْذَرَ مِنَ الَّذِينَ يَجْمَعُونَ الْأَمْوَالَ، وَالَّذِينَ يَبْنُونَ دَعْوَتَهُمْ عَلَى جَمْعِ الْأَمْوَالِ، مَرَّةً بِحُجَّةِ الصَّدَقَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمَرَّةً بِحُجَّةِ فِعْلِ الْخَيْرَاتِ.

فَكَمْ رَأَيْنَا مِمَّنْ جَمَعَ الْأَمْوَالَ وَفُتِنَ بِهَا!

وَكَمْ رَأَيْنَا مِمَّنْ جَمَعَ الْأَمْوَالَ وَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصْرَفِهَا!

فَلاَ شَكَّ أَنَّ الْأَوْلَى بِكَ يَا عَبْدَ اللهِ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَالٌ أَنْ تَتَصَدَّقَ بِهِ بِنَفْسِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَانْظُرْ إِلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ وَإِلَى مَصَارِفِهِمْ فَادْفَعْهَا إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يَقُومُونَ بِتَوْزِيعِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَالرُّكْنُ الرَّابِعُ: «صَوْمُ رَمَضَانَ» بِشَرْطِهِ وَآدَابِهِ وَالصِّفَةُ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثُمَّ الرُّكْنُ الْخَامِسُ: «حَجُّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ» بِشَرْطِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَالْحَجُّ وَاجِبٌ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمُرِ، يَحُجُّونَ بَيْتَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْحَرَامَ.

فَهَذِهِ هِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الْخَمْسَةُ، وَنَلْحَظُ أَنَّهَا؛ أَيْ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ ظَاهِرَةٌ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، (لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

وَشَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ».

هَذَا مِنَ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ذِكْرٌ لِأَدِلَّةِ الشَّهَادَتَيْنِ، فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

فَاللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شَهِدَ أَعْظَمَ شَهَادَةٍ فِي الْوُجُودِ، أَنَّهُ لَا إِلَهَ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ، وَلَا إِلَهَ بِحَقٍّ إِلَّا هُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَأَيْضًا شَهِدَ بِذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَأَيْضًا شَهِدَ بِذَلِكَ أُولُو الْعِلْمِ: أَيْ أَصْحَابُ الْعِلْمِ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ.

إِذَنْ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالطَّوَافِ حَوْلَ الْقُبُورِ أَوْ بِالذَّبْحِ لِلْقُبُورِ أَوِ الذَّبْحِ لِلأَوْلِيَاءِ وَيُوَجِّهُونَهُمْ إِلَى الشِّرْكِيَّاتِ؛ فَهَؤُلَاءِ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ لَيْسُوا بِعُلَمَاءِ حَقٍّ، إِنَّهُمْ عُلَمَاءُ سُوءٍ وَلَيْسُوا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَإِنَّمَا هُمْ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ، إِذْ أَوْلِيَاءُ اللهِ يَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شَهِدَ بِذَلِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

إِذَا قَالَ الشَّيْخُ وَمَعْنَاهَا: «لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ»، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا الْفَهْمِ التَّامِّ لِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُ مَعْنَى الشَّهَادَتَيْنِ لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ إِلَّا اللهُ وَلَا يَنْفِي مَا سِوَى اللهِ مِنَ الْآلِهَةِ، فَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ فَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ بَاطِلٌ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ فَقَطْ؟!

وَمَعْنَى لَا إِلَهَ مَوْجُودٌ: أَنَّهُ غَيْرُهُ مِنَ الْآلِهَةِ غَيْرُ بَاطِلَةٍ؛ وَلَكِنْ حِينَمَا نَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ يَعْنِي الْمَعْبُودَاتِ سِوَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- بَاطِلَةٌ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ، لَا بُدَّ أَنْ نَفْهَمَ هَذَا الْفَهْمَ الصَّحِيحَ لِمَعْنَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

وَلَيْسَ أَيْضًا مَعْنَاهُ فَقَطْ لَا إِلَهَ رَازِقٌ أَوْ لَا إِلَهَ خَالِقٌ فَقَطْ، وَيُثْبِتُونَ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، فَإِنَّ لَا إِلَهَ: يَعْنِي مَأْلُوهَ وَمَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَلاَ بُدَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ وَإِلَّا فَإِنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ كَمَا قَالَ اللهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾.

فَإِذَنْ هُمْ كَانُوا يُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– مَوْجُودٌ؛ وَلَكِنْ مَا نَفَعَهُمْ هَذَا الْإِقْرَارُ؛ لِذَلِكَ كَمَا مَرَّ مَعَنَا بِأَمْسِ الْقَرِيبِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ* وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾.

فَلاَ بُدَّ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ.

قَالَ الشَّيْخُ مُبَيِّنًا: (لَا إِلَهَ): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَكُلُّ إِلَهٍ دُونَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– بَاطِلٌ، وَهَذَا مَعْنَى (نَافِيًا) أَيْ: بَاطِلٌ وَلَيْسَ لَهُ الْحَقُّ فِي هَذِهِ فِي أَنْ يُعْبَدَ مَعَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

(إِلَّا اللهُ): فِيهَا إِثْبَاتُ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، فَاللهُ –عَزَّ وَجَلَّ– نَحْنُ نُقِرُّ بِأَنَّهُ –سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى- هُوَ الْمَالِكُ وَهُوَ الْخَالِقُ وَهُوَ الرَّازِقُ فَالْمَالِكُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الْمُتَصَرِّفُ فِي هَذَا الْكَوْنِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ مَا سِوَاهُ.

وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهَا شُرُوطٌ سَبْعَةٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ:

مِنْهَا: الْعِلْمُ بِمَعْنَاهَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

وَمِنْهَا الْيَقِينُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، فَالْيَقِينُ ضِدُّهُ الشَّكُّ، فَلاَ بُدَّ أَنْ نُوقِنَ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- هُوَ الإِلَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾.

وَمِنْهَا أَيْضًا، مِنْ شُرُوطِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: الْقَبُولُ لِمَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

وَمِنْهَا أَيْضًا: الانْقِيَادُ لِمَعْنَاهَا.

وَمِنْهَا أَيْضًا: الْإِخْلَاصُ فِي الْإِيمَانِ وَعَدَمُ الشِّرْكِ.

وَمِنْهَا أَيْضًا: الصِّدْقُ فِي اعْتِقَادِهَا بَاطِنًا الْمُنَافِي لِلْكَذِبِ بِمَا اعْتَقَدَهُ فِيهَا.

فَالْمُنَافِقُونَ كَانُوا يَقُولُونَ كَلِمَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَكِنْ كَانُوا يَقُولُونَهَا بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ بِهَا فِي بَاطِنِهِمْ.

قَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ».

وَمِنْ شُرُوطِهَا أَيْضًا الْمَحَبَّةُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، إِذَنْ هَذِهِ هِيَ شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: «الْعِلْمُ، وَالْيَقِينُ، وَالْقَبُولُ، وَالاِنْقِيَادُ، وَالْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ، وَالْمَحَبَّةُ»، وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ «الْكُفْرَ بِمَا سِوَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– مِنَ الْمَعْبُودَاتِ».

أُعِيدُ مَرَّةً أُخْرَى شُرُوطَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ: فَمِنْ شُرُوطِهَا الْعِلْمُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الْيَقِينُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الْقَبُولُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الاِنْقِيَادُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الْإِخْلَاصُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الصِّدْقُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا الْمَحَبَّةُ، وَمِنْ شُرُوطِهَا ثَامِنًا كَمَا زَادَهُ بَعْضُهُمُ الْكُفْرُ بِمَا سِوَى اللهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ* وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾» يَعْنِي إِنْ سُئِلْتَ مَا الدَّلِيلُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ؟!

فَاذْكُرْ لَهُ هَذِهِ الْآيَةَ، فَإِبْرَاهِيمُ إِمَامُ الْحُنَفَاءِ يُخَاطِبُ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ الَّذِينَ عَبَدُوا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- يُخَاطِبُهُمْ مُتَبَرِّئًا مِنْ هَذِهِ الْآلِهَةِ، وَأَنَّهُ كَافِرٌ بِهَا، وَأَنَّهُ مُبْغِضٌ لَهَا.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أَيْ: مِنَ الْآلِهَةِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إِلَّا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فَإِنِّي أَعْبُدُهُ وَهُوَ سَيَهْدِينِ؛ أَيْ: أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سَيَهْدِينِي لِلْحَقِّ.

وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وَجَعَلَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الْمُتَضَمِّنَةُ لِعِبَادَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَالْكُفْرُ بِمَا سِوَاهُ.

﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ أَيْ: فِي أَوْلَادِهِ وَنَسْلِهِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَيْ: لَعَلَّهُمْ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهَا.

إِذَنْ؛ شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَسْتَدِلُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى تَفْسِيرِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مِنْ جِهَتَيْنِ:

الْجِهَةُ الْأُولَى: (لَا إِلَهَ) فِي بَراءَةِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– مِمَّا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللهِ.

وَالْجِهَّةُ الثَّانِيَةُ: (إِلَّا اللهُ) فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾.

لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ بَلْ بَعْضُ عُلَمَاءِ بَعْضِ الْمَذَاهِبِ يُفَسِّرُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) بِلاَ إِلَهَ مَوْجُودٌ أَوْ رَازِقٌ مَعَ كَوْنِهِ مِمَّنْ حَمَّلَ الْعِلْمُ إِلَّا أَنَّهُ تَجِدُهُ قَدْ يَطُوفُ حَوْلَ الْقُبُورِ، وَيَنْذِرُ لِلأَوْلِيَاءِ وَيَذْبَحُ لَهُمْ، فَمَا نَفَعَهُ عِلمَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمِ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ.

قَالَ: «وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾».

هَذِهِ الْآيَةُ أَيْضًا فِيهَا تَفْسِيرُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، فَالرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُنَادِي أَهْلَ الْكِتَابِ يَهُودًا وَنَصَارَى ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ أَيْ لِنَجْتَمِعْ عَلَى كَلِمَةِ حَقٍّ لَا نَخْتَلِفُ فِيهَا، مَا هِيَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ؟!

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ فَنُوَحِّدُ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَنُفْرِدُهُ بِالْعِبَادَةِ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا لَا نَبِيًّا مُرْسَلاً وَلَا وَلِيًّا صَالِحًا وَلَا مَلَكًا مُقَرَّبًا وَلَا شَجَرَةً وَلَا حَجَرًا وَلَا غَيْرَهَا مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَضْرِحَةِ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: لَا يُطِيعُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ فَيُحِلُّ مَا حَرَّمَ اللهُ وَيُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ كَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أَيْ: بِأَنَّا عَلَى حَقٍّ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَإِنْ كَفَرُوا بِهَا وَإِنْ عَارَضُوهَا وَإِنْ خَالَفُوهَا، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ بَعْدَ أَنْ يُبَيِّنَ الْحَقَّ لَا يَلْتَفِتُ لِضَلَالِ مَنْ ضَلَّ وَلَا يَقْتَدِي بِهِ، بَلْ يَعْرِفُ الْحَقَّ وَيَلْتَزِمُ بِهِ.

إِذَنْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَفْسِيرُ مَعْنَى (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) فَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْبُودَاتُ وَتِلْكَ الْآلِهَةُ مِنْ دُونِ اللهِ عَلَى حَقٍّ لَمَا قَالَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾.

لَمَّا أَمَرَ رَسُولَهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنْ يَقُولَ هَذَا، وَلَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ مَا قَالَ، وَلَكِنْ هَذَا مِنْ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهَذَا

مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– تَفْسِيرٌ لِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ وَأَلَّا يُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا.

ثُمَّ قَالَ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– يُورِدُ الْأَدِلَّةَ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ قَوْلُهُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْحُجَّةِ وَيَكُونَ مُوقِنًا بِالْأَدِلَّةِ مَهْمَا جَاءَهُ مَنْ جَاءَهُ يُشَكِّكُهُ فِي هَذَا الْحَقِّ فَلاَ يَرْتَابُ وَلَا يَزِلُّ بَلْ يُثْبِتُ بِإِذْنِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– عَلَى الْحَقِّ.

فَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ هَذِهِ الْآيَةُ، فَاللَّهُ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ جَاءَنَا هَذَا الرَّسُولُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَنْفُسِنَا يَعْنِي مِمَّنْ نَعْرِفُهُ وَمِنْ جِنْسِنَا وَمِمَّنْ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا أَمْرُهُ فَلَيْسَ هُوَ بِجِنِّيٍّ وَلَا بِمَلَكٍ إِنَّمَا هُوَ بَشَرٌ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–.

ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– أَيْ أَنَّهُ يَحْزَنُ وَيَشُقُّ عَلَيْهِ أَيُّ أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَى الْأُمَّةِ وَيَخَافُ عَلَيْهِمْ وَيُرِيدُ أَنْ يُخَفِّفَ اللهُ عَنْهُمْ حَرِيصٌ عَلَيْنَا بِأَنْ يَهْدِيَنَا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَنْ يُنْقِذَنَا مِنَ النَّارِ.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أَيْ أَنَّهُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– فِيهِ مِنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ.

فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى رِسَالَتِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

قَالَ: «وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ كَمَا مَرَّ مَعَنَا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾».

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: إِنَّ الْأَمْرَ بِطَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ مَوْضِعًا فِي كِتَابِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

فَالرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ–، وَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَلَّمَ هَدْيَهُ وَأَنْ يَتَعَلَّمَ أَمْرَهُ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– وَأَنْ يَأْتَسِيَ بِهِ وَأَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ –عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ– فَيُطَاعُ فِيمَا أَمَرَ وَيُصَدَّقُ فِيمَا أَخْبَرَ.

- لِمَاذَا؟!

لِأَنَّهُ وَحْيٌ مِنَ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

وَقَالَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا نَطَقَ هَذَا –وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ– إِلَّا حَقًّا» أَيْ: أَنَّهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– يَقُولُ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

فَلَا بُدَّ مِنْ تَصْدِيقِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– فِيمَا أَخْبَرَ وَعَدَمِ الشَّكِّ أَوْ الِارْتِيَابِ أَوِ الْوَسْوَسَةِ فِي أَخْبَارِهِ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ –يَعْنِي: حَرَّمَ عَلَيْنَا –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُبَلِّغًا عَنْ رَبِّهِ.

حَرَّمَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأُمُورِ فَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي حَرَّمَهَا –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– هِيَ مِمَّا تَضُرُّنَا وَلَا تَنْفَعُنَا وَلَا خَيْرَ فِيهَا إِمَّا ضَرَرٌ مَحْضٌ كَالْكُفْرِ وَإِمَّا ضَرَرٌ غَالِبٌ كَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِ.

وَلِذَلِكَ الشَّيْطَانُ حَرِيصٌ عَلَى إِضْلَالِ بَنِي الْإِنْسَانِ وَحَرِيصٌ عَلَى إِيقَاعِهِ فِي الْمُحَرَّمَاتِ وَالْإِنْسَانُ بِغَفْلَتِهِ قَدْ يَقَعُ فِي الْمُحَرَّمَاتِ فَالْوَاحِدُ مِنَّا عَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَفِيهَا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يَسُوءُ وَالْأَمْرِ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ فَيَجْتَنِبَ مَا نَهَى عَنْهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَزَجَرَ.

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا قَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ».

قَالَ: «وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ» يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَقَرَّبَ إِلَى اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ– إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ –عَزَّ وَجَلَّ– إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَلاَ طَرِيقَ لَكَ لِذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا بِسُنَّةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَّا بِمَا شَرَعَ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَبَلَّغَ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: «وَدَلِيلُ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾».

فَهَذِهِ الْآيَةُ ذَكَرَتِ التَّوْحِيدَ فِي قَوْلِهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾:

فَقَوْلُهُ: ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ فِيهِ إِثْبَاتُ عِبَادَةِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–.

وَقَوْلُهُ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ فِيهِ نَفْيُ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ–سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–.

﴿حُنفَاءَ﴾ أَيْ: عَلَى التَّوْحِيدِ.

وَقَدْ مَرَّ مَعَنَا أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ هِيَ أَن نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ يَعْنِي: أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- أَمَرَنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ.

وَذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ الْقَوِيمَةُ أَحْكَامُهُ وَالْمُسْتَقِيمَةُ.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: «وَدَلِيلُ الصِّيَامِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾».

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- فَرَضَ عَلَيْنَا الصِّيَامَ ﴿كُتِبَ﴾ بِمَعْنَى: فَرَضَ وَأَوْجَبَ.

﴿عَلَيْكُمُ﴾ أَيْ: عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثُمَّ قَالَ: «وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾».

فَهَذَا أَيْضًا دَلِيلُ الْحَجِّ، وَأَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَى الاِسْتِطَاعَةِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْحَجَّ فَلاَ يَجِبُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ مُسْتَطِيعًا فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمُرِ، فَهَذَا دَلِيلُ الْحَجِّ وَبِهَذَا نَكُونُ قَدِ انْتَهَيْنَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلاَمِ.

فَانْتَقَلَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– إِلَى أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

فَقَالَ: «الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِيمَانُ؛ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاَهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ.

الْإِيمَانُ: التَّصْدِيقُ لُغَةً، وَهُوَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ».

وَالْإِيمَانُ شُعَبٌ؛ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَفِي رِوَايَةٍ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً؛ أَيْ: مَرْتَبَةً، فَأَعْلَى هَذِهِ الشُّعَبِ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَفِي هَذَا أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ.أَنَّ الْعَمَلَ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ هُوَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ

فَإِذَنْ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:

الْإِيمَانُ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً خَصْلَةً وَمَرْتَبَةً فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْأَمْرِ قَوْلُهُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، الْبِضْعُ: قَالُوا: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التِّسْعَةِ.

وَقَوْلُهُ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ– وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ؛ أَوِ الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ؛ يَعْنِي: شُعْبَةٌ مِنْهُ. فَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ الْإِيمَانُ أَهْلُهَا أَقَلُّ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ مَرْتَبَةٌ أَعْلَى دَرَجَةً مِنَ الْإِسْلَامِ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ الْإِسْلَامَ.

ثُمَّ قَالَ: «وَأَرْكَانُهُ سِتٌّ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾».

فَهَذِهِ أَرْكَانُ الْإِيمَانِ السِّتُّ؛ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ رَبًّا خَالِقًا مُدَبِّرًا لِهَذِهِ الْأُمُورِ وَلِهَذَا الْكَوْنِ فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مُتَفَرِّدٌ بِأَفْعَالِهِ لَهُ الْخَلْقُ وَلَهُ الْأَمْرُ وَهُوَ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَأَيْضًا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَلاَ تُصْرَفُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لِلَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ –، وَأَيْضًا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَتَوْحِيدِهِ أَنْ تُؤْمِنَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَأَنَّ لَهُ أَسْمَاءً وَصِفَاتٍ تَلِيقُ بِجَلاَلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

«الْبِضْعُ» قَالُوا: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التِّسْعَةِ.

وَنَقِفُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ مِنْ هَذَا الْمَتْنِ وَنُكْمِلُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِي اللِّقَاءِ الْآخِرِ.

وَإِنِّي أَزُفُّ بُشْرَى لِإِخْوَانِنَا فِي هَذَا الْمَعْهَدِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ بِقِيَامِ شَيْخِنَا خَالِد عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمِصْرِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى بِمُحَاضَرَةٍ بِعُنْوَانِ «الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»، وَسَتُقَامُ الْمُحَاضَرَةُ الْآنَ السَّاعَةَ الثَّانِيَةَ عَشَرَ، فَأَنَا أُوصِي إِخْوَانَنَا وَأَخَوَاتِنَا بِالْحُضُورِ وَالِاسْتِمَاعِ وَالِاسْتِفَادَةِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

معهد الميراث النبوي

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ السَّابعُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنْ الحَمَدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضِّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمْدا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلاَمِ كَلاَمُ اللهِ وَخَيْرِ الهَدْيِّ هَدْيُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فنواصل بإذن الله تعالى مذاكرة **الأصول الثلاثة** لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى -وأسأل الله -عز وجل- لي ولكم الإعانة والتوفيق والسداد في الأمر كله وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يجعلنا من عباده الصالحين الذين يريدون الحق ويعملون به ويسعون إليه وأن يجنبنا طريق الهالكين؛ أهل الفتن وأهل المحن الذين يؤذون عباد الله المؤمنين؛ و والله ما ضروا إلا أنفسهم ووالله إن المسلم ليحزن على حالهم فهم كالذي يهلك نفسه بيده نسأل الله السلامة والعافية.

فلا شك أن توفيق الله -عز وجل- للعبد حين يطلب الحق ويسعى إليه ويعمل به ولا يتعصب للرجال لا شك أن هذا أمر عظيم وفضل من الله كبير على

المسلم أن يحمد ربه أن جنبه هذه التعصبات وتلك الأفعال السيئة وأن وفقه لطلب العلم الشرعي.

وكنا قد توقفنا عند: «**أركان الإيمان الستة**».

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله تعالى–: «وأركانه ستة...».

أي أركان الإيمان ستة، كما جاء في حديث جبريل، وكما في الأدلة التي سيذكرها الشيخ –رحمه الله تعالى–، فإذا قلتَ إنكَ مؤمن، وإذا قلتِ يا أمَة الله إنكِ مؤمنة، فلابد أن تعلمي بماذا أنت مؤمنة، وأنت يا عبد الله مؤمن بالله –عز وجل– كما سبق معَنا: «بالله رباً»؛ أنه الخالق المدبر المالك المتصرف الذي له الخلق والأمر –سبحانه وتعالى– والذي يستحق العبادة، وأنه –سبحانه وتعالى– هو خالق السماوات والأرض وخالق الليل والنهار وخالق الشمس والقمر وخالق جميع المخلوقات وهو رب العالمين.

وبالله إلهاً معبوداً مستحقاً للعبادة؛ فلا تصرف أي عبادة لغير الله –عز وجل– لأن الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه، كيف تصرف شيئاً من العبادة لغير الله –عز وجل–، والله هو الذي خلقك، وهذا الذي تصرف إليه العبادة سواء كان ولياً أو مقبوراً أو شجراً أو حجراً أو قمراً هذا كله مخلوق؛ مفتقرون إلى الله –عز وجل– فكيف تصرف العبادة لغير مستحقها؟!

وكذا في أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى- التي جاءت في الكتاب والسنة التي وأثبتها النبي -صلى الله عليه وسلم- لله -عز وجل- والتي جاءت في القرآن من ذكر أسماء الله -عز وجل- وصفاته **لابد أن تؤمن بها وأنها حق لله -عز وجل-؛ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل**، تؤمن إيماناً جازماً ويقيناً بهذه الأمور.

وتؤمن بالملائكة؛ والملائكة خلق من نور، وعباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، تؤمن بهم إجمالاً، فقد جاء في الأحاديث من ذكر عددهم الكثير جداً، وتؤمن بهم تفصيلاً كجبريل وميكائيل وإسرافيل، ومنهم ملك الموت -وليس اسمه عزرائيل كما اشتهر عند كثير من الناس وإنما ملك الموت-، ومنهم خازن النار ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ (٧٧)﴾ فنؤمن بالملائكة إجمالاً ونؤمن بهم تفصيلاً.

ونؤمن أنهم مخلوقون من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، وأنهم يتبرؤون ممن يعبدهم، فإن الله -عز وجل- لا يرضى أن يشرَك به لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

جاء في الحديث أن البيت المعمور: «يدخله كل يوم عدد كبير من الملائكة سبعون الفاً لا يعودون إليه إلى يوم القيامة»، وجاء في الحديث: «أطّت السماء وحق لها أن تئط ما من موضع فيها إلا وملك ساجد» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-، فعدد الملائكة كثير. وجاء في قوله -تعالى- ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ جاء في بعض الأحاديث أن عدد الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد حصى الأرض، أو كما قال عليه-الصلاة والسلام-، فهذا العدد الكثير نؤمن به إجمالاً، وهذا العدد الكثير، إذا كانت تلك الملائكة -عليهم السلام- بهذا العدد الكبير.

وجاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «أذن لي أن أصف ملكاً ما بين شحمة أذنه وعاتقه كما بين السماء والأرض»، والنبي -صلى الله عليه وسلم- رأى جبريل وقد سَدَّ الأفق عليه -الصلاة والسلام-، فإذا كان هؤلاء الملائكة -وهم مخلوقون- فكيف بالخالق -سبحانه وتعالى-؟! فلا شك أن الملائكة تدل على عظمة الله -عز وجل-، والله -عز وجل- عظيم فهو الخالق سبحانه وتعالى.

فنؤمن بالملائكة رسل الله -عز وجل-، الذين اصطفاهم الله -عز وجل-.

قال: «وكتبه...».

أيضاً نؤمن بالكتب السماوية التي أنزلها الله -عز وجل- على الأنبياء والرسل، نؤمن بها إجمالاً كما أخبرنا الله -عز وجل- بذلك، فنؤمن بكل كتاب نزل على كل نبي، ونؤمن بها تفصيلاً؛ التوارة والزبور والإنجيل والصحف

والقرآن، فنؤمن بها ما جاء مفصلاً في كتاب ربِّنا وفي سنة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

نؤمن بها وأنّها حق.

ونؤمن أن **كل الكتب التي نزلت قبل القرآن هي منسوخة بالقرآن**؛ فالقرآن ناسخ لتلك الكتب السماوية السابقة، هي حق نؤمن بها ولكنّ الله -عز وجل- أنزل هذا القرآن مهيمناً على تلك الكتب، فلا يجور لإنسان أن يقول نحن نعمل بالتوارة أو نعمل بالإنجيل وأن يأخذ نصوص التوارة والإنجيل وأن يعمل بها لأمور:

الأمر الأول: أن الله -عز وجل- أخبرنا أنه -سبحانه وتعالى- لن يقبل منا إلا الإسلام؛ والإسلام هو ما في كتاب ربنا وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم- وما كان عليه سلف الأمة؛ هذا هو الدين الحق.

ومنها أيضاً: أن الله -عز وجل- أخبرنا أن القرآن مهيمناً على الكتب التي قبله، فهو المرجع وهو الفرقان.

ومنها أيضاً: أن القرآن ناسخاً لتلك الكتب.

ومنها أيضاً: أن التوارة والإنجيل مُحَرَّفة ومبدَّلة؛ فلا يأمن العبد أن يعمل بما حُرِّف، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- في التوارة والإنجيل عن أهل

الكتاب ماذا قال لنا؟! قال: «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم»، «حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج».

لماذا؟

لا نصدقهم لاحتمال أن يكون هذا النص مما حرَّفوه وكذبوا فيه؛ فلا نصدقهم جزماً، ولا نكذبهم لاحتمال أن يكون هذا الحرف مما لم يحرَّف؛ فلا نقع في تكذيب شئ مما أنزل الله -عز وجل-.

ما الفائدة ؟

الفائدة استئناسا وعبرة لكن عملاً بتلك الكتب؛ فلا لأن القرآن كما سبق ناسخ ولأنها مبدلة ومحرفة.

وأيضاً نؤمن بالرسل؛ برسل الله -عز وجل- إجمالا كما أخبرنا الله -عز وجل- رسلاً مبشرين ومنذرين وتفصيلاً ممن ذكروا في القرآن، وعددهم خمسا وعشرين كما جاء في القرآن.

و أولوا العزم منهم نوح عليه -الصلاة والسلام- وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهؤلاء أولوا العزم من الرسل عليهم -الصلاة والسلام-، فنؤمن بهم إجمالاً ونؤمن بهم تفصيلاً.

ونؤمن أن أولي العزم منهم -كما سبق- نوح وابراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ونؤمن أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- سيد ولد آدم وأنه صاحب لواء الحمد وصاحب الشفاعة عليه -الصلاة والسلام-

ونؤمن أنهم جميعاً بشر يمرضون ويصحون، وصفاتهم صفات البشر، لأنهم بشر؛ ولكنّ الفرق بينهم وبين البشر أنهم اصطفاهم الله -عز وجل- وأوحى إليهم ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء عليهم -الصلاة والسلام- لا يُرفعون فوق منزلتهم، نحبهم ونحترمهم، ونؤمن بهم، ونتبع نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإن موسى بن عمران لو كان حيا ما وسعه إلا اتباع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعيسى -عليه الصلاة والسلام- حين ينزل في آخر الزمان حين يقتل الدجال فإنه -كما جاء في الحديث- يصلي خلف رجل من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويقيم شريعة النبي -صلى الله عليه وسلم- ولا يقيم شريعته، وإنما يقيم شريعة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فهؤلاء الرسل كما سبق نؤمن بهم ولا نغالي فيهم؛ «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»، ليس محبة الرسول أن تغالي فيه وأن تصفه بصفات الربوبية، وأنه يعلم الغيب، أو أنه بيده الأمور، هذه ليست محبة للنبي -صلى الله عليه وسلم-؛هذا النبي -صلى الله عليه وسلم - يرفضه؛ هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- يكرهه ويمنعه ويحرمه، كان -صلى

الله عليه وسلم - في آخر حياته في مرض موته كان يقول -عليه الصلاة والسلام-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الغلو فيه ونهى عن إطرائه، إنما هو عبد لله أعلى مقاماته أن يكون عبدا لله -عز وجل- اصطفاه الله -عز وجل- برسالته وأكرمه -سبحانه وتعالى- بالشفاعة.

والعبد المسلم يحب النبي -صلى الله عليه وسلم-يحبه لا لذاته؛ وإنما يحبه لأنه رسول من الله -عز وجل- ولأنه مبلغ من الله -عز وجل-؛ فإن محبة النبي - صلى الله عليه وسلم- لذاته كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- هي شرك؛ محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لذاته هي شرك، وكذا طاعته -صلى الله عليه وسلم -لا يطاع لذاته؛ وإنما يطاع لأنه رسول من الله -عز وجل-، أمَا قال -صلى الله عليه وسلم-: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله» ؟!

فمحبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لا تكون لذاته -صلى الله عليه وسلم - وإنما تكون محبة في الله؛ محبة لأنه أخرجنا بإذن الله -عز وجل- من الظلمات إلى النور -صلى الله عليه وسلم-.

إذا هذا الركن الرابع.

الأول: الإيمان بالله.

والثاني: بالملائكة.

والثالث: بالكتب.

والرابع: بالرسل.

والخامس: الإيمان باليوم الآخر.

نؤمن باليوم الآخر وأنه حق، وأنه **ليس كما يقول أهل الضلالة أنه مجرد تخييلات وأمور عقلية لا حقائق لها**، المقصود منها إخافة الناس، لا؛ **بل هناك يوم آخر فيه محاسبة الناس، وفيه الجزاء والحساب، وفيه الجنة والنار**، أسأل الله -عز وجل -أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة، وأن يبعدني وإياكم عن النار.

أسأل الله -عز وجل- أن يعيذنا في ذلك اليوم من شدائده وأهواله، فإنه يوم عظيم؛ يوم يجعل الولدان شيبا، ويوم تضع كل ذات حمل حملها، ويوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن من شدته وعظمته وأهواله، فإنه يوم عظيم، يقال فيه اللهم سلِّم سلِّم، الملائكة في ذلك اليوم يقولون: سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك، وهو منذ أن خلقه الله إلى ذلك اليوم وهو ساجد؛ فيرفع رأسه ويقول سبحانك الله ما عبدناك حق عبادتك.

فإذًا ذلك اليوم حق لابد أن نؤمن به، ولا بد أن يكون للإيمان باليوم الآخر آثار على المسلم؛ يخشى الله -عز وجل-، ويخاف عقابه، ويخشى من ظلم الناس، ويعلم أنه مهما عمل من شيء فإنه سيلقاه يوم القيامة، لذلك كانت من أشد الآيات عند أهل العلم قوله تعالى: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

فإن قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ المعنى- كل سوء يعمله المرء يحاسب عليه ويلقاه يوم القيامة.

وكما نعلم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، في اليوم الآخر هناك العذاب وهناك النعيم، هناك الجنة، هناك النار، هناك الميزان، هناك الصراط، أهوال وعظائم.

على المرء أن يستعد لذلك اليوم بتقوى الله -عز وجل-، بنور من الله لا بمجرد الخوف والهلَع، لا بالبدع والضلالات؛ وإنما من أراد النجاة ذلك اليوم فليكن من أتباع محمد -صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام، فليعمل بما أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويجتنب ما نهى عنه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويصدق ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم -، ويستعد للرحيل، فإن التَّقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله -عز وجل-، وأن تترك معصية الله على نور من الله -عز وجل-، وأن تستعد ليوم الرحيل، وكلنا ميتون، وكلنا مجازون على أعمالنا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

ثم قال: «وتؤمن بالقدر خيره وشره...».

وهذا الركن السادس: **الايمان بالقدر خيره وشره**.

ومراتب القدر عند أهل العلم أربعة:

المرتبة الأولى : العلم= مرتبة العلم، قال الله -عز وجل-: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

والمرتبة الثانية : الكتابة= فإن لله –عز وجل– قد كتب كل شيء في اللَّوح المحفوظ كما قال –صلى الله عليه وسلم–: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء».

والمرتبة الثالثة: المشيئة = بأنّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالله عز وجل يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء –سبحانه وتعالى– ويختار.

والمرتبة الرابعة : مرتبة الخلق= قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فلا بد من الإيمان بالقدر خيره وشره، ولا بد من الايمان بهذه المراتب أن الله يعلم كل شيء، وكما قال العلماء فإن الله يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ يعني ذاك الذي مات طفلا أو شابا؛ لو لم يمت فإن الله يعلم ما سيكون منه، وعلم الله –عز وجل– بهذه الأمور وبهذه الأشياء لا تعني أنه –سبحانه وتعالى– أجبر الناس على أن يعملوا هذه الأعمال، وإنما الله عِلِم ما سيختار الناس وما سيفعلون، فكتب في اللوح المحفوظ ما علم –سبحانه وتعالى–، ولذلك أنت يا عبد الله، جعل الله لك الاختيار، جعل لك أن تختار طريق الخير تنجو، أو تختار طريق الشر فتهلك، ومع ذلك فما لك من مشيئة إلا تحت مشيئة الله –عز وجل– فإن الخلق خلقه، والأمر أمره.

فلذلك ينبغي أن نتنبه لهذا الأمر، وأن لا تختلط علينا الأمور فإن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ولا بد أن نعلم هذا الأمر، فاعمل يا عبد

الله فكل ميسر لما خلق له، واحرص على ما ينفعك واعمل بطاعة الله فإنك لا تدري ما يكون عليه أمرك.

لذلك كان السلف يخافون على أنفسهم، وما كانوا -رضي الله عنهم وأرضاهم - يعني يتأثرون بطاعتهم، بل كانوا يخافون، وكلما كانوا أعلم كانوا من الله أخوف وأخشى، وكانوا لله أخشى، وكذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أما إني أعلمكم بالله وأخشاكم له وأتقاكم له».

وقال صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» أو كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

إذًا هذه هي مراتب الإيمان الستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل على هذه الأركان الستة».

قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ فذكر -سبحانه وتعالى- الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالنبيين، فهذه خمسة أركان.

أين الركن السادس؟

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

قال الشيخ: «ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾»

فهذه الأركان الستة مذكورة في القرآن، وسيأتي ذكرها في حديث جبريل الطويل -عليه الصلاة والسلام-.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «المرتبة الثالثة».

الآن انتهينا من المرتبة الأولى، وهي الإسلام، ثم انتهينا من المرتبة الثانية وهي الإيمان ،ثم الآن ندخل في مرتبة الإحسان.

وأهل الإحسان عددهم أقل، وأهل الإحسان هم ممن عبدوا الله -عز وجل- كأنهم يرونه، فإنهم وإن لم يكونوا يرونه فإن الله يراهم، فأحسنوا في أعمالهم وأخلصوا لله -عز وجل-.

والإحسان ليس بالهوى، وإنما الإحسان باتباع سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، والإخلاص لله -عز وجل-، ومراقبته -سبحانه وتعالى-، واتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه.

والإحسان هو أعلى مراتب هذا الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: الإحسان هو فعل المأمور به، سواء كان إحسانا إلى الناس أو إلى نفسه، **فأعظم الإحسان: الإيمان، والتوحيد، والإنابة إلى الله تعالى، والإقبال إليه، والتوكل، وأن يعبد الله كأنه يراه، إجلالا**

ومهابة وحياء ومحبة وخشية، فهذا هو مقام الإحسان؛ فيُحب الله -عز وجل- لذاته فإن الله -عز وجل- هو الذي يُحَبُّ لذاته.

والإحسان كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «أن تعبد الله كأنك تراه فإنك وإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ما الذي نلحظه في هذا الحديث؟

نلحظ أن فيه المراقبة والاستحضار، فإذا خلا المرء بنفسه فإنه لا يعصي الله -عز وجل-؛ لأنه يعلم أن الله يراه، ويعلم أن الله يعلم بحاله، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد، وأن الله -عز وجل- يعلم ما تُسِره نفسه، فلابد أن يستحضر العبد هذه الأمور، ليصل لدرجة الإحسان فيراقب الله -عز وجل- المراقبة التامة.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «الإحسان ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأَنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فإن الله -عز وجل- يرى ويسمع، حتى قالت عائشة -رضي الله عنها-: **سبحان الذي وسع سمعه كل شيء،** وذكرت هذا الكلام في قصة المجادِلة لما كانت تشتكي للنبي -صلى الله عليه وسلم- من زوجها، فكانت عائشة -رضي الله عنها- تسمع بعض الكلام وبعض الكلام لا تسمعه -مع أنها كانت في حجرة قريبة من حجرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع ذلك ماذا قال الله؟!

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾؛ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ فأثبت الله -سبحانه وتعالى- أنه سمع كل شيء مما قالته ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾. فعائشة -رضي الله عنها- ماذا تقول؟ تقول: سبحان الذي وسع سمعه كل شيء، يعني لم يغب عنه -سبحانه وتعالى- شيء مما قالته المرأة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، فسمع -سبحانه وتعالى- كل شيء مما قالته، فالله -عز وجل- يعلم كل شيء، حتى الأوراق التي تتساقط -سبحانه وتعالى- يسمع دبيب النملة في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، فالله عالم بكل شيء -سبحانه وتعالى-.

ولذلك -كما مر معنا- عن الفضيل بن عياض لما جاءه رجل يريد أن يعصي الله قال: نعم، اعص الله؛ ولكن اعص حيث لا يراك الله -عز وجل-، فقال: وكيف هذا؟ فقال: يا عدو نفسه تعلم أن الله يراك ثم تعصيه.

لذلك قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وهو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهذا كما جاء في الحديث وسيأتي.

قال: «والدليل قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾».

فهذه هي **المعية الخاصة** من الله -عز وجل- لأهل التقوى؛ معهم بعلمه، معهم بنصرته -سبحانه وتعالى- وتأييده، فالذين اتّقوا الله -عز وجل- لا يخافون إلا الله، والذين اتقوا الله هم الذين يفعلون أمر الله -عز وجل-، لا الذين

يفعلون أهواءهم، ويفعلون ما يشاءون، ويظنون أنفسهم أنهم أولياء الله؛ مثل داعش، ومثل تنظيم القاعدة، ومثل النصرة، ومثل أنصار الشريعة... وهذه الجبهات التي اتّبعت هواها، ولم تتبع أمر الله -عز وجل- ولم تتق الله -عز وجل- في مؤمن ولا مسلم؛ لا شيخا ولا امرأة ولا طفلا، بل قتلوا الأبرياء، حتى الكفار لا يجوز قتلهم إلا بحقه في الجهاد وفي القتال، أما المستأمن أو المعاهد أو الذِّمّي فإنه لا يجوز قتله، كما دلت على ذلك الأدلة، فأين تقوى الله في هذه الأمور؟!!

ولذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾، ﴿لاَ تَحْزَن إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ فهذه معية خاصة من الله -عز وجل- وإذا كان الله معك يا عبد الله فمن ذا الذي تخاف؟!! فمن ذا الذي تخاف؟!!

فإن الله ينصرك ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فالله -عز وجل- وعد بالنصر في الدنيا والآخرة .

قال: «وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فالله -عز وجل- يخاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن يتوكل عليه -سبحانه وتعالى- لأنه -سبحانه وتعالى- بيده الأمور كلها فإن الله -عز وجل- ناصره ومعينه وحافظه ومؤيده -سبحانه وتعالى- ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يعني يراك ويطلع على حالك ويعلم بك في عبادتك من صلاة ونحوها، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾

ويراك في صلاتك راكعا ساجدا، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يعني -سبحانه وتعالى- يسمع ويعلم جميع الأمور.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى- «وقوله تعالى: -أي من الأدلة على الإحسان- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾»

فالله -عز وجل- يخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنك في أي عمل في شأن في أي عمل من الأعمال وما تكون في حالة تقرأ فيها القرآن وتتلوه بل وكل عمل صغير أو كبير أنت وأمتك ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾، يعني أن الله -عز وجل- يراه ومطلع عليه وعلى جميع الناس في جميع أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، ولذلك-سبحان الله - الذي يطلق لسانه بالسب والشتم، والذي يؤذي المؤمنين والمؤمنات، والذي يؤذي الضعيف، والذي يتجبر على خلق الله -عز وجل- لا شك أنه لم يستحضر هذه المعاني، لا شك أنه غفل عن ما سيكون يوم القيامة من جزاء وحساب.

وقوله تعالى:﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تعملون وتشرعون فيه وتستمرون.

ثم قال الشيخ -رحمه الله تعالى- : «والدليل من السنة».

والآن ذكر الأدلة على الإسلام، والإيمان والإحسان من القرآن؛ ثم ذكر دليلا من السنة يشمل جميع المراتب الثلاثة، وهو الحديث المشهور.

قال: «والدليل من السنة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه».

في هذا الحديث، في قول عمر -رضي الله عنه-: «بينما نحن جلوس عند رسول الله» هكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم-، كانوا يحرصون على الجلوس عند النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ والعلماء ورثة الأنبياء، فعلى المسلمين أن يحرصوا على الجلوس عند العلماء، وأن يرجعوا إلى العلماء، وأن يسألوا العلماء وأن يعرفوا -أيضا- من هم العلماء؛ فليس كل من قيل فيه أنه عالم أو علامة هو فعلا عالم يستحق أن يرجع إليه ولا من يعده بعض الأغرار بأنه من العلماء الكبار هو فعلا من العلماء الكبار.

فلابد أن تتوفر فيه صفات العالم، وهي: العلم بالكتاب، والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، والعمل والتقوى، والعمل بهذه الأمور مع تقوى الله -عز وجل- فهاتان صفة العالم وإلا فإن كثيرا ممن يزعم أنه من العلماء قد يكون من علماء الضلالة وقد يكون من علماء السوء.

فقولوا لي بربكم، من الذي أفتى الناس وجوز لهم بقتل المؤمنين ؟

مثل: داعش، ومثل الذين يقومون بالعمليات التفجيرية والحزام الناسف من الذي أفتاهم؟

أناس يزعمون أنهم علماء!!

من الذي جوز للناس الخروج على الحكام والمظاهرات التي تخالف أمر الله، وأمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- وتخالف إجماع الأمة وأنها محرمة؛ فهذه الآثار المترتبة على الخروج في ليبيا، في سوريا، في اليمن، في تونس وفي غيرها من الدول، من المصائب، والمحن والقتل الذي تفشى وانتشر من الذي أفتاهم بذلك؟!! من الذي جوز لهم الخروج؟!!

علماء ضلالة، علماء سوء.

علينا يا إخواني -بارك الله فيكم- أن نحذر منهم، وهناك بعض الناس يقول: يا أخي! لا تتكلم في العلماء.

يا أخي! لست أنا الذي تكلمت في العلماء، إنما هذا أمر الله -عز وجل- كما في سورة آل عمران، **في أولها**، عندما تلا النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لما تلا هذه الآية قال: «فَإِذَا رَأَيْتم الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَتَشَابَهه -أي: ممن يزعم أنه من العلماء- فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

والله -عز وجل- قص لنا حال بني إسرائيل اليهود وحال النصارى الذين ضلُّوا بسبب علمائهم الذين انحرفوا عن الحق.

لماذا يقص لنا هذا؟

يقص لنا حتى نحذر من هذا، ومن هنا قال سفيان: «من ضل من العلماء فقد أشبه اليهود المغضوب عليهم -لأنه علم وعمل بخلاف ما علم- ومن ظل من الزهاد والعُبّاد فأشبه النصارى لأنه عبد الله على غير علم، ونور وبصيرة».ولذلك كان التحذير ممن يخالف الحق أمر مشروع، بل واجب بل مجمع عليه كما نقله أهل العلم، أنه بالإجماع.

ولذلك يا إخواني -بارك الله فيكم! لابد أن نحذر من هذا الأمر.

فلابد أن نعرف من هم العلماء؛ لأن الرجل إذا قيل أنه عالم وتصدر للناس فإنه يوقع الناس في الفتن، ويوقع الناس في التحزب، ويأتي بالفتاوى الباطلة، ويأتي بالكلام المخالف للحق الكثير؛ فإذا كان غير عالم؛ كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا يتزع من صدور العلماء، ولكن يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتخذَ الناسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا، فأفْتَوا بغيرِ علمٍ،فضلوا وأضلوا».

هكذا الرؤوس الجهال، الرؤوس الجهال يا إخواني! ليس معناه الذى لا يقرأ ولا يكتب؛ ليس معناه الرؤوس الجهال الذي ما تعلم؛ لا! الرؤوس الجهال كما سألت الشيخ ابن باز -رحمة الله عليه- وغيره من أهل العلم، سألتهم عن

ذلك، قالوا: «**الرؤوس الجهال: هو كل من تكلم في دين الله بلا علم**» ولو كان عنده شيء من علم فإنه يعتبر من الرؤوس الجهال، فالذي يتكلم في دين الله بلا علم، ويفتي بلا علم ويوقع في الفتاوى الباطلة الكثيرة وإن تراجع عنها؛ فإنه عند أهل العلم إن كان فتواه بجهل وكانت فتواه في مسائل عظيمة يجهلها ويتخبط فيها؛ فإن أهل العلم، مثل هذا الرجل لا يوثق به؛ مثل هذا الرجل لا يرجعون إليه يستفاد منه فيما تكلم فيما يحسن، فإن كثر منه قد يحذرون منه، فبعض الناس الآن قد يتخذون مثل هؤلاء الرؤوس الجهال علماء أكابر ويأمرون بالرجوع إليهم وهم والله لا يستحقوا أن يسموا علماء، بل إن أحسنا الظن بهم، طلبة علم.

فلا شك أن هذه االتخبطات الواقعة في هذه الأمة إنما هي بسبب عدم تمييزها بين العلماء وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما وصف العلماء الحق قال: «إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ» ولذلك نص بعض أهل العلم أن العالم لا يؤتى الناس من قبله.

لماذ؟!!

لأنه متمسك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، ويدعو إلى ذلك، وأما إذا كان مقصرا في هذه الأمور فإنه يؤتى الناس من قبله، وإن سَمَّوه عالما أو علاَّمة وإن وصفوه بأنه، مثلا: من الأكابر، فليس كل من وصف بهذا الأمر استحق هذا الأمر.

وأذكر لكم مثالا على هذا : فتنة فالح الحربي، فإن فالح الحربي ليس بعالم في حقيقة الأمر؛ ففي بداية الأمر كان مع السلفيين وكان يرد على أهل الباطل، ولكن مع رده على أهل الباطل، مما يستفيد من كلام العلماء، إلا أنه لم يكن متأصلا علميا فضل وانحرف، فالح في بداية أمره أثنى عليه العلماء فيما ظهر لهم من حاله ثم ضل وانحرف فرد عليه العلماء، وضللوه.

سألت شيخنا ربيع المدخلي –حفظه الله تعالى–، فقلت: يا شيخ، الله يحفظك، أنا سمعت كلام فالح الحربي، أيام ما كان مع السلفيين وكنت أرى أن في كلامه خلل كبير، وكنت أرى أنه ليس بذاك المرتبة التي، يعني، الناس تثني عليه، أن الطعن فيه طعن في الإسلام، أو أنه علاَّمة، أو أنه من الأكابر، أو أو إلى آخره.ولكن أنا أرى أنه الشباب وأرى المشايخ يقدمونه وأرى المشايخ يثنون عليه.فسكتُ ما أردت أن أظهر أمر وأنا متفرد عن هؤلاء المشايخ.

فقال: يا ولدي؛ والله كان في الحضيض–يعني كان جاهل– ولكن صبرنا عليه، أردنا أن يتوب، أردنا أن يترك واستمر في ضلاله وغيه إلى أن رددنا عليه.

فإذًا فالح في حينها كان مُعَظَّم، ولذلك يا إخواني؛ **ينبغي أن لا نعظم الناس، إنما نعظم الحق، ونتابع الحق، ونبحث عن الحق، فمن كان مع الحق كنا معه، ومن خالف الحق لا نكون معه.**

وما أكثر اليوم من ينادي بالرجوع إلى الأكابر في مسائل قد تكون مخالفة للحق، فأيهما أولى بالرجوع؟!! أن ترجع إلى الحق أم أن ترجع إلى الأكابر؟!!

نعم من منهج السلف الرجوع إلى الأكابر، ولكن للحق الذي عندهم لا لذاتهم، فإن من يدل الشباب بالرجوع للأكابر تمريرا لباطله فإنما يدلهم على باطل لا يدلهم على حق؛ وإلا فما معنى قول مالك، وأحمد، والشافعي، وأبو حنيفة وغيرهم من أهل العلم: كلٌّ يؤخذ من قوله ويردُّ إلا النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ معناه: يؤخذ من قولهم الحق ويرد من قولهم الباطل.

هنا يا إخواني لا بد أن أذكركم هناك بعض الناس يدندنون حول هذه الكلمة لتمرير الباطل فاحذروهم بارك الله فيكم.

ثم ما جاء في حديث جبريل قال : «إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر»، يعني غريب و مع ذلك من غرابته أنه :

أولا: لا يُعرف.

ثانيا: بما أنه لا يعرف فالمتوقع أن يكون مسافرا و أن يكون متعبا وأن تكون عليه آثار السفر بادية.

و مع ذلك هذا الرجل و هو جبريل عليه -السلام- و ما كانوا يعلمون حينها أنه جبريل، فهذا الرجل كان «شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، و لا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي -صلى الله عليه و سلم- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه و وضع كفيه على فخذيه».

قال العلماء:

في هذه جلسة طالب العلم مع العالم باحترام و توقير و تقدير، فقال هذا الرجل و هو جبريل عليه –الصلاة والسلام –: «يا محمد!» ، ناداه باسمه، «أخبرني عن الإسلام»، فقال النبي –صلى الله عليه و سلم– : «أن تشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، و تؤتي الزكاة، و تصوم رمضان، و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال جبريل: صدقت»، قال عمر: «فعجبنا له يسأله و يصدقه»؛ و وجه العجب أن السائل حين يسأل يريد الجواب عن أمر لا يعلمه و لكن يسأل عن أمر يعلمه بدليل أنه قال صدقت؛ أي أن قولك قول صدق و أنا أعلم ذلك، هذا وجه.

ووجه آخر أن هذا الرجل كأنه يعلم هذا الأمر و هذا الأمر إنما جاء به الرسول –صلى الله عليه و سلم– عن الله، وهذا الرجل غير معروف بينهم.

فمن أين أتى به؟!!

فلذلك تعَجَّبوا رضي الله عنهم و أرضاهم.

قال: «أخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره و شره، قال: صدقت قال أخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: أخبرني عن الساعة، قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل» يعني أنا لست بأعلم منك بمتى

الساعة و متى تكون لأن علم الساعة، القيامة تفرد به الله -عز و جل -، فقال: «أخبرني عن أماراتها، يعني عن علاماتها قال: أن تلد الأمة ربتها».

هذه العلامة قال العلماء يحتمل أن يكون المعنى أن في آخر الزمان يكثر الإماء و الجواري، فالرجل يطأ الأمة فتحمل فتلد له فأمها أمة، أم الولد تعتق بعد موت زوجها فقالوا هذا دليل أو إشارة إلى كثرة الجواري و الإماء المملوكات، وقيل معناه أن البنت تعامل أمها معاملة الجارية، لا احترام و لا تقدير و هذا ما نراه اليوم للأسف الشديد، الأم تخدم وتغسل وتطبخ وتهيِّء البيت و تجهز الأولاد، والبنت إما نائمة و إما تلعب وإما تمسك الجوال وإما تدعي أنها تذاكر، هذا إذا لم تقع في أمر محرم كمشاهدة المسلسلات والأفلام المحرمة، ولا شك أن هذا من العقوق ومن سوء معاملة الوالدين.

و هنا أنبه على أمر :

ما سبق من جهة أن البنت ينبغي لها أن تعين أمها وأن تساعدها، وهذا الأمر أعني مساعدتها لأمها هو من توفيق الله لها، فإنها ستكون هذه البنت غدا زوجة و أم فتحتاج أن تتعلم و تحتاج أن تتعود، و كما برت أمها ستبرها بنتها بإذن الله تعالى.

وهنا أنبه على أمر يتعلق بمسألة الوالدين، وهو أن بعض الناس إذا رأى أباه أو رأى أمه تقسو عليه أو فيهم معاملة شديدة يظن أنه ليس واجبا عليه أن

يبرهما، وهذا خطأ بل **و لوكان الأب قاسيا أو الأم قاسية وشديدة فإن عليك يا عبد الله أن تبرهما.**

ما الدليـــــــل؟

الدليل قوله تعالى :﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.

فتأملوا بارك الله فيكم كيف أن الله –عز وجل– أمر بصحبتهما بالمعروف ولو كانا مشركين فكيف لو كانا مسلمين ولكن حصل منهم شيء من القسوة أو الشدة معك؟!!

فلذلك لا بد من برهما، ولا بد من الإحسان إليهما ولا بد من الحذر من العقوق؛ فما من ذنب كما يقول النبي –صلى الله عليه و سلم– أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة من الظلم و العقوق أو كما قال عليه –الصلاة والسلام –.

فلذلك قال هنا في الحديث: «أن تلد الأمة ربتها، و أن ترى الحفاة العراة العالة» يعني البدو الذين لا يسترون إلا مواضع العورة وبعض جسمهم، فهم عراة، و يسيرون غالبا على أقدامهم بلا أحذية، و أيضا عالة هم فقراء، و يرعون الشاء «رعاء الشاء»، يرعون الشاء و يتطاولون في البنيان، يعني تفتح عليهم الدنيا ويملكون البنيان الواسع فهذا من علامات الساعة ومن الأدلة على قرب يوم القيامة.

قال: «فمضى» أي ذهب جبريل عليه -السلام- «فلبثنا مليا» أي وقتا بعد ذهابه «فقال الرسول -صلى الله عليه و سلم-: يا عمر أتدري من السائل؟ قلنا الله و رسوله أعلم، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

فقوله -رضي الله عنه-: «قلنا الله ورسوله أعلم»، نبّه العلماء هذا في حياة النبي وفي مخاطبة النبي -صلى الله عليه و سلم -، الله ورسوله أعلم؛ وأما بعد موته عليه -الصلاة والسلام- فيقال الله أعلم لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ميت لا يعلم عليه -الصلاة و السلام -، هذا أمر.

وقوله -صلى الله عليه و سلم-: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»، فيه دليل على أن الإسلام و الإيمان و الإحسان من مراتب الدين كما سبق معنا.

فهذا الحديث -حديث جبريل- هو من الأحاديث العظيمة عند العلماء حتى **وصفه القرطبي بأنه أمُّ السنة،** و وصفه العلماء بأنه تضمن علوما و معارف كثيرة.

إلى هنا انتهى الشيخ -رحمه الله تعالى- من الأصل الثاني ثم الآن يدخل إلى الأصل الثالث.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «الأصل الثالث معرفة نبيكم محمد -صلى الله عليه وسلم-».

هذا هو الأصل الثالث، أنت تؤمن بالله ربا، و بالإسلام دينا، و بمحمد نبيا؛ من محمد؟ ما أحواله؟ ما الذي تعرفه عنه؟

للأسف هناك بعض المسلمين لا يعرفون هذه الأمور الضرورية التي سيذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى-.

و لذلك **هذه الرسالة الأصول الثلاثة على صغر حجمها إلا أنها اشتملت على معارف كثيرة وأمور عظيمة.**

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وهو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم وهاشم من قريش وقريش من العرب».

فنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- هذا نسبه قرشي عربي أصيل -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام».

فنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- من ذرية إسماعيل بن إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

قال -رحمه الله-: «وله من العمر -أي حين مات وتوفي- ثلاث وستون سنة».

قبض -صلى الله عليه وسلم- وعمره ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة قبل أن ينبأ ويرسل -عليه الصلاة والسلام- فهو نبئ على رأس الأربعين -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «منها أربعون قبل النبوة».

ماذا كان قبل النبوة؟

كان يعبد إلها لا يعرف من هو ولكن كان يتعبد في غار حراء؛ يتعبد الله.

من هو الله؟

ما كان يعرف، ولذلك قال الله -عز وجل-: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ما معنى ضالا؟ ضالا: أي لم تهتد إلى الحق ليس معناه أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يفعل أعمال الضلال، لا؛ وإنما معناه أنه لم يهتد إلى الحق ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فهداك للحق.

قال: «ثم بعد الأربعين نبئ -عليه الصلاة والسلام-».

ولكنه -صلى الله عليه وسلم- لم يسجد لصنم، ولم يشرب الخمر، ولم يعمل ما كان عليه أهل الجاهلية، وكان معروفا بالصدق والأمانة -عليه الصلاة والسلام-، فاصطفاه الله -عز وجل- وهيَّأَه لرسالته، وجعله خاتم الأنبياء والرسل.

قال: «منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبيا ورسولا -صلى الله عليه وسلم- نبئ بـ«اقرأ»

لما جاءه جبريل وقال له: «اقرأ»

قال: «ما أنا بقارئ»

قال العلماء: ما أنا بقارئ» إما أن تكون بمعنى ما الاستفهامية أي ما الذي أقرؤه؟

وإما أن تكون ما النافية أي أنا لا أحسن القراءة ولا أعرف القراءة فنبئ -صلى الله عليه وسلم- بـ«اقرأ» وأرسل بـ«المدثر» ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ﴾ فأرسله الله -عز وجل-.

وبلده مكة وبها ولد -عليه الصلاة والسلام- وكونه - عليه الصلاة والسلام- ولد بمكة لا يعني أننا نحتفل بموضع مولده فإن موضع مولده -عليه الصلاة والسلام- ليس معروفا على الصحيح من قول أهل العلم ولا يحتفل بزمن مولده فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يعلمنا أن نحتفل بزمن مولده ولا الصحابة الذين كانوا يحبون النبي -صلى الله عليه وسلم- حبا شديدا ما احتفلوا بمولده بل قال -صلى الله عليه وسلم-: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» ولا شك أن المولد من أنواع إطراء النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال: «وهاجر إلى المدينة».

بعد أن ضُيق عليه وأوذي هو وأصحابه وصبر وفي صبره -صلى الله عليه وسلم- في مكة عبرة لنا ودليل على باطل ما عليه هذه الجماعات داعش وغيرها فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- أوذي بمكة وحوصر وضُيق عليه وجاء عليه عام الحزن -صلى الله عليه وسلم- وبعض أصحابه يعذبون أمام عينيه ما كان بيده شيء -عليه الصلاة والسلام- فصبر لم يأمر بقتلهم غيلة ولم يأمر بهدم البيوت عليهم ولم يأمر أن يأخذ أحدهم خنجره أو سيفه ويضرب بهم يمينا وشمالا ولم يأمر الصحابة أن يأخذوا الحجارة فيضربوا كفار مكة بل أمروا بالصبر.

فهل الذين يفخرون ويتفاخرون برمي الحجارة ويعرضون الأطفال الصغار والبنات والنساء والرجال؛ يعرضونهم لرصاصات اليهود -قبحهم الله- هل الذين يعرضون هؤلاء الشباب والصغار أغْيَر وأحسن من حال النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟! لا والله !!

هل الذين يقومون بهذه العمليات التفجيرية فيفجرون ويكفرون أعلم و أحسن من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟ لا والله !!

لابد يا أمة محمد لابد أن تكون عندنا عقول، إلى متى!! إلى متى تضحك وتلعب بنا هذه الجماعات!! فتقدم الإرهاب، وتقدم الخوارج، وتقدم الضلال على أنه نصرة الإسلام، وعلى أن هؤلاء مجاهدون وأن هذا حق، لا والله !!

ليس بحق، في الوقت الذي يتهمون العلماء الربانيين بأنهم أهل عمالة وأهل بحث عن سلطة ومال وجاه، لا والله !!

هم علماء حق-بإذن الله تعالى-، وإنما قالوا الحق الذي أمر الله -عز وجل- به، لذلك أفتى الشيخ الألباني وأفتى الشيخ بن باز وغيرهما من أهل العلم -رحمة الله عليهم- جميعا أن على من كان مستضعفا في أرض لاحول له فيها ولا قوة أن يخرج منها، فلسطين نخرج من فلسطين ثم نقيم شرع الله -عز وجل- ونعد العدة ثم نرجع إلى فلسطين بالعدة الشرعية المطلوبة منا وبالجهاد الشرعي الذي أمر الله -عز وجل به- ورسوله -صلى الله عليه وسلم-.

فليس الجهاد مجرد أن تحمل السلاح وتقتل من تقتل بلا ضوابط شرعية، ثم تقول الله أكبر الله أكبر هذا ليس الجهاد!!

إنما الجهاد أن يكون بالضوابط الشرعية، تحت قيادة حاكم شرعي لرفع كلمة الله-عز وجل-.

هذه الجماعات تفجر وتدمر نصرة لجماعتهم وأحزابهم، لا والله !! ليس نصرة لله-عز وجل-.

وأن يكون بالضوابط الشرعية، فلا يقتل الآمنون، ولا يقتل الأبرياء، ولا تستعمل الخيانات، وتستعمل الغيلة بهذا الأسلوب الماكر الخادع وإخافة الناس.

فانظروا بارك الله فيكم ما الذى ترتب على هذه الجماعات دواعش وغيرها إلا الطعن فى الإسلام والطعن فى أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- والإيذاء للمسلمين فى فرنسا وفى أمريكا وفى أوربا.

بعضهم يقتلونهم ويؤذونهم ويفجرونهم فى مساجدهم فإن هذا والله ضلال وليس مما جاء به النبي-صلى الله عليه وسلم-

قال الشيخ-رحمه الله تعالى-: «وهاجر إلى المدينة أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ أي الأصنام والشرك ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾»

ومعنى ﴿قم فأنذر﴾ ينذر عن الشرك ويدعوا الى التوحيد

﴿وربك فكبر﴾ أي عظمه بالتوحيد

﴿وثيابك فطهر﴾ أي طهر أعمالك من الشرك وهذا على تفسير

﴿والرجز﴾ أي الأصنام الرجز الأصنام وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها

قال الشيخ-رحمه الله تعالى-: «أخذ على هذا عشر سنين أخذ على هذا عشر سنين يدعو».

يريد الشيخ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا كفار مكة عشر سنين.

يريد الشيخ -رحمه الله تعالى- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دعا كفار مكة ثلاث عشر سنة.

عشر سنين كان يدعوا إلى التوحيد ثم بعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى في مكة ثلاث سنين فعشر وثلاثة ثلاث عشر سنة يدعو في مكة إلى التوحيد وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة.

ثم بين-رحمه الله تعالى- الهجرة ومعناها وقبل الانتقال وقبل انتهاء الدرس أحب أنبه على أمر وسيأتي التنبيه عليه في اللقاء القادم.

النبي-صلى الله عليه وسلم- دعا أهل مكة ثلاث عشر سنه يدعوهم إلى التوحيد ثم انتقل إلى المدينة عشر سنين ثم توفى-عليه الصلاة والسلام-

فى المدينة كان يقرر الأحكام والعبادات لكن ليس المعنى كما سيأتينا إن شاء الله ليس المعنى أن النبي-صلى الله عليه وسلم- في مكة كان يقرر التوحيد وفى المدينة لم يقرر التوحيد؛ وإنما المراد أنه في مكة كان يشتغل كثيرا بتقرير التوحيد.

وفى المدينة لما كان أصحابه مؤمنين وآمنوا؛ أيضا علمهم التوحيد **ولكن علمهم أيضا مع التوحيد العبادات.**

النبي–صلى الله عليه وسلم– منذ أول بعثته إلى أن لقى ربه وهو يدعوا إلى التوحيد.

كما مَرِّ معنا أنه كان يقول عند موته «لعنه الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبياءهم مساجد» فهذا لا شك أنه من التوحيد والأمر به.

فالنبي–صلى الله عليه وسلم– دعوته كلها إلى التوحيد.

وفى هذا القدر كفاية.

أسال الله–عز وجل– أن ينفعنا بما سمعنا وأن يكون حجة لنا لا علينا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

مَعْهَدُ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ الثَّامِنُ مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنْ الحَمَدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضِّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمْدا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخَيْرِ الهَدْىَّ هَدْىُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد توقّفنا عند قول المصنّف -رحمه الله تعالى- شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهّاب في الأصول الثّلاثة لمّا ذكر أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- مكث في مكّة يدعو إلى التّوحيد ثلاثة عشر سنة ثمّ هاجر إلى المدينة، فقال الشّيخ -رحمه الله تعالى-:

«والهجرة الإنتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام وهي باقية إلى أن تقوم السّاعة والدّليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾قال البغوي –رحمه الله تعالى–: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذّين في مكّة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان. والدّليل على الهجرة من السّنّة قوله –صلّى الله عليه وسلّم– «لا تنقطع الهجرة حتّى تنقطع التّوبة، ولا تنقطع التّوبة حتّى تطلع الشّمس من مغربها».

في هذه الجمل من شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– تنبيه على مسألة مهّمة وهي أنّ **المسلم لا ينوي الإقامة الأبديّة بين ظهرانِي الكفّار أو المشركين، وإنّما ينوي قضاء حاجته من تجارة أو تعليم أو سفر أو نحو ذلك ثم يعود إلى بلده.**

والمدّة التّي يمكثها في بلاد الكفر ولو طالت إذا لم ينو الإقامة الأبديّة فلا يدخل في التّحريم وفي الذّم المذكور في هذه الأدلّة.

وعلى المسلم أن يسعى إلى الانتقال إلى بلاد الإسلام، وإذا أقام في بلاد الكفر لمدّة معينة عليه أن يحافظ على شعائر دينه، وعلى تعليم أولاده، وعلى أن يبثّ الرّوح الإسلاميّة وشعائر هذا الدّين بين أهله وأولاده، فلو أقام في بلاد الكفر مدّة طويلة لتجارة أو تعليم أو لأمر آخر فإنّه لا يدخل في هذا الذّمّ.

والمسلم بعد أن يعلم حكم تحريم الإقامة في بلاد الكفر فلو استطاع أن ينتقل إلى بلده بلا ضرر وبلا أذى فليفعل ذلك وإن كان الإنتقال إلى بلاده يكون فيه عليه ضرر أو خسارة أو لا يستطيع أن ينتقل إلى بلده بسبب عدم توفر الأوراق

الرّسمية أو عدم توفّر الأمور فحينها يُقال له ابذل جهدك واسعى في تيسير أمورك للانتقال من بلاد الكفر.

فإذا يجب أن نتنبّه لهذا الأمر:

أوّلا: الذّي يحرم هو الإقامة الأبديّة أن تنوي الإقامة في بلد الكفر ولا تنوي الرّجوع إلى بلدك.

ثانيا: أنّ الجلوس في بلاد الكفر لقضاء غرض من تعليم أو تجارة أو نحو ذلك مع توفّر الشّروط الشّرعيّة؛ من إقامة الدّين وعدم الفتنة وعدم هذه الأمور كلّها، أنّه لا يدخل إن شاء الله في الإثم بإذن الله.

ثالثا: أنّه لا يُقال للمسلم بعد علمه بهذا الحكم وقد يكون سابقا قد نوى الإقامة، لا يُقال له انتقل الآن في غمضة عين أو بين يوم وليلة، بل يُقال انظر إلى أمورك وانظر إلى شأنك واستعد للانتقال إلى بلاد الإسلام، فإن تيسّر لك هذا في عجل وفي سرعة فالحمد لله، وإن لم يتيسّر لك هذا وتحتاج إلى وقت يعني للاستعداد ماديّا ولإعداد الأوراق ونحو ذلك فحينها انتقل عندما تتيسّر لك الأمور.

وإنّ من الأمور الغريبة التّي قد انتشرت بين المسلمين في بلاد الغرب هناك يعني فتاوى تدعوا إلى أنّه لابدّ أن تُهاجر الآن الآن، وهذا خطأ؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، فمَن تيسّر له الانتقال نقول له انتقل، الآن ومن كان الانتقال بالنّسبة له يضرّ الآن ويحتاج إلى وقت جمع مال وتخلّص من أوراق

وإعداد أوراق رسميّة ونحو ذلك، فحينها نقول له مادمت لا تنوي الإقامة الأبديّة، ومادمت تنوي الرّجوع إلى بلاد الإسلام فلك من الوقت ما تحتاجه بإذن الله تعالى للانتقال إلى بلدك، سواء شهر أسبوع سنة أو أكثر... أهمّ شيء أن لا تنوي الإقامة، وأهمّ شيء أن تسعى للانتقال إلى بلاد الإسلام، وأهمّ شيء أن تمارس شعائر دينك وأن تجتنب الفتن.

فإذًا قول المصنّف –رحمه الله تعالى–: «والهجرة الانتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام هذا الانتقال سيأتي إن شاء الله لأنّه فريضة».

لماذا؟

لأنّ المسلم لا يجوز له أن ينوي الإقامة الأبديّة في بلاد الكفر أو الشّرك لقوله –صلّى الله عليه وسلّم–: «لا تتراءى نار مسلم، ونار مشرك» أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام.

قال الشّيخ –رحمه الله تعالى–: «الانتقال من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام والهجرة فريضة».

أي واجبة على هذه الأمّة من بلد الشّرك إلى بلد الإسلام؛ فلا ينوي المسلم الإقامة في بلاد الكفر، فلا ينوي المسلم الإقامة الأبديّة، أمّا أن ينوي الإقامة لوقت تتيسّر فيه أموره أو لتجارة أو نحو ذلك، كدعوة إلى الإسلام وإلى السّنّة النّبويّة فلا مانع من ذلك، ولو طالت المدّة مادام أنّ النّيّة في ذلك عدم الإقامة الأبديّة، ونعني بالإقامة الأبديّة أن ينوي الإقامة في بلاد الكفر إلى أن يموت، ولا

يُفكّر أن يرجع إلى بلاد الإسلام إلّا من باب زيارة الأهل والأقارب فلا شكّ أنّ هذا محرّم؛ للأدلّة ولكن الإقامة لتجارة أو تعليم أو دعوة أو نحو ذلك فلا مانع منها.

وكذا من كان ناويا الإقامة الأبديّة ثمّ علم الحكم لا نقول له انتقل بين يوم وليلة ولكن انظر إلى ما يتيسّر معك وما يكون لك فيه سعة في أمرك ثمّ انتقل بعد ذلك ولا تنوي الإقامة الأبديّة.

إذًا قال الشّيخ –رحمه الله تعالى-: «وهي باقية –أي الهجرة – إلى أن تقوم السّاعة يعني لا تسقط لا يجوز لمسلم أن يسكن في بلاد الكفر بنيّة الإقامة الأبديّة».

قال: «والدّليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾».

يعني هؤلاء الذّين ظلموا أنفسهم، وهم أناس من أهل مكّة أسلموا أو تكلّموا بالإسلام ولم يهاجروا فتوفّتهم الملائكة حال كونهم ظالمي أنفسهم، كيف ظلموا أنفسهم؟!!

لم يهاجروا ولم ينووا الهجرة من بلاد الشّرك بل ظلّوا في بلاد الكفر فتقول لهم الملائكة موبّخة لحالهم ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ لماذا فعلتهم هذا الأمر؟ لماذا لم تهاجروا؟ فيكون جوابهم بأنّنا كنّا مستضعفين في الأرض، يعني ما عندنا قدرة، نعجز عن الهجرة ولا تتوفّر لنا الأمور.

لكن هل هذه الأسباب حين ذكروها كانوا صادقين فيها؟ قال أهل التّفسير لم يكونوا صادقين فيها، بل هي مجرّد أعذار واهية لا حقيقة لها، فلم يكونوا مستضعفين، وكانت عندهم القدرة على الهجرة فلم يهاجروا.

لذلك مرّ معنا في التّنبيه السّابق أنّ هذه الهجرة إنّما تكون بلا ضرر وهذه الهجرة لمن نوى الإقامة الأبديّة، أمّا من نوى الإقامة لمدّة ثمّ يرجع فلا يدخل في هذه الأدلّة لذلك تقول الملائكة لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ فهذا عتاب لهم، و هذا استفهام المراد به أن يعترفوا أنّ أرض الله واسعة و لم يهاجروا لذلك تُوُعِّدوا بالعقاب فأولئك مأواهم جهنّم و ساءت مصيرا؛ أي أنّ هؤلاء الذّين لم يهاجروا لا عذر لهم فأخبر الله -عزّ و جلّ- بأنّ مأواهم جهنّم و ساءت مصيرا، أي أنّ جهنّم هي بئس المصير وتُوعّد مَن ترك الهجرة -مع قدرته- توعّد بهذا العقاب، **فترك الهجرة لمَن كان قادرا عليها كبيرة من كبائر الذّنوب.**

فترك الهجرة لمن كان قادراً عليها كبيرة من كبائر الذنوب، ولكن كما سبق ترك الهجرة لمن كان ناوياً الإقامة الأبدية؛ أما من كان مقيماً لقضاء حاجة، ولإتمام أمر؛ كالتعليم، أو تجارة، أو دعوة، أو نحو ذلك؛ فإنه لا يدخل في هذه النصوص؛ لأن هذه النصوص في ذنب من أقام إقامةً أبدية؛ لا ينوي الرجوع إلى بلاد الإسلام، أو لا ينوي الانتقال إلى بلاد الإسلام .

لذلك ذكر الله – عز وجل – من يعذرون فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ يعني: الذين هم فيهم عجزٌ عن الانتقال سواءٌ كانوا رجالاً، أو نساءً، أو ولدانا؛

يعني صغاراً من الأبناء، والبنات لا يستطيعون حيلة؛ يعني لا يستطيعون الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، لعدم النفقة، أو لعدم القدرة والقوة، أو نحو ذلك ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً﴾ يعني: لا يعرفون كيف يخرجون من بلاد الكفر ويصلون إلى بلاد الإسلام ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ يعني: من كان مستضعفاً حقاً، ولا يستطيع الانتقال حقاً؛ فإن الله – عز وجل – وعده بالعفو عنه؛ عن هذا الأمر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾؛ أي أن الله – عز وجل –متصف – سبحانه وتعالى – بالعفو والتجاوز عن السيئات، وأنه –سبحانه وتعالى –غفوراً أي: كثير المغفرة للذنوب والزلات.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى– (نزلت هذه الآية عامةً في كل من أقام بين ظهراني المشركين)؛ وقوله في كل من أقام أي: أقام إقامة أبدية، لأن بعض الناس يفهمون خطأ؛ أن كل من سكن في بلاد الكفر متوعد بهذا العذاب، وأنهُ يجب أن يهاجر حالاً حالاً، وهذا خطأ؛ وإنما الأدلة أتت في من نوى الإقامة الأبدية؛ قال: وهو قادرٌ على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالمٌ لنفسه، مرتكباً حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية انتهى.

قال الشيخ – رحمه الله تعالى – وقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

هذا نداءٌ من الله – عز وجل – للمؤمنين الموحدين لله – عز وجل –؛ الذين ءامنوا بالله رباً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبهذا الإسلام ديناً؛

ولكنهم مقيمون في ديار الكفر لم يهاجروا؛ فالله – عز وجل – خاطبهم بهذا الخطاب ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ **فليست الإقامة في ديار الكفر كفراً؛ إنما هي كبيرة من كبائر الذنوب،** ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾، يعني: أنا خلقتكم وأوجدتكم في هذه الأرض، فأنتم في بلاد الكفر فأرض الله واسعة؛ في أي مكان انتقلوا إن تيسر لكم، ولا تقيموا في بلاد الكفر إقامة أبدية؛ لما في ذلك من ضرر عليكم في دينكم، ودنياكم ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ أي: أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة.

«قال البغوي –رحمه الله تعالى–: «سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين كانوا بمكة لم يُهاجِرُوا، ناداهم باسم الإيمان»

بمعنى: أنهم مؤمنون فناداهم باسم الإيمان؛ فأفاد أن **تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنه عاص، مؤمن ناقص الإيمان.**

ثم قال الشيخ –رحمه الله تعالى –: «والدليل على الهجرة من السنة قوله – صلى الله عليه وسلم–: «لا تنقطع الهجرةُ حتى تنقطع التوبةُ».

فهذا دليل من السنة على استمرار الهجرة؛ وأما قوله –صلى الله عليه وسلم–: «لا هجرة بعد الفتح»؛ أي: لا هجرة من مكة، ومن دار الإسلام بعد فتح مكة، وأما الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام فهي مستمرة.

ولذلك قال عليه صلى الله عليه وسلم: «لا تنقطع الهجرة»؛ وهذا دليل على أن الهجرة مفروضة وواجبة؛ وجوب الهجرة لا يسقط لمن كان مستطيعاً؛ فلا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة؛ يعني: حتى يأتي وقتٌ لا تقبل فيه توبة التائب؛

فإذا جاء ذلك الوقت؛ وهو إذا طلعت الشمس من مغربها؛ فحينها لا ينفع انتقال المسلم الذي أقام في بلاد الكفر إقامةً أبدية بعد طلوع الشمس من مغربها لا تنفعه هجرته.

لماذا؟

لأن التوبة حينها قد انقطعت؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»؛ فالتوبة مقبولة من العبد إذا انتقل من بلاد الكفر قبل طلوع الشمس من مغربها.

وهذه الهجرة واجبة، كما بين هذا العلماء.

فالمسلم يسعى بكل جهده و استطاعته للانتقال من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ولا ينوي الإقامة هناك، والانتقال إلى بلاد الإسلام هنا أيضا ننبه على قضية وهي أن بعض المسلمين – هدانا الله و إياهم –للصواب قد يقولوا إني في بلاد الكفر مرتاح ولا يضيق علي وأما في بلاد المسلمين فهناك بعض الأمور التي تضايقني فلذلك أنا لا أنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين.

فنقول لهؤلاء:

أولا: اعلموا أن الهجرة واجبة، لا يجوز لك أن تنوي الإقامة الأبدية في بلاد الكفر.

ثانيا: أن نقول لك يا أخي إن بلاد المسلمين على كل ما فيها من تضييق في نظرك أو سوء معاملة في نظرك، فإن هذه أمور أهون من الشرك والكفر الذي في بلاد الكفر.

ثالثا: أنت تعلم الإسلام وتعلم شيء منه ولكن أبنائك ومن بعدهم قد يتطبعون بطباع أهل الكفر، بل وقد يتدينون بدينهم فينتقلون من الإسلام إلى الكفر و أنت لا تدري فلا شك أن هذه شبهة شيطانية.

عليك أن تنوي الرجوع إلى بلاد المسلمين وأن تربي أبنائك وأجيالك على الإسلام في بلاد المسلمين، فإن الدنيا زائلة وفانية والعبد يعلق قلبه بالله – عز وجل – ويعلق نفسه بالآخرة فإن الحياة الآخرة لهي الحيوان؛ أي لهي دار الحياة الحقيقية هذا معنى الحيوان أي دار الحياة الحقيقة، أما الدنيا فيها المنغصات لا النعم لا تدوم فيها المرض فيها الحوادث والمصائب، الإنسان ما يأمن الدنيا زائلة، فلا تتعلق بها، ولا تظن أن أهل الكفر وأهل الشرك هم خير لك من المسلمين، فإنهم يخدعوك وهم على فتنتك وتغيير دينك هم حريصون بلا شك.

فاحذر يا عبد الله من هذه الشبهة، فلا تنوي الإقامة في بلاد الكفر وانوِ الرجوع إلى بلاد المسلمين على قدر استطاعتك لا يكلف الله نفسا إلا وسعها وإن شاء الله ما دمت ناويا للخير وما دمت ناويا لطاعة الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الأمر، فأبشر بالخير والتوفيق من الله، فإن الله – عز وجل – كما دلت النصوص الشرعية يعين العبد على مراده في فعل الطاعة بإذن الله تعالى.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «فلما استقر في المدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة والصوم والحج والآذان والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر من مكة إلى المدينة وانتشر التوحيد ودخل الناس في هذا الدين أفواجا فعند انتقاله من مكة إلى المدينة واستقر بالمدينة أمره الله - عز وجل - ببقية شرائع الإسلام».

الزكاة فرضت في مكة -ولكن أنصبتها ومقاديرها وما يتعلق بها في المدينة-، وكذا الصوم، والحج، والآذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين في مكة؛ أي يُقيم الأحكام، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤدي هذه الواجبات والأحكام في المدينة؛ حينما استقر في المدينة.

وفي مكة كان يركز -عليه الصلاة والسلام- على التوحيد، وكما سبق أن النبي -صلى الله عليه وسلم- منذ أن بُعث إلى أن لقي ربه كان يقرر التوحيد، ولما يُقال أنه في مكة ثلاثة عشر سنة يدعو إلى التوحيد، وفي المدينة عشر سنين إلى الأحكام والشرائع؛ فنقول إن في مكة كان هناك الكفار فكان يحاججهم بالتوحيد، أما المدينة هناك أهل الإسلام ولكن مع إسلامهم إلا أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يأمر بالتوحيد ويحذر من الشرك، وحديث أبي واقد الليثي حينما ذكر أنهم كانوا حدثاء عهد بإسلام فطلبوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يجعل لهم ذات أنواط فقال -صلى الله عليه وسلم-: «الله أكبر لقد قلتم كما قال بنوا

إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة»، فعلمهم -صلى الله عليه وسلم - التوحيد وعلمهم أن طلبهم ولو لم يكونوا ينوون الشرك إلا أن طلبهم هذا خطأ، فأنكر عليهم -صلى الله عليه وسلم- وهذا بالمدينة بعد هجرته من مكة .

وكذا أيضا كما مر معنا مرارا وتكرارا قوله -صلى الله عليه وسلم-: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وهذا قبل موته - عليه الصلاة والسلام -.

قال: «أخذ على هذا عشر سنين و توفي - صلوات الله وسلامه عليه - ودينه باق»

توفي - صلى الله عليه وسلم -بعد أن بلَّغ هذا الدين بلاغا تاما كاملا لا نقص فيه، وكان - صلى الله عليه وسلم - يقول في حجة الوداع: «ألا هل بلغت اللهم فاشهد» ويكرر هذا - عليه الصلاة والسلام -، فما مات - عليه الصلاة والسلام - إلا وقد بلغ جميع ما أمره الله -عز وجل - به والله -عز وجل -كما قال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ودينه -صلى الله عليه وسلم- دين باق».

لماذا؟

لأنه آخر الأنبياء -عليه الصلاة والسلام- والرسل فلا نبي بعده ولا رسول و«العلماء ورثة الانبياء» يسوسون الناس ويهدونهم إلى الحق.

ولكن العلماء -كما مر معنا سابقا- هم علماء الحق، هم العلماء الذين يعلمون ويعملون على تقوى ونور من الله بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

فدينه -صلى الله عليه وسلم- باق؛ «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم»؛ وهذا بخلاف الأديان السابقة، فهي ليست باقية؛ لأنها منسوخة، والأنبياء فيما سبق يرسلون إلى أقوامهم خاصة، والنبي -صلى الله عليه وسلم-أرسل إلى الناس كافة، إلى الناس وإلى الجن أرسل إلى الثَّقلين -صلى الله عليه وسلم-، فدينه باقٍ إلى أن يشاء الله -عز وجل -؛ «يرفعه من الأرض حتى لا يعرف الناس من دينهم إلا كلمة الله الله ثم تقوم الساعة على شرار الخلق».

يقول الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها عنه فأكمل الله له الدين فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقصر؛ فالخير كل الخير فيما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- والشر كل الشر فيما خالف أمره -صلى الله عليه وسلم -».

وفي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم -يعني يخوفهم- شر ما يعلمه لهم»، وكان أبو الدرداء وغيره من الصحابة يقولون: ما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وما من طائر يقلب جناحيه إلا وذكر لنا منه علما».

وأيضا كان الصحابة يقولون إن النبي -صلى الله عليه وسلم- دلنا على خير ما يعلمه وحذرنا من شر ما يعلمه في آثار عن الصحابة في ذلك.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «ولا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها عنه فأكمل الله له الدين».

هذا من الشيخ -رحمه الله تعالى- بيان بديع وفيه فائدة عظيمة ورد لشبهة وعمل باطل، ما هو؟

هو رد للبدع والضلالات والمحدثات فديننا كامل لسنا بحاجة إلى زيادة، أنت يا من تأتي بتلك البدعة وتتقرب بها إلى الله ألا تكتفي بما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم-.

هل طبقت ماجاء به النبي -صلى الله عليه وسلم -؟

وبقي عندك وقت أو بقي عندك فراغ للعمل فتحدث وتبتدع بدعة جديدة؛ إن هذه البدع والمحدثات هي من الشر وهي من الأمور التي حذرنا منها النبي -صلى الله عليه وسلم -فقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكثر من قول فإن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى -الطريقة والدين- وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها -كل أمر مخترع جديد- محدث جديد هو من شر الأمور.

قد يقول قائل هذا أمر جديد ولكن فيه خير للناس نقول لا اسمع إلى ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة»، **النبي- صلى الله عليه وسلم- حكم على المحدثات -على جميع المحدثات- بأنّها بدع،** قد يقول قائل: هذه البدعة الناس يحتاجون إليها، نقول له اسمع إلى ما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: «وكل بدعة ضلالة»، ما في بدعة فيها خير أبدا، لا خير في البدع، بل البدع انحراف وضلال عن الصراط المستقيم، وأنا أقول لك قولا يا عبد الله وأقول لك قولا يا أمة الله:

اعلموا جميعا -بارك الله فيكم- أننا إذا فعلنا وطبقنا ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- من خير؛ كان له -صلى الله عليه وسلم - من الأجر مثل أجورنا، و إذا فعلنا البدعة و اشتغلنا بالبدع:

فإننا **أولاً**: لا نؤجر بل نأثم.

ثانياً: لا يصل للنبي -صلى الله عليه و سلم- أي أجرٍ من هذه البدع.

و لذلك يقول ابن القيم الجوزية: «إن أهل البدع قُطّاع طريقٍ من وصول الأجر و الثواب» إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فإذا كُنَّا نُحب النبي -صلى الله عليه و سلم- هل نفعل البدع؟!! هل نقع في البدع؟!! لا، **إذا كنا نحب النبي -صلى الله عليه و سلم- نتبع سنته و نتبع هديه،** ليصل للنبي -صلى الله عليه وسلم- جميع أجورنا و جميع الثواب الذي نعمله حين نطبق سنته -صلى الله عليه و سلم-.

لذلك الشيخ رحمه الله تعالى قال لنا: «لا خير إلا دلَّ الأمة عليه»؛ و لكن من يقول هناك أمور بدع و محدثات فيها خير و فيها نفع للأمة، نقول لا، لا نفع في البدع و المحدثات.

«ولا شر إلا حذرها منه»؛ فإنّ المحدثات كلها من البدع و الضلالات، يقول -صلى الله عليه و سلم-: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

لماذا، لماذا نقول برد البدع كلها؟!! كما سبق.

ثم قال الشيخ: «فأكمل الله به الدين».

لأننا نقول بأن الدين كامل، و لذلك الإمام مالك رحمه الله تعالى إمام دار الهجرة ماذا يقول؟

يقول: (من ابتدع بدعة فقد اتهم النبي -صلى الله عليه و سلم- بالخيانة) بخيانة ماذا؟! بأنه لم يُبَلِّغ كل الدين، و حاشاه -صلى الله عليه و سلم- من الخيانة، فقد أكمل جميع الدين و أخبر به -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم-، و إنما ذلك الشيطان و هوى النفس و الانحراف عن الحق.

و لذلك عباد الله، و يا إماء الله احذروا، احذروا، احذروا من البدع و محدثات الأمور، و الزموا سنة نبيكم -صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَ سَلَّم- تفلحوا، فإن **البدع شر و تقود إلى الضلال و الانحراف عن الحق.**

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «و الخير الذي دلّها عليه التوحيد و جميع ما يحبه الله و يرضاه».

يعني هذه العبادة، فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة و الباطنة، ولكن هذه العبادة لا تسمى عبادة إلا إذا توّفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص لله -عَزَّ و جَلْ-؛ من عدم الشرك، و عدم الرياء، و عدم السمعة، و عدم العمل لأجل الدنيا، إنما العمل لله -عَزَّ و جَلْ-، نطلب من الله -عَزَّ و جَلْ- الثواب.

و الشرط الثاني: المتابعة لسنّة النبي -صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم-؛ فمن عمل على خلاف سنّة النبي -صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم- لا يُقبل منه.

ما الدليل؟

قوله -صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم-: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، «و من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد».

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «و الخير الذي دلّها عليه - أي دلَّ الأمة عليه- التوحيد، و جميع ما يحبه الله و يرضاه».

ما يحبه الله و يرضاه، من جاء به؟

الرسول ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، يقول -صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم-: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله».

قال -رحمه الله تعالى-: «والشَّر الذي حذرها منه الشرك، و جميع ما يكرهه الله و يأباه».

و قد مرَّ معنا بيان ما يتعلق بالشرك، فإن الشرك قد حرّمه الله -عَزَّ و جَلْ-، و توعَّد أصحابه الذين يموتون على الكفر أو على الشرك الأكبر الخلود في النار و عدم المغفرة لهم، و جميع ما يكرهه الله -عَزَّ وجَلْ- لا شك أنه من الشر؛ فكل أمر بيّن النبي -صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم- أنه من المحرمات و أنه من الأمور التي لا يجوز للمسلم فعلها فهو شر عليهم.

و لذلك لابد أن تتيقن يا عبد الله أن الله -عز وجل- و رسوله -صلى الله عليه و سلم- إذا حرّم أمراً فإنما حرمه لما فيه من الضرر الخالص أو الضرر الراجح عليك يا عبد الله، فلا تظن أن أمراً محرّماً لك فيه خير، بل كل الشر و الشر في الأمور المحرمات، و أعظم المحرمات الشرك، و لذلك ينبغي للمسلم أن يعود نفسه على هذا الأمر، أن يعلم أن الشر في الشرك و أن الشر في الأمور المحرّمة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: «بعثه الله إلى الناس كافة –و هذا من خصائصه –صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم– أرسله الله إلى الناس كافة، إلى من كان في عصره و من بعده إلى أن تقوم الساعة».

هو رسول –صَلَّى الله عَلَيهِ وَ سَلَّم– لهم جميعا، فلا يأتي أحد يقول أنا لست من أمة محمد، والعلماء يقولون **أمة محمد قسمان**:

* **أمة دعوة:** أي الذين بلغتهم دعوته –صلى الله عليه وسلم–وإن لم يؤمنوا به، إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه.

* **وأمة إجابة**: وهي نحن المسلمون المؤمنون المحسنون على طبقاتنا، نحن أمة إجابة، أي استجبنا لدعوته –صلى الله عليه وسلم– فآمنَّا ودخلنا في هذا الدين.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «بعثه الله إلى الناس كافة».

أقول و أيضاً بعثه إلى الجن.

قال: «و افترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن و الإنس، و الدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾».

و هذا واضح في الدلالة.

قال: «و كمّل الله به الدين، و الدليل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فهذا من الله -عزّ وجل- بيان واضح و إعلامٌ بأنّ الدين قد اكتمل، و أن الله -عزّ وجل- أتمّه علينا و أنه رضي هذا الدين لهذه الأمة».

و في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ردٌ على الجماعات و على الأحزاب و على كل صاحب دعوة لا توافق دعوة النبي -صلى الله عليه و سلم-، هؤلاء يقولون نحن ندعوا الناس في هذا العصر بطريقة جديدة، لحاجة الناس فنقول لهم الله -عز و جل- يقول: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ .

ما الإسلام؟

هو سنة النبي -صلى الله عليه و سلم- و هديه و طريقته وما جاء به عن الله-عزّ و جل-، فما كان يومئذ دينا فهو اليوم دين، و مالم يكن يومئذ دينا فليس اليوم بدين، فلذلك الشيطان يغوي هؤلاء، و إن سمّوا أنفسهم بالدعاة، و إن سمّوا أنفسهم بأنهم مبلغين عن الله، فإن كل من لم يسلك الطريق النبوي و الهدي النبوي و ما كان عليه سلف الأمة في الدعوة إلى الله فإنه ضل و انحرف.

و لذلك انظروا عباد الله إلى قوله -عزّ وجل- في السورة العظيمة التي نقرؤها في كل صلاة، بل في كل ركعة من كل صلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (٧) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي صراط محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما كان عليه أصحابه الكرام، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ﴾ غير طريقة اليهود، الذين علموا الحق فخالفوه وعملوا بخلافه، ﴿وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ أي النصارى الذين عملوا بأهوائهم ولم يعملوا بعلم، فتزهدوا وتقشفوا ولكن ضلوا وانحرفوا، إذ لم يعملوا بالعلم، ولذلك قال سفيان: «من ضل من علماء هذه الأمة أشبه اليهود»، لأنه عمل بخلاف ما علم، وهذه الدعوات التي تعمل بخلاف هدي النبي –صلى الله عليه وسلم –لا شك أنها أشبهت اليهود الذين عملوا بخلاف ما علموا وحرفوا وبدلوا، ومن ضل من عباد هذه الأمة أشبه النصارى الذين عبدوا الله على غير علم.

فإذًا الشيخ –رحمه الله تعالى– بين هذا الأمر بيانا واضحا، إذًا الله–عز وجل –قال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فاحذر يا عبد الله من طريق اليهود، ومن طريق النصارى فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد حذرنا من سلوك طريقتهم.

قال الشيخ –رحمه الله تعالى–: «والدليل على موته –صلى الله عليه وسلم– قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾، خطاب للنبي –صلى الله عليه وسلم–، فهذا من الله إخبار وإعلام له –صلى الله عليه وسلم– ولنا نحن أن محمدا –صلى الله عليه وسلم– بشر لن يخلد في الأرض سيموت –عليه الصلاة والسلام–، وقد مات و دفنه أصحابه –رضي الله عنهم– .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يموت، **فلا يجوز لمسلم يعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حي موجود،** كما يعتقد أصحاب الموالد أنه يحضر وله الحضرة في تلك الليلة وأنه يحضر عندهم.

فلا شك أن هذا كذب وافتراء، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم-قد مات ودفن في قبره -عليه الصلاة والسلام-.

وقد بلَّغ هذا الدين وأكمله أكمل بيان -عليه الصلاة والسلام-

﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: يعني سنموت وسنجازى على أعمالنا، ولذلك على العبد وعليك يا أمة الله أن تتذكرا هذا الأمر؛ أننا في هذه الحياة لن نخلد فيها، لن نعيش فيها أبدا، بل سيأتي يوم نموت فيه، والله أعلم بهذا اليوم، **فليكن كل واحد منا مستعدا لهذا اليوم وتلك الساعة،** وإذا متنا فلن نموت وينتهي الأمر، بل سنبعث ونجازى على أعمالنا، إن خيرًا فخيرا وإن شرًا فشرا.

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلني وإياكم ممّن حسن عمله وأسأله-سبحانه وتعالى- أن يبعدنا عمن ساء عمله.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل على موته -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾».

فمعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ أي فيما حصلت فيه المنازعة، وفيما حصل فيه الخلاف، فيفصل بينكم بحكمه العادل ويجازى كل بعمله وينتصر للمظلوم ويقتص من الظالم فإن الله -عز وجل- قال كما في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا».

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والناس إذا ماتوا يبعثون».

يعني لا يموتون فيصيرون ترابا وتنتهي المسألة، ولكن هناك البعث بعد الموت، لَمَّا ينفخ إسرافيل -عليه السلام- نفخة البعث يحيى الناس ويبعثون من قبورهم.

قال: «والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾»

فقوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي من الأرض فالله -عز وجل- خلق أبانا آدم من تراب، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ أي في الأرض إذا متنا ندفن في هذه الأرض في القبور، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾أي من الأرض نخرجكم بعد أن صرتم ترابا﴿نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ يعني مرة أخرى، فنبعث من قبورنا ونحيا ليوم الفصل قال وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ فهذا دليل على البعث بعد الموت.

قال: «وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾»

لماذا يقول المصنف هذا الكلام أن بعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ لماذا يقول؟!!

يقول هذا الكلام حتى نكون مستعدين لذلك اليوم، يقول هذا الكلام حتى لا يظلم بعضنا بعضا ولا يؤذي بعضنا بعضا، وأن نتَّقِي ظلم الناس، وأن نتَّقي معصية الله -عز وجل-، وأن نفعل الطاعات من واجبات وأوامر شرعية، وأن نبتعد عن المنهيات والمحرمات، لأننا محاسبون ومجزيون على كل أمر نعمله، يقول الله -عز وجل-:﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ فهذا دليل على أن المرء يحاسب على جميع عمله، وأيضا قوله تعالى:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

يقول الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل قوله تعالى:﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾».

كما سبق، ثم قال: «ومن كذب بالبعث كفر؛ لأن البعث يكون في اليوم الآخر، واليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، فمن كفر وكذب بالبعث وقال إننا لن نبعث بعد الموت فهذا كافر».

ما الدليل؟

قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، **فمن أنكر البعث وكذب به فإنه مكذب بالقرآن ومكذب بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأنكر أمرا معلوما من الدين بالضرورة**، فهؤلاء الكفار كفروا بتكذيبهم بالبعث، والله -عز وجل- ذكر لنا في مواضع في القرآن أن الكفار أنكروا البعث، ولذلك ما يعرف اليوم بحزب البعث قد أفتى الشيخ بن باز -رحمة الله عليه- وغيره من أهل العلم بأنهم كفار.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين».

مبشرين بالخير والثواب، ومنذرين بالتخويف والتهديد فالله -عز وجل- أرسل الرسل -صلوات ربي وسلامه عليهم جميعا- أرسلهم مبشرين ومنذرين؛ مبشرين بالخير والثواب لمن طاع الله وبالجنة لمن وحد الله -عز وجل-، ومنذرين بالنار لمن عصاه ومن كفر أو أشرك به -سبحانه وتعالى-.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والدليل قوله تعالى:﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾».

فالله -عز وجل- بإرسال الرسل قد قطع العذر عمن بلغته دعوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأما من لم تبلغه فإن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وهؤلاء من أهل الفترة الذين يُمتحنون يوم القيامة، أعني الذين لم تبلغهم دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال -رحمه الله-: «وأولهم نوح أي أول الرسل نوح -عليه السلام- لَـمَّا حدث الشرك في قومه أرسله الله -عز وجل- ليبين لقومه أن هذا شرك فينذرهم من عقوبة الشرك، ويبين لهم التوحيد»

قال: «وآخرهم محمد -صلى الله عليه وسلم-».

ما الدليل؟

قال: والدليل على أن أولهم نوح -قوله تعالى- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾.

قال: «وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام-» أي على نوح ومحمد، وجميع الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

قال: «يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي أرسلنا في كل أمة في كل قوم رسولا، رسولا إليهم.

ماذا يقولون لهم؟ وإلى ماذا يدعونهم؟ إلى عبادة الله فقط؟ يعبدون الله فقط؟

لا؛ واجتنبوا الطاغوت، ابتعدوا عن الأصنام والآلهة والكفر، فلذلك -كما سبق- **أن الأمر بالعبادة وبالتوحيد مستلزم أيضا للنهي عن الشرك،** لابد أيضا من اجتناب الشرك، والبراءة منه.

ولا إله إلا الله: فيها إقرار للألوهية لله، وكفر بألوهية غير الله -عز وجل-.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله».

افترض: بمعنى أوجب الله -عز وجل- على جميع العباد، على جميع المسلمين، وعلى جميع الناس، أوجب عليهم الله -عز وجل- أن يكفروا بالطاغوت والإيمان به -سبحانه وتعالى-، فليس فقط أن يؤمنوا بالله، ويعتبروا هذه الطواغيت حق، وليست بكفر ولا مانع منها؛ هذا خطأ.

ما الطاغوت؟

قال الشيخ -رحمه الله-؛ مبينا معنى الطاغوت: «قال ابن القيم -رحمه الله-: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

فكل ما تجاوز به العبد حده من معبود مع الله -عز وجل- بأي أنواع العبادة، أو متبوع يعني مثل الذين يتبعون علماء السوء، الذين يدعون إلى الكفر

والضلال والشرك، وكذلك الكهنة والسحرة ونحو ذلك، أو مطاع يعني يطاع في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله –عز وجل– .

وهذه هي الطواغيت الثلاث التي دلت النصوص الشرعية على أن ما جاوز فيه العبد حده في معبود أو متبوع أو مطاع هو طاغوت.

ثم قال: «والطواغيت كثيرون».

يعني ليس واحد أو اثنان أو ثلاث، كل من اتّصف بهذه الصفات التي سبق ذكرها فإنه يوصف بهذا الأمر.

قال: «والطواغيت كثيرون ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادّعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله».

هذه هي الطواغيت الخمسة أو رؤوس الطواغيت.

ومعنى كونها رؤوس بمعني أبرزها وأظهرها ويعني مرجعها إلى هذه الخمسة.

فإبليس وكلنا يعلم حاله، وطاغوتيته، وشره وأن الله –عز وجل– لعنه وطرده من الجنة وتوعده بالعقاب الأليم يوم القيامة فهو ملعون رجيم.

ومن عُبد وهو راض يعني الشخص الذي يعبده الناس وهو راض بذلك، بمعنى لا ينكر عليهم، ولا يتبرأ منهم بل يقرهم، فإقراره لهم يجعله من الطواغيت، لذلك الأنبياء والرسل والملائكة يتبرؤون من هؤلاء.

والثالث: من الطواغيت من دعا الناس إلى عبادة نفسه.

والفرق بين هذا والذي قبله، أن الذي قبله لا يدعوا إلى عبادة نفسه ولكن الناس من تعظيمهم له يكسبونه صفات الربوبية فيصرفون له أنواع من العبادات وهو راض فرضاه سبب في كونه طاغوتا وأما الثالث هذا فهو يدعو الناس إلى عبادة نفسه كما فعل فرعون حين دعا الناس إلى عبادة نفسه حين قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ وأيضا من الطواغيت.

وهو الرابع: من ادّعى شيئًا من علم الغيب فإن علم الغيب خاصٌ بالله –عز وجل– ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فالله–عز وجل– هو عالم الغيب والشهادة فمن ادعى علم الغيب فلا شك أنه من الطواغيت.

والخامس: من الطواغيت من حكم بغير ما أنزل الله؛ من حكَّم القوانين الوضعية أو الجاهلية التي ليست من شرع فهو طاغوت كما قال الله –عز وجل– ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ولكن هنا لا بد أن نبين أن العلماء بينوا أن الحكم بغير ما أنزل الله على قسمين:

❋ القسم الأول: كفر مخرج من الملة؛ الأول من اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله أفضل من حكم الله فهذا كفر، والصورة الثانية: من اعتقد أن حكم غير ما أنزل الله مساوٍ لحكم الله هذا كفر، من اعتقد أن الحكم بغير ما أنزل الله جائز مثل الحكم بما أنزل الله فهذا أيضًا كفر، هذا القسم الأول.

❋ أما القسم الثاني: من حكم بغير ما أنزل الله وهو مقر بأن حكم الله هو الواجب، وأنه آثم وأن حكم الله أفضل، فهذا كفر دون كفر لا يخرج من الملة، كما قال ذلك ابن عباس –رضي الله عنهما –وعن جميع صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

فالشيخ –رحمه الله تعالى– حين ذكر هذا الطاغوت الخامس وهو من حكم بغير ما أنزل الله يعني معتقدًا أن حكم غير ما أنزل الله أفضل أو مساوٍ أو جائز.

قال والدليل قوله تعالى: «﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾».

فالله –عز وجل– بين أنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، من أراد أن يسلم فليسلم ومن أراد أن يكفر فليكفر، فإن أسلم فلنفسه وإن كفر فعليها، ولكن من كفر فإنه يدعى إلى الإسلام، فإن أبى فالجزية، فإن أبى فالقتال مع ولي الأمر، ومن اختار الكفر فكفره على نفسه، يضر نفسه ولذلك الله –عز وجل–قال: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ الدين ظاهر، الحق واضح فلا يُكره الناس على الدخول في هذا الدين.

ونحن نرى بحمد الله أن كثيرًا من الكفار ومن أهل الكتاب يسلموا ويدخلون في هذا الدين، وهذا من الأدلة على صدق نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن رسالته من عند الله -عز وجل-.

ولكن ليس في هذه الآية ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أن المسلم له أن يرتد وله أن يختار النصرانية كما يقول أهل البدع والضلال، ومنهم طارق السويدان الذي يقول أن المسلم له الخيار أن يكفر.

نقول لا.

إذا أسلم ثم كفر فهو مرتد، فيقام عليه حكم الردة، ولكن إن اختار الكفر قبل أن يسلم فإننا لا نكرهه على الإسلام، وأما إن دخل في الإسلام فإن حديث النبي -صلى الله عليه وسلم-واضح جدًا: «من بدل دينه فاقتلوه».

فإذًا ليس المراد بالآية لا إكراه في الدين أن من كان مسلمًا له الخيار بالكفر هذا باطل من القول.

قال: «﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي الحق من الضلال والإسلام من الكفر، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي استمسك بالتوحيد».

متى يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله توحيد بالله وكفر بالطاغوت؟!!

قال الشيخ رحمه الله تعالى: «وهذا هو معنى لا إله إلا الله».

ما هو هذا المشار إليه؟

الإيمان بالله والكفر بالطاغوت هو معنى لا إله إلا الله.

«لا إله» كفر بالطاغوت، «إلا الله» إيمان بالله، قال وفي الحديث: «رأس الأمر الإسلام»، ومعنى الحديث أن الإسلام هو رأس الدين وهو أعلاه، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول: «رأس الأمر الإسلام» والإسلام كما مر معنا يقع بالشهادتين وبقية الأركان، لما ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- أركان الإسلام، ومرّ معنا أن الإسلام هو الاستسلام لله -عز وجل- بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص والبراءة من الشرك وأهله،فهذا هو الإسلام.

قال: «وعموده الصلاة»، أي أن الصلاة لها مكانتها، عمود هذا الدين الصلاة، ولها مكانتها، والصلوات الخمس مفروضات واجبات على المسلم أن لا يخل بها، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بين الرجل والشرك أو الكفر ترك الصلاة»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، فمن أنكر وجوب الصلاة فقد كفر إن كان مثله لا يجهل وجوبها، وأما من ترك الصلاة تهاونًا وتكاسلاً فلأهل السنة قولان منهم من يكفره، ومنهم من لا يحكم بكفره.

عباد الله إن مسألةً يقال فيها كفر وعدم كفر ينبغي للمرء أن يحرص كل الحرص أن يجتنب مثل هذه المسائل، فيؤدي الصلاة في أوقاتها وبأركانها وبشروطها

وواجباتها ويحافظ عليهن ولا يتكاسل عن أداء الصلاة، ولو قال بعض أهل العلم بأنه لا يكفر تاركها تهاونًا وكسلاً.

فإن الواجب على المسلم أن يحافظ على هذه الصلوات، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم - قد أخبر أن أول ما يحاسب عليه المرء من عمله الصلاة؛ فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله وإن فسدت قيل له هل من تطوع؟ إلى آخره أو كما قال عليه -الصلاة والسلام-.

فإذًا هنا الحديث يقول وعموده الصلاة قال: «وذروة سنامه - يعني أعلاه وأرفعه والسنام من البعير أعلاه فذروة سنام هذا الدين - الجهاد في سبيل الله».

وقد مر معنا بالأمس القريب ما هو الجهاد الذي يكون في سبيل الله، وأن ليس كل من ادعى أنه يجاهد في سبيل الله أنه مجاهد في سبيل الله.

وبيَّنا أن داعش والنصرة وتنظيم القاعدة وأنصار الشريعة وغيرهم من الجماعات كالسلفية الجهادية المسلحة وغيرهم من الجماعات ليسوا من الإسلام في شيء ليسوا من الجهاد الشرعي في شيء، بل هم في سبل الشيطان المتفرقة عما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم- فالتكفير والتفجير والقتل للأبرياء الإسلام منه بريء.

والشيخ -رحمه الله تعالى - ختم بهذا الحديث للدلالة على أهمية الإسلام وأنه رأس هذا الدين، وللدلالة على أهمية الصلاة بأنها عمود هذا الدين وبالدلالة على أهمية الجهاد في سبيل الله وأنه ذروة سنامه.

وأيضًا إذا ذكر الشيخ الجهاد في سبيل الله فينبغي أيضًا أن نعلم أمرًا مهمًا وهو أن الجهاد في سبيل الله ليس فقط بقتال الأعداء، هناك أيضًا جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد العدو الخارجي، فينبغي أن نحرص على جهاد النفس بإلزامها بطاعة الله -عز وجل- وإبعادها عما يغضب الله -عز وجل - ويسخطها، فإن هذا من الاستعداد الذي أمرنا الله -عز وجل- به ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾، فإن الجهاد بالسلاح يحتاج قبله إلى جهاد النفس وإلى تهذيبها على طاعة الله -عز وجل - وتربيتها على ذلك وإبعادها عن الشرك والكفر والمعاصي والذنوب، إذ كيف نقاتل العدو الخارجي ولم نتغلب على العدو الداخلي.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- في زاد المعاد أنواع الجهاد الأربع. فإذًا بعض الناس لا يفهم من الجهاد إلا قتال العدو، لذا تجد هؤلاء لم يجاهدوا أنفسهم على السنة، وتجدهم يقعون في الضلالات وفي المنكرات، فهؤلاء لم يفلحوا بجهاد أنفسهم فكيف يفلحوا بجهاد غيرهم وهؤلاء نراهم على البدع والضلالات وعلى الأمور المخالفة لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم -.

قال الشيخ -رحمه الله تعالى-: «والله أعلم وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

ختم رسالته هذه وهي رسالة عظيمة مفيدة مهمة يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة بالصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله -عز وجل -أن ينفعنا بما سمعنا، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا، وأسأله -سبحانه وتعالى -أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.

وإن شاء الله -عز وجل- في اللقاء القادم ستكون هناك مراجعة كاملة للأصول الثلاثة مع ذكر بعض الأمور المتعلقة بهذه الرسالة.

أسأل الله -عز جل- لي ولكم الثبات على الحق وأن يجعلنا من أهل التوحيد والسنة الداعين إلى ذلك والذابين عنهما.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

مَعْهَدُ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

اسْمُ الْمَادَّةِ

الْعَقِيدَةُ

الدَّرْسُ التاسع مِنْ:

شَرْحِ (الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ وَأَدِلَّتُهَا)

مُؤَلِّفُ الْمَتْنِ:

الْإِمَامُ الْمُجَدِّدُ/مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ –رَحِمَهُ اللهُ–

اسْمُ الشَّارِحِ:

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكْتُور/أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بَازمُول –حَفِظَهُ اللهُ–

تَحْتَ إِشْرَافِ:

فَرِيقِ عَمَلِ مَعْهَدِ الْمِيرَاثِ النَّبَوِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنْ الحَمَدَ للهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيْئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ وَمَنْ يُضْلِل فَلاَ هَادِيَ لَه وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ مُحَمْدا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ.

أَلاَ وَإِنْ أَصْدَقَ الْكَلاَم كَلاَمُ اللهِ وَخَيْرِ الهَدْىَ هَدْىُّ مُحَمَّدٍ وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ وَكُلّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فمن فضل الله عز وجل ومنَّتِه علينا أن منَّ علينا أن انتهينا من هذا الكتاب، ومن هذه الرسالة العظيمة «الأصول الثلاثة وأدلتها» لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى-، وفي هذه الليلة نتذاكر إن شاء الله سوياً هذه الأصول الثلاثة من أولها إلى آخرها على وجه المراجعة، والمذاكرة، والتثبيت للحفظ، والتأكيد للمعاني.

وأيضاً إن شاء الله في نهاية هذا اللقاء سأُملي عليكم الإسناد المتصل إلى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى- برواية هذه الرسالة.

كما إن شاء الله سنحدد الرسالة الأخرى التي سنتدارسها في اللقاء القادم بإذن الله تعالى.

وإني لأحمد الله- عز وجل- على توفيقه لنا جميعاً في هذه المدارسة، وفي هذه اللقاءات التي نتذاكر فيها العلم الشرعي على نهجٍ واضح، نهج السلف الصالح- رضوان الله عليهم أجمعين-، فإن المرء حينما يتذاكر مع إخوانه، وينشر العلم بين المسلمين، وحين يحضر المرء حلق العلم، لاشك بإذن الله تعالى أنه في خير عظيم، وفي نعمة من الله عظيمة، عليه أن يشكر الله- عز وجل- أن يسر له مثل هذه الأمور، فالشكر لله- عز وجل- على تيسير نشر العلم ومدارسته ومذاكرته مع إخواننا وأخواتنا في مشارق الأرض ومغاربها.

ونحن إذ نَذْكُرُ إخواننا وأخواتنا فليعلم الجميع: أننا في هذا المعهد الرجال مفصولون تماماً عن النساء، فالنساء لهم مجموعاتهم الخاصة بهم.

والرجال لهم مجموعاتهم الخاصة بهم، فليس بين الرجال والنساء اختلاط بفضل الله- تعالى-، ولا نرضى بذلك أبداً.

بل من قواعد وأسس هذا المعهد فصل الرجال على النساء امتثالاً لأمر الله- عز وجل-، وإرغاماً للشيطان، وتطبيقاً لسنة النبي- صلى الله عليه وسلم- ، فالحمد لله على توفيقه في الأقوال والأفعال وفي كل الأمور.

مرَّ معنا- بارك الله فيكم- أن شيخ الإسلام- رحمه الله تعالى- ذكر لنا أنه يجب علينا أن نتعلم أربع مسائل:

* الأولى: العلم، وبيَّن العلم أنه: معرفة الله، ومعرفة نبيه– صلى الله عليه وسلم–، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

* والثانية: العمل به.

* والثالثة: الدعوة إليه.

* والرابعة: الصبر على الأذى فيه بعد الدعوة إليه.

ثم أيضاً بيَّن– رحمه الله تعالى– أنه يجب علينا أن نتعلم ثلاث مسائل:

* الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً من أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

* والثانية: أن الله– عز وجل– لا يرضى أن يُشرك به أحد في عبادته، لاملك مقرب ولا نبي مرسل.

* والثالثة: أن من أطاع الله ورسوله– صلى الله عليه وسلم– ووحد الله، لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

ثم بيَّن– رحمه الله تعالى– ما هي الحنيفية التي هي ملة أبينا إبراهيم– عليه الصلاة والسلام–، فبيَّن أن الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبيَّن– رحمه الله تعالى– أن الله أمر بذلك جميع الناس، وأنه لذلك خلقهم.

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- أن أعظم ما أمر الله به التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك: وهو دعوة غيره معه.

ثم بيَّن الأصول الثلاثة وهي: معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه محمداً- صلى الله عليه وسلم-.

ثم بيَّن لنا عن طريق السؤال والجواب:

❋ من هو الله ؟

❋ من هو الرب ؟

وأنه- سبحانه وتعالى- هو الله الذي ربانا وربى جميع العالمين بنعمه، وأنه هو معبودي ليس لي معبود سواه.

ثم بيَّن كيف يعرف العبد ربه ؟

وبيَّن أن ذلك بآياته ومخلوقاته، وأن الرب- سبحانه وتعالى- هو المعبود، وأن الخالق لهذه الآيات ولهذه المخلوقات هو المستحق للعبادة.

ثم بيَّن أنواع العبادة، وأن منها الإسلام والإيمان والإحسان، ومنها والدعاء، وكل هذه الأنواع من العبادات لا يُصرف منها شيء لغير الله، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر.

ثم بيَّن أدلة هذه العبادات من ذبحٍ ونذرٍ وخوفٍ واستغاثة.

وبيَّن- رحمه الله تعالى- بعد ذلك الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة.

فبيَّن أن الإسلام هو: الإستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

وبيَّن أن الدين ثلاثة مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.

ثم بيَّن أن للإسلام أركانٌ خمسة وهي: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام».

وبيَّن أن معنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله، فـ«لا إله»: نافياً جميع ما يُعبد من دون الله، «إلا الله»: مثبتاً العبادة لله وحد لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه- سبحانه وتعالى-.

ثم بيَّن الإيمان وأنه شُعب، بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

وبيَّن أركان الإيمان الست وهي: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ثم بيَّن الإحسان وأنه ركن واحد، كما جاء في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه»، مراقباً له، خاشعاً له- سبحانه وتعالى- «فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- الأصل الثالث وهو: معرفة نبينا محمداً- صلى الله عليه وسلم- ونسبه، وأنه هاشمي قرشي عربي من ذرية إسماعيل بن إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-، مات عليه الصلاة والسلام وله من العمر ثلاث وستون سنة، أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً، وأنه نُبيء بإقرأ، وأرسل بالمدثر، نُبيء: أي أُخبر بأنه رسول بقوله سبحانه: ﴿ إِقْرَأْ ﴾ ، ثم أُخبر- عليه الصلاة والسلام- وأُمر بإخبار هذه الرسالة بالمدثر، وفيها ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ﴾، بعثه الله- عز وجل- ليقيم التوحيد وينذر من الشرك، ويعلم الناس ما يصلحهم في دينهم ودنياهم، -فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين-.

ثم بيَّن أن النبي- صلى الله عليه وسلم- دعا في مكة ثلاثة عشر سنة، عشرٌ دعا فيها إلى التوحيد، وبعد العشر عُرج به إلى السماء وفرضت الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، ثم أُمر بالهجرة إلى المدينة النبوية.

وهنا ننبه: على لفظة يستعملها بعض الناس، وهي أن بعضهم قد يقول: (المدينة المنورة)، وهذا اصطلاح صوفي! وإنما اصطلاح أهل السنة (المدينة النبوية) أو (مدينة النبي- صلى الله عليه وسلم-)، أما المدينة المنورة فهم يزعمون أن المدينة بها أنوار لقبر النبي- صلى الله عليه وسلم-، فلاشك أن هذا اصطلاح صوفي على المسلم أن يبتعد عنه.

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- أن الهجرة واجبة، وهي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، ومرَّ معنا فيما سبق أن الإقامة في بلاد الكفر بنية التعليم أو

التجارة أو قضاء مصالح لا مانع منها ولو طالت، بشرطها المعتبر؛ من حفظ الدين، وإقامة الشعائر، والبعد عن الفتن، وأن الإقامة الأبدية بمعنى عدم الإنتقال إلى بلاد المسلمين؛ هذه هي التي لا تجوز.

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- لما استقر بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام، ثم أخذ على هذا عشر سنين إلى أن مات- صلى الله عليه وسلم-، وأن دينه باقٍ، وأن ما من خير إلا ودلَّ أمته عليه، وما من شر إلا وحذر أمته منه، وأن الخير الذي دلَّ عليه التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه، وأن هذا الدين كامل ليس بحاجة إلى زيادة ولا إلى نقصان، فليس بحاجة إلى أن نقول هذا ليس من الشرع، وليس بحاجة إلى أن نقول هذا من الشرع.

فالدين دين الله- عز وجل- أرسل به نبينا محمداً- صلى الله عليه وسلم- وقد بلغنا جميع ما أمره الله به، ولم يُقصِّر في شيء- صلى الله عليه وسلم-.

ثم بيَّن أن الناس إذا ماتوا يُبعثون، وأن بعد البعث حسابٌ وجزاء، وأن من كذَّب بالبعث فقد كفر، فعلى الناس جميعاً أن يعلموا هذا الأمر، أن يعلموا أن هناك جزاء، فلا يفتتنوا بالدنيا ولا بزخرفها، ولا مانع أن يستمتع المسلم بالحياة الدنيا بما أحله الله، ولكن الممنوع أن يغفل عن الآخرة، وأن يشتغل بالدنيا، وأن ينسى شرع الله، فيعيش في الدنيا كأنه لايموت أبداً، فيظلم هذا، ويأخذ مال هذا، ويؤذي هذا، فلا شك أن هذه أفعال من لا يخاف الله- عز وجل- ومن لا يَعُدُّ

ليوم الحساب موقفه، فالمسلم عليه أن يتذكر الموقف في ذاك اليوم، وأهوال ذاك اليوم، البعث بعد الموت، البعث من القبور، وأرض المحشر، ويُضرب الصراط على جهنم، بل أهوال القبور يا لها من أهوال!

فعلى المسلم أن يتذكر هذا الأمر، أنه يُجَرّد من ثيابه، ويُحمل فيوضع في هذا القبر، ويلقى حينها الملكين.

فعلى المسلم أن يتدبر هذه الأمور، نعم لا مانع من الاستمتاع بالدنيا بما أحله الله- عز وجل- مع الإتيان بما أمر الله- عز وجل-.

ولكن للأسف الشديد قد نجد من بعض المسلمين من الاعتراض على شرع الله- عز وجل- فيرفض الحجاب، وينكره على زوجته أو على بناته وأخواته و والله كم جاءت الأسئلة تسأل بعض النساء: زوجي يرغمني ويغصبني على خلع الحجاب! والأخرى بنت تشتكي من أبيها: أنه يطردها ويتهددها بالطرد لكونها تتحجب!

فوالله هذا من الأمور التي تُحزن القلب وتُدمي والله.

فعلى المسلم أن يطبق شرع الله- عز وجل- وأن يحمد الله أن وُفق بنساءٍ صالحاتٍ يردن شرع الله- عز وجل-، وهو هو في نفسه عليه أن يراقب الله في أفعاله.

إلى متى ستعيش؟

ستموت وتدخل القبر، وتأتي يوم القيامة وتُسئل عما تفعل مع أبناءك وبناتك من شر، وتُسئل عما تفعل مع زوجاتك من شر، وتُسئلي أنت يا أمة الله إن خالفتي شرع الله- عز وجل- فأعدي لذلك اليوم ولذلك الموقف أعدي له جواباً.

أسأل الله عز وجل أن يحفظني وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أرسله الله إلى الإنس والجن مبشراً ومنذراً، وأن أول الرسل نوح- عليه الصلاة والسلام-، وأن آخرهم محمداً- صلى الله عليه وسلم- فلا نبي بعده.

وأن الله- عز وجل- أرسل كل رسول إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت.

ثم بيَّن أن الله افترض علينا أن نكفر بالطاغوت، وأن نؤمن به- سبحانه وتعالى-.

وبيَّن أن الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وأن الطواغيث كثيرة، ورؤوسهم خمسة، أولهم: إبليس، ومن عُبد وهو راضٍ- هذا الثاني، والثالث: من دعا الناس إلى عبادة نفسه، والرابع: من ادعى شيئاً من علم الغيب، والخامس: من حكم بغير ما أنزل الله.

وبيَّنّا تفاصيل هذه المسائل.

ثم بيَّن- رحمه الله تعالى- أن رأس الأمر كما في الحديث الإسلام، وأن عموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.

وبهذا نكون قد انتهينا من مراجعة هذه الأصول الثلاثة، وهي أصول كما سبق معنا أصول نافعة، ولا مانع أن أذكر بعض الفوائد والقواعد من هذه الأصول الثلاثة باختصار:

فمن القواعد:

❋ أنه لا بد من العلم قبل القول والعمل، وأن العمل هو ثمرة العلم، فعلم بلا عمل وبالٌ على صاحبه.

❋ وأن الدعوة إلى الله- عز وجل- بعد العلم والعمل لابد أن يوطن المرء نفسه على الصبر على الأذى.

ثم أيضاً ومن القواعد:

❋ معرفة المسائل الثلاثة، فيما تتعلق بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ومسألة الولاء والبراء.

ومن الفوائد:

❋ أن الحنيفية هي أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين.

❋ ومن الفوائد: أن الله أمر جميع الناس، أمرهم بذلك، وأن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، والتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، والشرك هو دعوة غيره معه.

❋ والأصول الثلاثة هي: معرفة العبد ربه، ومعرفة العبد دينه، ومعرفة العبد نبيه محمداً- صلى الله عليه وسلم-.

❋ ومن الفوائد: أن الدليل هو الحجة والبرهان في المسائل ولو كانت المسائل ظاهرة، فلابد من الدليل.

❋ ومن الفوائد: التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى-: أن الله- عز وجل- هو الخالق الرازق، وأنه عرَّفنا بنفسه بالآيات والمخلوقات، وأنه هو المستحق للعبادة.

❋ ومن الفوائد: أن العبادات متنوعة، وأن جميع العبادات لا تُصرف إلا لله- عز وجل-.

❋ ومن الفوائد: التي ذكرها الشيخ- رحمه الله تعالى-: أن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، (لاإله) نافية، و(إلا الله) مثبتة للعبادة لله- عز وجل-.

❋ ومن الفوائد: أن الأدلة تتنوع من الكتاب والسنة، وأن المسلم يتفقه في ذلك، ولا تمر عليه الآيات والأحاديث وهو غافل عنها، فالشيخ- رحمه الله تعالى- كان يستبط الدقائق من هذه الأدلة.

❋ ومن الفوائد: أن الإيمان شُعَب، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

❋ ومن الفوائد: أن العمل جزء من الإيمان.

❋ وأيضا من الفوائد من هذه الرسالة: محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- ، محبته لله وفي الله، وأن محبة الرسول- صلى الله عليه وسلم- لذاته هي محبة شركية لا تجوز.

❋ وأن محبة النبي- صلى الله عليه وسلم- مع الله أيضاً محبة شركية لا تجوز!

❋ فالنبي- صلى الله عليه وسلم- نحبه لأن الله أخرجنا به من الظلمات إلى النور، وأنه أنار لنا الطريق بسنته وشرعه- عليه الصلاة والسلام-.

❋ وأيضا من الفوائد: معرفة وجوب الهجرة، وعدم جواز الإقامة في بلاد الشرك بنية الإقامة الأبدية.

* ومن الفوائد: الاطلاع على شرعه- عليه الصلاة والسلام-، وكيف أنه قرر التوحيد أولاً، ثم بعد ذلك قرر الأحكام الشرعية والتوحيد أيضاً، فشرعه- عليه الصلاة والسلام- من أوله إلى آخره كله مبني على التوحيد.

* ومن الفوائد: أن الدين كامل، ليس بحاجة إلى نقص ولا إلى زيادة، فالزيادة بدعة وضلالة، والنقص انحراف عن الحق وروغان وزيغان عنه.

* وأيضاً من الفوائد: أننا نموت، وأننا نبعث ونحاسب، وأن إنكار البعث والتكذيب به كفرٌ مخرج من الملة.

* ومن الفوائد: أن الله- عز وجل- أرسل جميع المرسلين بالتوحيد، فالتوحيد مهم وعظيم، والشرك خطير وظلال مبين، فعلى المرء أن يعود نفسه على هذا الأمر.

* ومن الفوائد: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، هو كما قال الله- عز وجل-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وأيضا العروة الوثقى وهي: التوحيد، تحصل بالإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما مرَّ معنا.

* من الفوائد أيضا: الطاغوت ما هو؟ كل ما جاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، وبيَّن الطواغيت الخمسة وهي: الشيطان، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا إلى عبادة نفسه، ومن ادعى علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله وهو معتقد جوازه، أو أنه أفضل، أو أنه مساوٍ لحكم الله.

* ثم أن الإسلام رأس الأمر، وأن الصلاة عمود هذا الدين، وأن الجهاد ذروة سنامه.

إذاً هذه جملة من الفوائد والقواعد التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى-.

وأما الإسناد إلى هذه الرسالة "الأصول الثلاثة":

فإني أروي هذه الرسالة :

عن الشيخ: محمد السبيّل إمام وخطيب المسجد الحرام- رحمة الله عليه-.

وعن الشيخ: عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل رئيس الهيئة الدائمة لمجلس القضاء الأعلى سابقاً- رحمة الله عليه-.

وعن الشيخ: المحدث العلاّمة محمد بن عبد الله الصومالي- رحمة الله عليه-.

وعن شيخنا العلامة: يحيى بن عثمان المدرس- حفظه الله تعالى-.

فهؤلاء الأربعة جميعهم يروون عن عبد الحق الهاشمي، قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله البغدادي، عن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي بهذه الرسالة.

فهذا إسناد متصل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى.

وأيضاً أروي هذه الرسالة «رسالة الأصول الثلاثة» :

عن شيخنا: محمد بن أحمد بن سعيد النجدي، قال: أخبرنا سعد بن محمد بن عتيق، قال: أخبرني أحمد بن إبراهيم بن عيسى، قال: أخبرني عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، عن جده محمد بن عبد الوهاب بهذه الرسالة، فهذا أيضاً إسناد متصل فيه جمع أو كلهم حنابلة من المشائخ المشهورين المعروفين.

فبهذه الأسانيد أروي هذه الرسالة، وقد أجزتكم جميعاً بها أن ترووها عني.

أسأل الله- عز وجل- أن ينفعني وإياكم بما في هذه الرسالة من خيرٍ وبركةٍ وأصولٍ مهمة في هذا الدين.

وسنكون إن شاء الله تعالى مدارستنا في اللقاء القادم في رسالة «الأصول الستة» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب- رحمه الله تعالى-، وهي رسالة مهمة وعظيمة، وإن شاء الله- عز وجل- يوفقنا ربنا- سبحانه وتعالى- ويسددنا لمدارستها ومذاكرتها فيما بيننا.

أسأل الله- عز وجل- أن يعينني وإياكم على هذا الأمر، وأكتفي بهذا المقدار لهذه الليلة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين.